الآراء الأدبية والنحوية لشيخ الإسلام "ابن جماعة"

من خلال كتابه

كشف المعاني في المتشابه من المثاني

إعداد

حنان منصور أبوزيد محمد

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

ماستر

الآراء الأدبية والنحوية لشيخ الإسلام ابن جماعة من خلال كتابه

"كشف المعاني في المتشابه من المثاني"

حنان منصور أبوزيد محمد

الجمع والإخراج

التجهيزات الفنية بدار ماستر للنشر

رقم الإيداع /٢٨٦٠٦ / ٢٠٢١م

ISBN: 978-977-6884-05-2

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

ماستر©

٢٠٢١م

Email: master.publisher@hotmail.com

Facebook: facebook.com/Master.PH

Smashwords: smashwords.com/master.ph

Tel & Whatsapp/ 0128 730 3637

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾

صدق الله العظيم

(سورة البقرة: الآية ٣٢)

المقدمة

الحمد لله الذي أعلى منزلة المؤمنين بكريم خطابه حيث قال تبارك وتعالى في محكم كتابه (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) [1]. ورفع درجة العالمين بمعاني كتابه بقوله جل وعلا (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) [2] وخص المستنبطين الذين صرفوا طاقتهم في استخراج المسائل من النصوص منهم بمزيد الإصابة وثوابه، والصلاة والسلام على النبي محمد وآله واصحابه، وبعد:

فوجوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة، وآيات المتشابه اللفظي في القرآن تمثل أحد أوجه هذا الإعجاز، بما تنطوي عليه هذه الآيات من تراكيب لغوية متنوعة ومتسقة مع سياقاتها أحسن اتساق.

ومن ثمَّ فإن دراسة هذه الآيات دراسة لغوية في ضوء نظرية السياق يكشف الكثير من أسرار هذا التشابه، ويضع أيدينا على حقيقة مهمة في فهم النصوص اللغوية، وهى أن النصوص اللغوية لا يمكن فهمها فهما صحيحا وإدراك كل ما تقصده من معان ودلالات إلا بإدراك جميع عناصر المسرح اللغوي، وأقصد بالمسرح اللغوي هنا التركيب اللغوي (السياق اللغوي أو سياق المقال)، وسياق الحال (المقام)، فمن المعلوم أن السياق له دوره البارز في تحديد المعاني اللغوية ألفاظا كانت أم جملا أم عبارات، فتحليل الوظائف اللغوية على مستوى الأصوات والصرف والنحو، وتعرف العلاقات العرفية بين المفردات على مستوى المعجم ليس غاية المطاف للوصول إلى الفهم الدلالي التام للأحداث اللغوية؛ لأن الوصول إلى الفهم التام للمعنى لا يتم إلا بدراسة النص بوصفه بنية متكاملة، ونظرية السياق تربط

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٩).

(٢) سورة المجادلة، الآية (١١).

كل هذه المستويات بإطارها السياق العام بكل ما فيه للوصول إلى الدلالة الكاملة، والفهم الكامل، وعلى هذا فإن نظرية السياق أساس في التحليل اللغوي؛ لأن التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا إلا المعنى الحرفي أو معنى ظاهر النص، وهو معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي والتاريخي، ومنعزل عن كل ما يحيط بالنص من القرائن التي تحدد المعنى.

وآيات المتشابه اللفظي في القرآن أصدق مثال على إيضاح هذه الفكرة، فبعض هذه الآيات تتشابه في تركيبها اللغوي تشابهًا تامًا، وبعضها يتشابه مع اختلاف كلمة (اسم، أو فعل، أو حرف)، وبعضها يتشابه مع وجود زيادة أو نقص، وبعضها يتشابه مع وجود تقديم أو تأخير في التركيب، إلى غيرها من وجوه الاختلاف بين المتشابهات، فإذا نظرنا إلى التركيب اللغوي وحده في مثل هذه الآيات المتشابهة بمعزل عن سياق الحال (المقام)، فقد يصعب علينا فهم الدلالة الكاملة والمرامي المتعددة للنص بعض المواضع المتشابهة قد تشتمل على أكثر من وجه من وجوه الاختلاف، وطبيعة الدراسة تقتضى إبراز كل هذه الوجوه؛ لمعرفة أثر السياق في هذا الاختلاف، ولكن ضرورة التصنيف تقتضى وضع الآية تحت عنوان واحد، وسيكون اختيار العنوان الذى توضع تحته الآية مرتبطا بأبرز وجوه الاختلاف في الآية.

وقد كان للجانب النحوي دور ملحوظ، واهتمام كبير من قبل المفسرين في كتبهم، فقد كانوا يذكرون إعراب الآيات القرآنية من خلال آراء النحاة، ثم يذكرون آراءهم الشخصية في ذلك؛ وذلك لما للإعراب من دور بارز في توضيح معاني الآيات وفهم سياق النص القرآني وتفسيره.

وموضوع هذه الدراسة يدور حول معرفة الظواهر النحوية ودور السياق في فهم الآيات القرآنية من خلال تفسير "ابن جماعة " للمتشابه من القرآن الكريم في كتابه " كشف المعاني في المتشابه من المثاني "

وأما التمهيد فيشتمل على أربعة أمور وهي:

أولا: ترجمة موجزة للإمام بدرالدين بن جماعة –رحمه الله–.

ثانيا: التعريف الموجز بعنوان الكتاب.

ثالثا: التعريف بكتاب "كشف المعاني في المتشابه من المثاني وقضاياه وقيمته العلمية".

رابعًا: الحديث المبسط عن السياق وأنواعه، والسياق القرآني على وجه الخصوص.

حيث يتم الحديث عن ابن جماعة بشكل مختصر على سبيل المثال

نشأة بن جماعة ويشتمل على:

اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، شيوخه، تلاميذه، مصنفاته، مكانته العلمية، وفاته.

الفصل الأول: اختلاف دلالة المشتقات في الآيات المتشابه في تفسير ابن جماعة.

ويتناول هذا الفصل أربع مباحث:

المبحث الأول: اختلاف الصيغ ودلالاتها.

المبحث الثاني: اختلاف دلالة الجمع والإفراد.

المبحث الثالث: اختلاف دلالة التذكير والتأنيث.

المبحث الرابع: اختلاف دلالة التعريف والتنكير.

وجاء الفصل الثاني: بعنوان " اختلاف دلالة معاني الحروف " والتي تشمل:

المبحث الأول: اختلاف دلالة حروف العطف.

المبحث الثاني: اختلاف دلالة حروف الجر.

وأما الفصل الثالث فهو بعنوان: عوارض التراكيب في المتشابهة اللفظي في تفسير ابن جماعه، ويشتمل على أربعة مباحث هما:

المبحث الأول: اختلاف دلالة الذكر والحذف بين الآيات المتشابهة في تفسير ابن جماعة

المبحث الثاني: اختلاف دلالة التقديم والتأخير بين الآيات المتشابهة في تفسير ابن جماعة

المبحث الثالث: مسائل متفرقة في كتاب "كشف المعاني في المتشابه من المثاني.

هذا ما أعاننا الله على إدراكه، فإن وُفّقْنَا فمن عند الله وإن أخطأنا فالكمال لصاحب الكمال، عليه توكلنا وإليه أنبنا، والحمد لله رب العالمين.

كما تحدثت عن المهتمون بعلم الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، وذكرت الكتب التي اختصت ببيان المتشابه فحسب، ولم تتعرض لفن آخر وذكرت من هذه الكتب بعضها مع وصفها بصورة موجزة وهي:

أولا: أن أول من صنف في هذا الفن هو على بن حمزة.

ثانيا: كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل " للخطيب الاسكافي.

ثالثا: كتاب " البرهان في متشابه القرآن " للإمام محمود بن حمزة الكرماني.

رابعا: كتاب أسرار التنزيل وأنوار التأويل " لفخر الدين الرازي.

مـزايا كتاب " كشف المعاني في المتشابه من المثاني " ومنهج المؤلف فيه، وذكرت في هذا المبحث أن كتاب " كشف المعاني "

ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وأشرت إلى بعض المسائل التي أطال فيها وكانت في محلها والمواضع التي أوجز فيها وكان الإيجاز في مكانه.

*المنهج الذي سار عليه ابن جماعة في كتابه...

أنه جمع فيه التأويلات التي وفقه الله إليها، والجمع بين المتشابهات كما أنه أجاب عن بعض المسائل التي تدور في خلد القارئ للقرآن الكريم وأنه تناول غير الآيات المتشابهة احيانا في كتابه للفائدة وأنه يأتي أحيانا بالمسألة من غير أن يصوغها بصيغة سؤال وجواب وأشرت إلى بعض المسائل في ذلك.... إلخ.

وأمّا اسم الكتاب؛ وصحة نسبته إلى المؤلف، فذكرت في هذه النقطة الكتب التي ذكرت كتاب (كشف المعاني في المتشابه المثاني) ونسبته إلي شيخ الإسلام بدر الدين ابن جماعة.

وقد أشارت إلى أنّ المؤلف قد ذكر اسم الكتاب في مقدمة كتابه في كلتا النسختين وكذلك في نهاية نسخة (١) وهو (كشف المعاني في المتشابه من المثاني).

التمهيد

أولاً: التعريف الموجز بالإمام بدر الدين ابن جماعة

ثانيا: التعريف الموجز بعنوان الكتاب.

ثالثا: التعريف بكتاب كشف المعاني في المتشابه من المثاني، وقضاياه وقيمته العلمية

رابعًا: ماهية السياق وأنواعه بإيجاز

أولاً: التعريف الموجز بالإمام بدر الدين ابن جماعة:

لم يكن بدر الدين ابن جماعة واحد من الأعلام الأفذاذ الذين عرفهم تاريخ العلم فحسب، بل كان رأس أسرة ضمّت نفرًا من علماء العرب الذين بسطوا جناح المعرفة على مصر والشام، وكان كل واحد منهم يعرف باسم "ابن جماعة" تخليداً لذكرى العالم المعلم الذي قدمته مدينة حماة، وتأكيد اعلى أهمية الدور العلمي الذي قام به في عواصم الوطن العربي: دمشق، والقدس، والقاهرة. فمن هو عميد هذه الأسرة العلمية .وماهي آثاره؟؟؟

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه، شيوخه، تلاميذه، مصنفاته، مكانته العلمية، وفاته:

اسمه: "محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بحاء مهملة وزاي – بن صخر بن عبد الله بدر الدين ابو عبد الله بن أبي إسحاق بن الفضل الكناني الشافعي الحموي القاضي..."[1].

نَسَبُهُ: وعرفت أسرته ببني جماعة نسبة إلى ثلاثة من الآباء والأجداد ينتهي نسبهم إلى مالك بن كنانة، وهو (جماعة – وهو الجد القريب له – بن علي بن جماعة بن حازم ابن صخر بن عبد الله بن جماعة، أما الكناني فنسبة إلى مالك بن كنانة وهو الجد العاشر من سلسة نسب الرسول ﷺ[2].

كنيته: كُنِيَ له في "درة الحجال لابن القاضي "، أو أبو عبد الله المصري".

لقبه: كما لُقب بالقاضي بدر الدين [3].

مولده: ولد ابن جماعة بحماة سنة تسع وثلاثين وستمائة ٦٣٩هـ"[4]. إحدى مدن الشام، في بيت علم ومهابة، فوالده الشيخ الإمام الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن

---

(١) طبقات المفسرين٢/٥٣.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير،٢/٢٣٨) ، تهذيب سيرة ابن هشام للشيخ عبد السلام هارون: ١٧.

(٣) درة الحجال في أسماء الرجال، المجلد الثاني، ص٢/١١١.

(٤) له ترجمة في: الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي٢/١٣٦، البداية والنهاية لابن كثير١٤/١٦٣، حسن المحاضرة للسيوطي١/٤٢٥، الدرر الكامنة لابن حجر٣/٣٦٧، ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي١٠٧، الرسالة المستطرفة للكناني٢١٤، فوات الوفيات٢/٢٥٣، قضاة دمشق لابن قطلوبغا٨٠، كشف الظنون لحاجي

سعد الله، فنشأ في أسرة عرفت بالعلم والدين، وأسرة ابن جماعة من الأسر التي نبغ فيها كثير من العلماء، وكلهم يُعرف بابن جماعة، ولذلك وقع كثير من المترجمين والمؤرخين في الخطأ حين نسبوا كتب بعضهم إلى بعض ـ "[1]".

وفاته: في ليلة الإثنين حادي عشر جمادي الأول سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة من الهجرة، بعد أن تجاوز التسعين من عمره، قضاها في خدمة دينه، وجاد فيها بالكثير من المؤلفات، وكان يخطب من إنشائه، ودفن بالقرافة." [2].

شيوخه: أما عن شيوخه فهم كُثر، وقد ذكر علماء التراجم ثمانية وعشرين شيخًا، وهم الذين وقف عليهم عبد الجواد خلف الذي اعتنى بتحقيق كتب ابن جماعة.

ومن أبرز شيوخه الذين تتلمذ عليهم: والده، وعبد العزيز الأنصاري في حماة، ومنهم جمال الدين محمد بن مالك، صاحب الألفية في حلب، وكذلك شمس الدين بن علان في دمشق، وتقي الدين بن رزين في القاهرة، ومجد الدين بن دقيق العيد في صعيد مصر [3].

وأما عن شيوخه فقد جاء في "نكت الهميان" "أنه سمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ الأنصاري[4]، وبمصر من المرضيّ بن البرهان، والرشيد العطار، وإسماعيل بن عزون وعدة، وبدمشق من ابن أبي اليُسر وابن عبد وطائفة، وأجاز له عمر بن البرادعي والرشيد بن مسلمة وطائفة، وحدّث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبي، كما ذكر صلاح الدين الصفدي مؤلف كتاب "نكت الهميان "أنه سمعها منه، مع جماعةٍ، بمنزلة بمصر مجاور الجامع الناصري، كما ذكر الصفدي

خليفة ١٦٦٣، ١٨٨٤، مرآة الجنان٢٨٧/٤، المقفى٤٥/١،النجوم الزاهرة٢٩٨/٩، نكت الهميان للصفدي ٢٣٥، هدية العارفين للبغدادي٢٤٨/٢، الوافي بالوافيات للصفدي١٨/٢.

(١) انظر: كشف المعاني لابن جماعة، تحقيق: عبد الوهاب المشهداني:ص١٨"

(٢) طبقات المفسرين: ٥٤/٢.

(٣) غرر التبيان لابن جماعة ص٢٥،١٤٥.

(٤) هو محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الشاطبي المصري شيخ دار الحديث بالكاملية المتوفى سنة٦٦٢هـ)"كشف الظنون ٢/ ١٣٧٨".

أن ابن جماعة أجازله في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وحدَّث بالكثير، وتفرد في وقته." [1].

طرف من حياته:

تلقى ابن جماعة العلم في صغره في بلدة حماة، وعمره أحد عشر عامًا على يد علماء أجلاء منهم والده(ت٦٧٥هـ) الذي يعد من أفاضل علماء الشافعية، وكان خطيبًا في حماة وعرف عنه الزهد والورع، كما درس على يد عبد العزيز الأنصاري.

ولما بلغ رَحْلٌ في طلب العلم انتقل إلى دمشق، وإلى القدس الشريف، ثم إلى مصر، كما زار مكة المكرمة، فَكَثُر شيوخه، وأخذ علمًا كثيرًا في الحديث، والفقه والتفسير، والأصول [2].

كما أنّ حياة ابن جماعة المديدة جعلته معاصرًا لأحداث عديدة، فقد شهد سقوط دولة بني العباس في بغداد على أيدي المغول، ومرحلة التراجع الصليبي، وغروب شمس بني أيوب عن مصروالشام، وقيام حكم المماليك فيهما. وما تبع ذلك من اصطراع على السلطة، حتى أن الملك الناصر محمد بن قلاوون . بعد استعادته سلطته للمرة الثالثة . عاتب ابن جماعة قائلاً: يا قاضي. كيف تفتي المسلمين بقتالي؟ فأجابه ابن جماعة: معاذ الله أن تكون الفتوى كذلك، إنما الفتوى على مقتضى كلام المستفتي.

من خلال هذه المحاورة يصبح من الممكن إدراك كيف كان ولاة الأمر يوظفون القضاء لخدمة مآربهم السياسية متوسلين إلى ذلك بالخدع اللفظية، على أن مكانة ابن جماعة، كان تحول دون الإيقاع به، فقد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره: القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ

---

(١) نكت الهميان ص٢٣٥.

(٢) شذرات الذهب ،١٥٦/٦.

ومن شعره{ الكامل}:

لما تمكَّنَ من فؤادي حبُــــــهُ *** عاتبت قلبي في هـــواه ولُمْتُهُ"[1].

فرثى له طَرفي وقال أنا الذي *** قد كنتُ في شَرَك الهوى أوقعتُهُ

عاينت حُسنًا باهرًا فاقتادني *** سِـــــــرًّا إليه عندما أبصرتُهُ

وله{ الوافر}:

أحِنُّ إلى زيارة حــــــيِّ ليلي *** وعهــدي من زيارتها قريبُ [2].

وكنتُ أظنّ قُرْبَ العهد يطغى *** لهيب الشوق فازداد اللهيبُ

أورده الشيخ تقي الدين المقريزي في "المقفى".

وأنشدني لنفسه إجازة{ الخفيف}[3].

وإذا ما قصدتُ طيبةَ شوقًا *** صار سهّلا لديّ كلُّ عسير

وإذا ما ثنيتُ عزمِيَ عنهـــا *** فعســــيرٌ عليّ كلّ يسيرِ

(١) الأبيات في الوفي بالوفيات للصفدي١٩/٢، والمقفى للمقريزي٤٧/١.

(٢) المقفى٤٧/١، والوفي بالوفيات ١٩/٢

(٣) الوافي بالوفيات ١٦/٢.

آراء بعض العلماء في بن جماعة:

وقد أجمع أصحاب التراجم على حسن سيرة ابن جماعة وصفاء سريرته وزهده وتقشفه في كل شيء مأكلاً وملبساً ومركبًا، وأثنى عليه كثير ممن عاصره، وشهدوا بصحة أحكامه ويمن أيامه، وفهمه وعلمه. وإذا كانت المعاصرة حجاباً كما يقال، إلا أنها لم تحجب صورة العالم الذي بسط إحسانه على أجيال تتابعت وأحقاب توالت. وحسب ابن جماعة شرفاً شهادة معاصريه من أقرانه وإخوانه، وأساتذته وتلاميذه.

قال السبكي (١): محدث فقيه، ذو عقل لا يقوم أساطين الحكماء بما جمع فيه (٢).

كما ذكر الصفدي في مصنفه "نكت الهميان" بعض من خصاله قائلًا"...وكان قويّ المشاركة في علوم الحديث والفقه والأصول والتفسير، خطيبًا تام الشكل، ذا تعبدٍ وأورادٍ. وحج وله تصانيفُ. درَّس وأفتى واشتغل، نُقِل إلى خطابة القدس". (٣).

وقال ابن الوردي (٤): كان ينطوي على دين وتعبد، وتصون وتصوف، وعقل ووقار، وجلالة وتواضع. حمدت سيرته، ورزق القبول من الخاص والعام. ومحاسنه كثير (٥).

وقال ابن كثير: ولي الحكم والخطابة بالقدس الشريف، ثم نقل إلى قضاء مصر في الأيام الأشرفية. ثم ولي قضاء الشام، وجمع له معه الخطابة ومشيخة الشيوخ وتدريس العادلية. كل هذا مع الرئاسة والديانة. وله التصانيف الفائقة النافعة (٦).

---

(١) ترجمته: هو (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبْكِي، صاحب كتاب طبقات الشافعية الكبرى).

(٢) الوافي بالوفيات ٢: ١٨.

(٣) نكت الهميان ص٢٣٥

(٤) ترجمته: هو (علي بن موسي بن عيسي بن عبد الله بن الوردي، ولد تقريبا في سنة تسع وثمانين وسبعمائة، ومات قبل خمسين، ذكره البقاعي هكذا مجردًا).

(٥) تاريخ ابن الوردي: ٢: ٤٢٨.

(٦) البداية والنهاية: ١٤: ١٦٣.

ومن شعره أيضا{ الكامل} : يقول:

يا لهفَ نفسي لوْ تدوم خطابتي *** بالجامعِ الأقصَى وجامع جِلَّق

ما كان أهنأ عيشنا وألـــــذَّه *** فيها وذاك طرازُ عمري لوْ بقي

الديــــن فيهِ سالِمٌ من هفَوةٍ *** والرّزق فوقَ كفاية المستَرزقِ

والناسُ كلّهــمُ صديقٌ صاحِبٌ *** داعٍ. وطالِبُ دعــوةٍ بترقَّقِ [1]

واشتغاله بالقضاء:

وُلِيَ قضاء بيت المقدس مدّة، والخطابة به، وولاه الأشرف خليل قضاء مصر والتدريس بالصالحية، كخطابة الجامع الأزهر، ثم صّرف عن القضاء بتقي الدين بن بنت الأعز، وعوض عنه التدريس بالمدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعي، وتدريس المشهد الحسيني، ثم ولي قضاء دمشق بعد موت شهاب الدين محمد بن أحمد الخُوّتي، وأضيفت إليه خطابة الجامع الأموي، ثم صرف عن القضاء بإمام الدين عمر القزويني، وبقي على خطابة الجامع، ثم أعيد إلى القضاء بعد موت تقي الدين محمد بن دقيق العيد، فلم يزل على قضاء مصر إلى أن صرفه الناصر محمد بن قلاوون بجمال الدين سليمان بن عمر الزُّرعي"ولد الزرعي بأذرعات، وولي قضاء زرع بالضم وكلاهما من اعمال الشام، والنسبة إلى الأولى أذرعي، وإلى الثانية زرعي. فشهر بالثانية. "حواشي ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي ١٨ "، ثم أعاده عوضًا عن الزرعي، فلما أنشأ السّلطان الجامع الجديد خارج مدينة مصر، ولاه الخطابة به، فطالت ولايته هذه وشاخ وأضر وثقل سمعه، فطلب الإعفاء من القضاء فأعفى، ولزم داره إلى أن مات[2].

---

(١) الوافي بالوفيات ١٩/٢ ونكت الهميان ٢٣٦.

(٢) طبقات المفسرين ٥٤/٢.

تلاميذه:

وأما عن تلاميذه، فقد تتلمذ على يديه كثير من طلاب العلم، وقصده كثير من العلماء، ولاريب في ذلك فقد عمررحمه الله أكثر من تسعين عاما، فتخرج على يديه كثير من العلماء، منهم: ابنه عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة(ت٧٦٧هـ)قاضي القضاة في مصر والشام فلذة كبده وقرة عينه، وصلاح الدين الصفدي صاحب الوافي بالوفيات(ت٧٦٤هـ)، وتاج الدين السبكي مؤلف طبقات الشافعية(ت٧٧١هـ)، وصلاح الدين البلبيسي، كما أخذ عنه أبو حيان الأندلسي، وشمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ)،..وآخرين غيرهم أتى على ذكرهم أصحاب التراجم.(القاضي بدر الدين بن جماعة ١٩٧- ٢٠٧) والمسند الكبير برهان الدين الشامي(٣) "هو محمد بن أحمد بن علي بن عبدالله بن أبي الفتح بن هاشم بن اسماعيل ابن ابراهيم بن نصر الله بن أحمد الشمس أبو عبد الله بن الشهاب أبي العباس بن العلاء الكناني الرملي العسقلاني القاهري الحنبلي ويعرف أولا بالرملي ثم بالشامي.ولد في صفر سنة أربع وأربعين وسبعمائة بالرملة، وانتقل صغير الى مصر".

آثار ابن جماعة العلمية:

في ظل هذه الحياة العلمية أخرج ابن جماعة كثيرًا من المصنفات في كثير من الفنون، وأغلب من ترجم له وصفه بالإكثار من المصنفات، فكان غزير التأليف، وافر الإنتاج، فعلى سبيل المثال ذُكِر في هدية العارفين للبغدادي...عدد من تصانيفه منها:"إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل.التبيان لمهمات القرآن تجنيد الأجناد وجهات الجهاد. تحرير الأحكام في تدبير جيش الإسلام.تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم .التنزيه في أبطال حجج الشبيه.تنقيح المناظرة في تصحيح المخابرة، حجة السلوك في مهادة الملوك.الرد على المشبه في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى، الطاعة في فضيلة الجماعة، غرر التبيان في تفسيرالقرآن اللائحة من سورة الفاتحة. كشف الغمة في أحكام أهل الذمة، كشف المعاني عن متشابه

المثاني، المسالك في علوم المناسك، مستند الأجناد في آلات الجهاد، المقتص في فوائد التكرار، المنهل الروي في علوم الحديث النبوي"[١]. ص١٤٨"هدية العارفين".

أ. في علوم القرآن:

١- كشف المعاني عن متشابه المثاني: ذكره السبكي في طبقاته ونقل عنه، كما ذكره صاحب تاريخ حماة، والبغدادي في إيضاح المكنون وفي هدية العارفين. أما صاحب الأعلام فقد ذكره باسم "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، وأشار إلى أن الكتاب مخطوط [٢].

٢- غرة التبيان لمن لم يسم في القرآن: يذكر صاحب الأعلام هذه التسمية المفصلة للكتاب، بينما يسميه صاحب الأنس الجليل "غرر البيان"، ويسميه صاحب معجم المؤلفين "غرر التبيان"، والكتاب مخطوط كما يقول صاحب الأعلام [٣].

٣- غرر البيان لمبهمات القرآن: اختلف أصحاب التراجم في تسمية هذا الكتاب، فقد تفرد صاحب الأعلام بالتسمية المذكورة آنفاً، مشيراً إلى أنه مخطوط، وأنا أميل إلى هذه التسمية وأرجحها، لأن الزركلي معروف بضبطه وحسن تثبته.

٤- أما صاحب الأنس الجليل وصاحب هدية العارفين فيذكر أنه باسم "غرر التبيان لمهمات القرآن ومن الواضح أن هناك تصحيفاً واختصاراً.

٥- وللبغدادي إشارة في إيضاح المكنون إلى كتاب باسم "غرر البيان في تفسير القرآن" لابن جماعة، وأرى أنه ليس كتاباً آخر، بل هو الكتاب السابق نفسه، والتشابه بين التسميتين واضح الدلالة من غير ريب [٤].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب السبكي. الطبعة المصرية الأولى.

(٢) فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي. ٧٦٤هـ. تحقيق محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٩٥١.

(٣)

(٤) سورة طه ــ الآية الخامسة، انظر طبقات الشافعية الكبرى ٥: ٢٣٢، تاريخ حماة: ١٣٩، إيضاح المكنون ٢: ٣٦٧، هدية العارفين ٢: ١٤٨. الأعلام ٦: ١٨٨.

٦- الرد على المشبهة: يفند ابن جماعة في كتابه أقاويل المشبهة في قوله تعالى:] الرحمن على العرش استوى](١)، وقد نوه عنه صاحب كشف الظنون، كما أشار إليه صاحب هدية العارفين [١].

٧- التنزيه في إبطال حجج التشبيه: ذكره البغدادي في هدية العارفين متفرداً [٢].

ب . في علوم الحديث:

٨- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لخص فيه ابن جماعة كتاب علوم الحديث لابن الصلاح المتوفى ٦٤٣هـ، وزاد عليه من فرائد الفوائد وزوائد القواعد، ورتبه على مقدمة وأربعة أطراف. وتشمل المقدمة على معرفة المتن والسند والإسناد والحديث والخبر. أما الأطراف فهي:

أ- الكلام على المتن وأقسامه وأنواعه.
ب- الكلام في السند وما يتعلق به.
ج- كيفية تحمل الحديث وطرقه وكتابته وضبطه وروايته وآداب طالبه وراويه.
د- في أسماء الرجال وطبقات العلماء وما يتصل بذلك.

وقد ذكر الكتاب صاحب الجليل. وصاحب كشف الظنون، وصاحب هدية العارفين، وصاحب معجم المؤلفين. ويسميه صاحب الأعلام باسم "المنهل الروي في الحديث النبوي"، كما يسميه صاحب كشف الظنون باسم "مختصر علوم الحديث"، ثم يذكر لابن جماعة كتاب "المختصر في علم الحديث"، ويبدو أن الأمر قد التبس عليه فقال: لعله "المنهل الروي في علوم الحديث النبوي"[٣].

نشر الكتاب أول مرة في مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة . العدد ٢١ . سنة ١٩٧٥ بتحقيق الدكتور محيي الدين عبد الرحمن، ثم أعيد طبعه بلبنان، في كتاب مستقل بتحقيق كمال يوسف الحوت سنة ١٩٩٠.

---

(١) الإعلام ٦: ١٨٨، الأنس الجليل: ١٣٧، معجم المؤلفين ٨: ٢٠١.
(٢) الأعلام ٦: ١٨٨، هدية العارفين ٢: ١٤٨، الأنس الجليل ٢: ١٣٧، إيضاح المكنون ٢: ١٤٥.
(٣) معجم المؤلفين ٩: ١١١، كشف الظنون ٢: ١١٦٢.

وللمنهل الروي شرح قام به أ حد حفدة المؤلف وهو عز الدين محمد بن أحمد بن جماعة المتوفى سنة ٨١٩ هـ[٥].

٩- الفوائد الغزيرة في أحاديث بريرة: ذكره صاحب الأنس الجليل، أما البغدادي في إيضاح المكنون وفي هدية العارفين فقد سماه "الفوائد الغزيرة المستنبطة من حديث بريرة"[١].

١٠- تخريج أحاديث الوجيز: الوجيز في الفروع للإمام الغزالي، وهو أحد الكتب الفقهية الخمسة المتداولة لدى أتباع المذهب الشافعي، وقد قام ابن جماعة بتخريج أحاديثه في كتاب ذكره صاحب كشف الظنون متفرداً [٢].

ج. في السيرة والتاريخ:

١١- نَوْر الروض: وهو مختصر كتاب "الروض الأُنف" للسهيلي، شرح فيه سيرة الرسول r، لابن هشام، وقد أشار إلى كتاب "نور الروض"، صاحب الأعلام وسماه "مختصر السيرة النبوية"، وتوهم صاحب معجم المؤلفين ونسبه إلى محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة المتوفى سنة ٨١٩هـ، أحد حفدة المؤلف [٣].

١٢- أرجوزة في قضاة مصر.

١٣- أرجوزة في قضاة دمشق.

١٤- أرجوزة في الخلفاء.

وقد ذكر الأراجيز الثلاث صاحب الأعلام، وأشار إلى أنها مخطوطة [٤].

---

(١) الأنس الجليل ٢: ١٣٧، إيضاح المكنون ٢: ٢٠٨، هدية العارفين ٢: ١٤٨.

(٢) كشف الظنون ٢: ٢٠٠٣.

(٣) الأعلام ٦: ١٨٨، معجم المؤلفين ٨: ٢٠١.

(٤) الأعلام ٦: ١٨٨.

د. في الفضائل والسلوك:

١٥- الطاعة في فضيلة صلاة الجماعة: ذكر الكتاب صاحب الأنس الجليل، وصاحب إيضاح المكنون [١].

١٦- حجة السلوك في مهاداة الملوك: وقد أتى على ذكره صاحب الأنس الجليل، أما صاحب هدية العارفين وإيضاح المكنون فقد ذكره باسم "حجة السلوك في مهادة الملوك"، والغلط في النسخ أو الطبع واضح مبين [٢].

١٧- المقتص في فوائد تكرار القصص: ذكره صاحب كشف الظنون، وصاحب إيضاح المكنون وهدية العارفين [٣]، ولعل صواب التسمية "المقتنص في تكرار القصص"، ليكون السجع أوقع في السمع على عادة المؤلف في تسمية معظم مؤلفاته.

١٨- مجموعة خطب: تفرد صاحب البداية والنهاية بالإشارة إلى مجموعة خطب جمعها ابن جماعة لنفسه، وكان يخطب بها في طيب صوت [٤].

هـ. في الفقه وقواعد الأحكام:

١٩- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام: رسالة في قواعد الحكم والسياسة الشرعية، وتدور مباحثها حول الخلافة وأحكامها، والوزارة والقضاء واتخاذ الجند للجهاد، ومصادر دخل الدولة وتوزيعها، وقتال أهل البغي، وأحكام عقد الذمة. وقد ورد ذكر الرسالة في دائرة المعارف الإسلامية، كما ذكرها صاحب الأعلام، ويسميها صاحب الأنس الجليل، وصاحب إيضاح المكنون وهدية العارفين، وصاحب معجم المؤلفين "تحرير الأحكام في تدبير جيش الإسلام"، وما ذكرناه أولاً هو الصواب. وينسبها بروكلمان متوهماً لواحد من أحفاد ابن جماعة [٥].

---

(١) الأنس الجليل ٢: ١٣٧. إيضاح المكنون ٢: ٧٦.
(٢) الأنس الجليل ٢: ١٣٧. هدية العارفين ٢: ١٤٨. إيضاح المكنون ١: ٣٩٣.
(٣) كشف الظنون ٢: ١٧٩٣، إيضاح المكنون ٢: ٥٤٧، هدية العارفين: ٢: ١٤٨.
(٤) البداية والنهاية ١٤: ١٦٣.
(٥) دائرة المعارف الإسلامية ـ المجلد الأول ١٢١، الأعلام ٦: ١٨٨، الأنس الجليل ٢: ١٣٧، إيضاح المكنون ١: ٢٣١ هدية العارفين ٢: ١٤٨، معجم المؤلفين ٨: ٢٠١

٢٠- تجنيد الأجناد وجهات الجهاد: ورد ذكر هذه الرسالة في إيضاح المكنون وهدية العارفين [1].

٢١- مستند الأجناد في آلات الجهاد: وقد أتى على ذكره صاحب الأنس الجليل، والبغدادي في إيضاح المكنون وفي هدية العارفين، والزركلي في الأعلام، كما أشار إليه ابن جماعة في كتابه "تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام"[2].

٢٢- وجدير بالذكر أن كتاب "مستند الأجناد"، مطبوع في بغداد عام ١٩٨٣ بتحقيق السيد أسامة ناصر النقشبندي.

٢٣- كشف الغمة في أحكام أهل الذمة: ذكره صاحب الأنس الجليل، والبغدادي، في إيضاح المكنون، وفي هدية العارفين [3].

٢٤- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل: ورد ذكره عند البغدادي في هدية العارفين، وفي إيضاح المكنون، كما ذكره صاحب معجم المؤلفين [4].

و. في الفلك:

٢٥- رسالة في الاسطرلاب: ذكرها أبو العباس المكانسي في درة الحجال، وصاحب نكت الهميان، والصابوني في تاريخ حماة، والزركلي في الأعلام، ويسميها صاحب فوات الوفيات "الكلام على الاسطرلاب". ويقول صاحب الوافي بالوفيات: وله رسالة في الاسطرلاب، أخبرني القاضي شمس الدين ابن الحافظ ناظر الجيش بصفد وطرابلس قال: كنت أقرأ عليه بدمشق وهو في بيت الخطابة رسالته في الاسطرلاب فقال لي يوماً: إذا جئت تقرأ في هذه فاكتمه فإن اليوم جاء إليَّ مغربي وقال: يا مولانا قاضي القضاة رأيت اليوم واحداً يمشي في الجامع، وفي كمّه آلة الزندقة. فقلت: وماهي؟ فقال: الاسطرلاب [5].

---

(١) إيضاح المكنون ١: ٢٢٩، هدية العارفين ٢: ١٤٨.

(٢) الأنس الجليل ٢: ١٣٧، إيضاح المكنون ٢: ٤٧٨، هدية العارفين ٢: ١٤٨، الأعلام ٦: ١٨٨، تحرير الأحكام: ١٦٢.

(٣) الأنس الجليل ٢: ١٣٧، إيضاح المكنون ٢: ٣٦٢

(٤) هدية العارفين ٢: ١٤٨.

(٥) درة الحجال ٢: ٣٠٥، نكت الهميان: الورقة ٤٢، تاريخ حماة: ١٣٩، الأعلام ٦: ١٨٨، فوات الوفيات ٢: ٣٥٣، الوافي بالوفيات ٢: ١٩.

ز. في آداب البحث والتربية:

٢٦- تنقيح المناظرة في تصحيح المخابرة: ذكره صاحب الأنس الجليل، وصاحب هدية العارفين، ويذكرها في إيضاح المكنون باسم "تنقيح المناظرة في آداب المخابرة"[١].

٢٧- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم: وردت التذكرة في كشف الظنون، وفي إيضاح المكنون، وفي هدية العارفين، وفي معجم المؤلفين، وفي الأعلام [٢]، والكتاب مطبوع في حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٥٤هـ. وقد أضاف إليه ناشره ومحققه السيد محمد هشام الندوي كثيراً من الشروح المفيدة.

ويشتمل كتاب التذكرة على خمسة أبواب هي:

الأول: في فضل العلم والعلماء، وفضيلة تعليمه وتعلمه.

الثاني: في آداب العالم، في نفسه، ومراعاة طالبه ودرسه.

الثالث: في أدب المتعلم في نفسه، ومع شيخه ورفقته ودرسه.

الرابع: في مصاحبة الكتب وما يتعلق بها من الأدب.

الخامس: في آداب سكنى المدارس للمنتهي والطالب.

ويعد الدكتور أحمد جاسم النجدي(تعريف"كتاب التذكرة خلاصة ما توصل إليه المؤلفون السابقون في مناهج التأليف. وجدير بالذكر أن عبد الباسط بن موسى العلموي المتوفى سنة ٩٨١هـ، وصاحب كتاب "المعيد في أدب المفيد والمستفيد"، نقل عن كتاب التذكرة أكثر مادته، وقد أشار إلى ذلك فرانز روزنثال في كتابه "مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي"[٣].

ويستفاد مما كتبه الدكتور النجوي بأن التذكرة لابن جماعة يحتوي على مسائل هامة في منهج البحث يمكن ملاحظتها في الباب الأول والثاني والرابع من الكتاب.

---

(١) الأنس الجليل ٢/ ١٣٧، هدية العارفين ١٤٨/٢، وإيضاح المكنون ١/ ٣٣١.

(٢) كشف الظنون ١/ ٣٨٦، إيضاح المكنون١/ ٢٧٤، هدية العارفين ١٤٨/٢، معجم المؤلفين ٨/ ٢٠١، الأعلام: ١٨٨/٦.

(٣) منهج البحث الأدبي: ٨ و٢٨.

فقد تحدث ابن جماعة في الباب الأول عن فضل العلم والعلماء وفضل تعليم العلم وتعلمه، وهو يورد آيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية في فضل العلم والعلماء، والحث على طلب العلم، وعدم طلب الأغراض الدنيوية، وحديثه هذا عن فضل العلم والعلماء يمكن أن يعد شبيهاً بما يذكره الدارسون المحدثون لمنهج البحث في بداية كتبهم من أمور تتعلق بأهمية البحث وضرورته، إذ إن ما كتبه ابن جماعة يمكن أن يقال فيه إنه تفضيل للبحث والحث عليه بمفهوم ذلك العصر.

أما الباب الثاني من الكتاب . والكلام للدكتور النجدي . فما يهمنا فيه الفصل الأول منه. وقد ذكر فيه جملة من الصفات الواجب وجودها في العالم، منها وجوب اشتغاله بالتصنيف والتأليف إضافة إلى وجوب حرصه على الجد والاجتهاد والتأليف والتواضع، وهي صفات يمكن أن نلاحظها فيما كتبه الدارسون المحدثون عن صفات الباحث. وختم هذا الفصل بوصايا للعالم تتعلق بالتأليف، وذلك إذ يقول: "والأولى أن يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه". كما تضمنت خاتمة هذا الفصل وصايا تتعلق بكتابة البحث ضمنها إيضاح العبارة، وعدم إخراج الكتاب إلا بعد تهذيبه وتكرير النظر فيه.

والباب الرابع: من هذا الكتاب يسميه ابن جماعة "الآداب مع الكتب"، وما يتعلق بتصحيحها وضبطها وحملها ووضعها.."، وقد فصَّل القول . في هذا الباب . في مسألتين هامتين من مسائل البحث:

الأولى: جمع المصادر والتعرف عليها وتوفيرها قبل التأليف.

والثانية: النقل عن المصادر، وتنظيم الأسماء والهوامش، وأساليب المقابلة والتصحيح للنصوص، واستعمال علامات الترقيم و الرموز... وغيرها من الأمور التي تتعلق بالكتابة. ويمثل كتاب التذكرة خطوة مهمة في وضع الكتب الخاصة بطريقة التأليف

أو منهج البحث عند العرب، وهو فيما نرى أهم كتاب في هذا الموضوع، فقد تناول ابن جماعة فيه معظم المسائل التي يمكن أن تقال في عمليات البحث ومراحله المتعددة[1].

والدكتور النجدي في اعتماده على كتاب التذكرة بوصفه مصدراً أساسياً من مصادر منهج البحث الأدبي عند العرب، قد أضفى على الكتاب أهمية فذة في عصر قل فيه المنصفون لتراث العرب الضخم، وإبداعهم في مختلف ميادين العلم والأدب.

وهناك مؤلفات أخرى لابن جماعة ذكرها الدكتور موفق بن عبد الله في مقدمة "مشيخة قاضي القضاة ابن جماعة". غير أني لم أقف على ذكرها في كتب التراجم التي وقعت بين يدي وهي:

١-. أربعون حديثاً تساعية[2]

٢ - أوثق الأسباب.

٣- تراجم البخاري.

٤- شرح كافية ابن الحاجب.

٥- العمدة في الأحكام.

٦- لسان الأدب.

٧-مختصر الأمل والسول في علوم حديث الرسول.

٨-مشيخة ابن جماعة بتخريجه.

٩-مختصر في مناسبات تراجم البخاري.

---

(١) المرجع السابق: ٢٦ . ٢٧ . ٢٨.

(٢) توضيح في الحاشية(أوردها السيوطي في كتابه "طبقات المفسرين ج٢ قائلا "في حديثه عن مصنفاته "وصنّف كتاب "مناسك الحج " وكتاب "علوم الحديث" وكتاب نحا فيه نحو السهيلي في كتاب" التعريف والإعلام" وزاد عليه، وكتابا في الكنائس وأحكامها" وخرّج له أهل الحديث عوالي ومشيخات، وخرج لنفسه أيضًا " أرعين حديثًا" تساعيا.

والأخير طبع في بومباي بالهند، سنة ١٤٠٤ هـ، غير أني لم أعثر عليه في مكتباتنا العربية. هذه هي آثار بدر الدين بن جماعة العالم الذي قدمته حماة مدينة العلم والأدب، ليبسط على دمشق والقاهرة والقدس جناحي ملك في عصر ساد فيه المماليك.

ثانيا: التعريف الموجز بعنوان الكتاب.

أ) المعاني اللغوية لمادة المتشابه :

وقال ابن فارس رحمه الله (٣٩٥):"الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشئ وتشاكله لونًا ووصفًا. يقال شِبه وشَبَه وشَبيه. والشبَه من الجوهر : الذي يشبه الذهب. والمشبهات من الأمور : المشكلات. واشتبه الأمران إذا أشكلا"[١].

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله (٤٢٥):"الشبه والشبه والشبيه :حقيقتهما في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم ،وكالعدالة والظلم، والشبهة : هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عينًا كان أو معنيً، قال :(وأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهِ) [٢]. أي يشبه بعضه بعضًا لونًا لا طعمًا وحقيقةً......والمتشابه في القرآن : ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى "[٣].

وقال ابن منظور رحمه الله (ت٧١١):" الشبه، والشبه، والشبيه : المثل، والجمع أشباه وأشبه الشئ الشئ :ماثله.....والمشتبهات من الأمور : المشكلات، والمتشابهات : المتماثلا....وأمور مشتبهة ومشبهة : مشكلة يشبه بعضها بعضًا....المتشابه :ما لم يُتلقّ معناه من لفظه "[٤].

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/٢٤٣

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٤٣ -٤٤٥

(٣) لسان العرب٧/٢٣-٢٥

(٤) مختار الصحاح ١/ ١٣٨

المتشابه اصطلاحًا:

المتشابه: من تشابه الشيئان؛ إذا أشبه كل منهما الآخر. The intricate

- **اللفظ الذي لا يدل على المعنى المراد منه بنفسه، ولا توجد قرائنُ خارجيَّةٌ تُعَيِّن المراد منه، واستأثر الله تعالى بعلمه.**
- **اللفظ الذي خُفِيّ معناه بحيث لا ترجَى معرفته في الدنيا لأحدٍ، لعدم وجود قرينةٍ تدلُّ عليه، وقد استأثر الشارع بعلمه، فلم يعيِّنه؛ كالحروف المقطَّعة التي بُدِئَت بها بعض السور: الم، كهيعص، حم، طسم [1].**

كلمة المتشابه في القرآن الكريم.

١-أتت مادة التشابه في القرآن الكريم واردة في مواضع عديدة وآيات كثيرة، غير أنها لم ترد بلفظة واحدة، بل جاءت بأكثر من لفظة وأكثر من اشتقاق، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

فقد وردت بصيغة: شُبِّه، وذلك في سورة النساء في قوله تعالى :(...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ...). [2].

والمعنى ههنا: "أنهم رأوا شبهه فظنُوه إياه، ولهذا قال تعالى (وَإِنَّ الَّذِينَ اْخْتَلفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِباعَ الظَّنِ......) [3].

٢-ووردت بصيغة تشابه في ثلاثة مواضع، في سورة البقرة [4] وفي سورة آل عمران [5]، وفي سور الرعد [6].

---

(١) معجم المصطلحات الفقهية ص٣٨٢.

(٢) سورة النساء ،١٥٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ،لعماد الدين ابن كثير الدمشقي، دار الأندلسي، حائل السعودية ،ومكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ،طبعة ١٤١٣م،ج١ ص ٥٤٤.

(٤) سورة البقرة ،٧٠.

(٥) سورة آل عمران، ٧

(٦) سورة الرعد ١٠٦

٣- وأمَّا المقصود بـ "المثاني " فهي لغتًا تعني: (المَثَانَةُ): كيسٌ في الحوض يتجمع فيه البول رشحًا من الكليتين [١].

اصطلاحًا: يتضح مفهوم كلمة " المثاني من خلال قوله تعالى :في سورة الزُّمر (آية ٢٣):(الله نَزّلَ أحسنَ الحديثِ كِتَبًا مُتشَبِهًا مثانِيَ تقشعر منهُ جلودُ الذين يخشونَ رَبهُم ثُمَّ تلين جُلُودهم وقلوبُهُم إلى ذكر الله ذلك هُدى الله يهدي بِهِ من يشاءُ ومن يُضلل الله فما له من هادٍ)، فقد وصف الرآنن كله بأنه متشابه.

فمعنى كلمة مثاني كما وردت في كتب إعراب القرآن مثل كتاب الكشاف للزمخشري:فسَّر الزمخشري هذه الآية قائلا " و(كتابًا) يدل من أحسن الحديث، ويحتمل أن يكون حالًا منه(ومتشابهًا) مطلق في مشابهة بعضه بعضًا فكان متناولًا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام، والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون(مثاني) بيانًا لكونه متشابهًا لأنّ القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى: مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل: لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد، ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة..." [٢].

ووردت في سورة الحجر(الآية:٨٧) (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ العَظِيمَ)"...و(المثاني)من التثنية وهي التكرير؛ لأنّ الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء لاشتمالها أعلى ما هو ثناء على الله، الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية، وأمّا السور أو الأسباغ: فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيدوغير ذلك، ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى، وصفاته الحسنى،..."[٣].

---

(١) المعجم الوسيط٨٥٤

(٢) انظر. الكشاف /ص٩٣٨.

(٣) انظر. الكشاف /ص٥٦٥.

ثالثا: التعريف بكتاب "كشف المعاني في المتشابه من المثاني "

وأما عن منهج ابن جماعة في تفسير المتشابهات من خلال كتابه "كشف المعاني في المتشابه من المثاني "

كانت إذا تكررت الآيات المتشابهة في سور مختلفة فإنه يحيل الجواب إلى الموضع الذي أجاب عنها فيه، ولم ينس – يرحمه الله-أن يذكر ذلك إلا في مسألتين أو ثلاث أشرنا إليها في مواضعها من هذا الكتاب.

في بعض المسائل يكرر أجوبتها بطرق مختلفة إن وردت في عدة مواضع.

كما أنه سلك منهج الإمام الكرماني وطريقته التي سار عليها في تأليف كتاب البرهان، وهو المنهج نفسه الذي سار عليه الخطيب الإسكافي وابن الزبير الغرناطي، لكن كتاب البرهان خصيصًا لوجه الشبه بينهما في اتّباع أسلوب الإيجاز والاختصار في توجيه الآيات المتشابهة، وقد أورد المؤلف مقدمة قصيرة جدًا وأوضح فيها سبب تأليف الكتاب، دون أن يشير إلى المنهج الذي سيتبع في توجيه الآيات المتشابهة، وأما ما يمكن تويحه في هذا الخصوص فهو مايأتي:

رتَّب المؤلف الآيات حسب ترتيب التلاوة، بدأ بسورة الفاتحة وانتهى بسورة الناس، وفي كل سورة يتناول الآيات حسب ترتيب المصحف.

يذكر أيضا كل موضع في مكانه فإذا كان تحدث عن الآية مع الآية الأم نراه يشير إلى الموضع بقوله : جوابه سبق في سورة كذا، أو جوابه تقدم في سورة كذا، أو تقدم الجواب قريبًا، وأحيانًا يؤجل الحديث عن الآية حتى يصل إلى السورة التي فيها الآية الأخرى المشابهة، فمثلًا يقول في قوله تعالى في سورة البقرة :(ويقتلون النبيين بغير حق):٦١، وقد قال تعالى :(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا):٥١، جوابه في سورة غافر)[٢]، ويقول: قوله تعالى (يرزقون فيها بغير حساب) غافر :٤٠، وقال تعالى في سورة عم :(عطاءً حسابًا):٣٦، جوابه في عمّ[٣]، ومثل ذلك قوله: مسألة : قوله تعالى:(خلائف الأرض) الأنعام :١٦٥، وفي فاطر (في الأرض) :٣٩، يأتيّ الجواب فيها [٤]، وأحيانًا يشير إلى أن الموضع تقدم الحديث عنه في سورة كذا، فإذا رجعت للسورة

التي أشار إليها لم تجد توجيهه، كما حصل في آية الزمر(ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) :٣٥، فذكر أنه سبق الحديث عن الآية في قوله تعالى في سورة النحل :(بأحسن ما كانوا يعملون):٩٦[٥]، وهذا يدعونا للسؤال هل يمكن أن يكون قد فقد بعض أجزاء الكتاب، لأنه بعيد أن يقول : قد سبق الحديث عنه في سورة كذا، وهو لم يتحدث، وهل يمكن أن يكون الشيخ أملى الكتاب على تلاميذه، وفات عليهم بعض ما أملاه.

أخذ ابن جماعة أسلوب الكرماني في كتابه البرهان، حيث اعتمد على الإيجاز والاختصار في توجيه الآيات المتشابهة، فبعضها لا يتجاوز الحديث عنها سطرين [٦].

ومن الأمور الملاحظة على منهج ابن جماعة أنه يعرض أحيانًا في كتابه توجيه آية مفردة ليست من الآيات المتشابهة فيكون حديثه لتوضيح المعنى المراد من الآية، من ذلك قوله: قوله تعالى :(فعلتها وأنا من الضالين) الشعراء :٢٠، جوابه: المراد الضالين عن الصواب فيها لا الضلال في الدين) [٣]، ويقول في قوله تعالى في سورة إبراهيم:(لكل صبار شكور) :٥ (لم يقل صبور ولا شكار، فما فائدة ذلك التغاير وكلاهما للمبالغة؟ جوابه أن نعم الله تعالى مستمرة متجددة في كل حين وأوان فناسب (شكور)، لأن صيغة فعول تدل على الدوام، كصدوق، ورحوم وشبهه. وأما المؤلمات المحتاجة إلى الصبر عليها فليست عامة بل تقع في بعض الأحوال فناسب صبّار، لأن فعالًا لا يشعر بالدوام كنوّام وركّاب وأكّال ولمراعاة رؤوس الآي) [٤].

وقد قال عنه محقق هذا الكتاب " أما كتابنا الذي بين أيدينا وهو (كشف المعاني في المتشابه من المثاني)، للعلامة بدر الدين بن جماعة، فهو من أهم هذه الكتب جميعها، بل وأوفاها مادة، وأوسعها بحثًا، وأدقها توجيهًا، وهو فوق كل ذلك من أقدم ما عرف من هذه المصادر المكتوبة كلها...."[١].

وكلامه هذا ليس فيه خطأ يحتاج إلى صواب، فالكتاب له مكانته التي يحتلها بين مصنفات هذا العلم، ولكنه لو اطلع على كتاب درة التنزيل، والبرهان، وملاك التأويل، ثم عقد مقارنة بينها وبين كتاب كشف المعاني، لعلم بأثر أولئك في كتاب كشف المعاني، كما فعل ذلك محقق كتاب البرهان، ومحقق كتاب ملاك التأويل،

فقد كانت مقدمة تحقيقهما للكتابين لأشبه ما تكون ببحث مصغّر عنهما يستحق التقدير، لاسيما في مسألة التأثر والتأثير.

المصادر التي أعتمد عليها ابن جماعة:

ابن جماعة رحمه الله عرف بالإكثار من التأليف، وفي فنون مختلفة، وقد سبق ذكر مصنفات له في التفسير والحديث والفقه واللغة وغير ذلك، فكان لهذه القدرات العلمية أثرها في نفسه، والكتاب الذي بين أيدينا، وهو كشف المعاني، دليل على تلك القدرات، فالكتاب وإن اعتمد الإيجاز في توجيهاته، ففيه روح العالم المتمكن من مادته العلمية، وبتأمل ما جاء في كتاب (كشف المعاني) نلاحظ اعتماده على أمور منها :

١-علوم القرآن الكريم، فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا..........ذكر أمثلة من الكتاب، كذلك النظر الدائم في سياق الآيات والسور، من ذلك أيضًا مسألة ترتيب التلاوة، وأسباب النزول (٤)، وهذه طريقة كتب المتشابه، حيث اعتمدت على هذا المصدر.

كتب المتشابه اللفظي : سبق أن ذكرت في أكثر من موضع أن كتب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بينها تأثر واضح، فالمتأخر ينقل عن المتقدم، وبعضها يصرّح بالنقل، وبعضها لا يصرح، وقد عرفنا فضل الخطيب الإسكافي على كل من ألّف في المتشابه بعده، لأن كتابه هو الأول في هذا العلم، وقد أشار إلى ذلك الكرماني في البرهان، وابن الزبير في ملاك ذكر علماء اللغة أن المتشابه يطلق في اللغة على ماتماثل من الأشياء، وأشبه بعضها بعضًا، وعلى مايلتبس من الأمور[١]، يقول المناوي (ت١٠٣١): (المتشابه: المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل[٢]).

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري: ٦/ ٢٢٣٦، ومعجم مقاييس اللغة: ٣/ ٢٤٣، وأساس البلاغة: ٤٧٧/١، ولسان العرب: ١٣/ ٥٠٣، والقاموس المحيط: ١٦١٠.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤف المناوي: ٦٣٣.

أما متشابه القرآن حين يطلق فإنه يطلق على نوعين،النوع الأول :المتشابه المعنوي، وهو يقابل المحكم، وقد دار حول هذا النوع جدل كبير بين العلماء لتحديد المراد منه في القرآن الكريم، وهوليس مجال بحثي في هذه الرسالة، وخلاصة ذلك أن المراد به الغامض المشكل مما استأثر الله سبحانه بعلمه كعلم المغيبات، وعلم الساعة، أو أنه مما التبس فهم المراد منه، من حيث خرج ظاهره عن دلالته على المراد به، لشئ يرجع إلى اللغة، أو العقل أو غير ذلك[1]، وقد تناوله الزركشي في البرهان، في النوع السادس والثلاثين (معرفة المحكم من المتشابه)، كما بحثه السيوطي في الإتقان، وكذلك في معترك الأقران، وكذلك كتاب التحبير[2]، وأبرز كتب هذا النوع : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت٢٧٦)، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي(ت٤٠٦)، ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥).

أما النوع الثاني وهو مجال البحث في هذه الرسالة، فهو المتشابه اللفظي، والمراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة في قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديما وتأخيرا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك، مع اتفاق المعنى العام لغرض سياقي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لايدركه إلا من آتاه الله علما وفهما لأسرار كتابه، وهي بحق كنز ثمين من كنوز إعجازه، وسر من أسرار بيانه.

يقول الزركشي: "هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب :ليعلمهم عجزهم عن جميع طُرِق ذلك) [3]، ومراده بالقصة : الأمر والموضوع مطلقا، سواء

---

(١) الدكتور عدان زرزور: متشابه القرآن دراسة موضوعية، ١٥ -٥٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١١٣/١، الإتقان في علوم القرآن: ٢/٢، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن: ١٠٣/١، والتحبير في علم التفسير: ١٠١.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١١٣/١.

ورد الاختلاف في أثناء القصة القرآنية، أو غيرها، وهذا النوع أُلّف فيه العلماء مؤلفات كثيرة جدا[1].

من ذلك (متشابه القرآن) لعلي بن حمزة الكسائي (ت١٨٧)، و(حل الآيات المتشابهة) لمحمد بن الحسن بن فورك (ت٤٠٦)، و (هداية المرتاب)لعلي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣)، وهذه الكتب مع غيرها أشبه ما تكون بمعاجم لجمع الآيات المتشابهة من غير توضيح العلل والأسباب لذلك الاختلاف بين الآيات.

ويستثنى من الكتب التي ألفت خمسة كتب اعتنت بتعليل الآيات المتشابهة في ألفاظها، هي محل البحث والدراسة وهي :

أولا: كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل) للخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠) [2]، ويعد بحق أهم كتب هذا الفن، وهو أول من فتح أبواب هذا العلم.

ثانيا: كتاب (البرهان في متشابه القرآن) لمحمد بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥) [3]، وهو مطبوع بعدة تحقيقات من أفضلها تحقيق: أحمد خلف، وقد اعتمد الكرماني على كتاب الإسكافي كثيرا، كما اختصر وأوجز مواضع كثيرة منه.

ثالثا: كتاب (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل)لابن الزبير الغرناطي (٧٠٨) [4]، وهو أوسع الكتب وأبسطها.

---

(١) انظر: كتاب متشابه القرآن دراسة موضوعية، ومقدمة تحقيق كتاب درة التنزيل: ٤٩- ٥٢.

(٢) (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي الرازي، وصفه السيوطي (ت٩١١هـ) بالأديب اللغوي، وقال عنخ الحموي (ت٦٢٦هـ) في معجم الأدباء: (...صاحب التصانيف الحسنة، وأحد أصحاب ابن عباد (ت٣٨٥هـ) ، وكان من أهل أصبهان، وخطيبًا بالري...) ، لقّب بالخطيب الأصبهاني نسبة إلى أصبهان، وهو موطنه الأصلي، وبالرازي نسبة إلى الري، وهي التي تولى فيها الخطابة، أما الإسكافي فنسبة إلى الأسكفة، وهي حرفة كان ينتسب إليها/انظر ترجمته في: معجم الأدباء: ٢٥٤٩/٦).

(٣) الإمام الكَرْمَاني هو محمود بن حمزة بن نَصْـر الكَرْمَاني، النحوي، تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان رحمه آية في الفهم، وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه كرمان، ولا رحل عنها هكذا قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء، وترجمته تعد الأم، وقد تناولها المترجمون بعده، زاد عليها من زاد، واختصر من اختصر/ انظر ترجمته في: غاية النهاية لابن الجزري: ٢٩١/٢.

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، يكنّى بأبي جعفر، وكذلك بابن الزبير نسبة لأحد أجداده، وعرف بالثقفي نسبة إلى قبيلته ثقيف، وبالغرناطي نسبة إلى غرناطة

رابعا: كتاب (كشف المعاني في المتشابه من المثاني) لبدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣)، وقد اعتمد ابن جماعة على كتاب الكرماني (جلب أمثلة على ذلك)، كما أفاد من ابن الزبير، وهو موضوع هذه الدراسة.

خامسا: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن)لأبي يحي زكريا الأنصاري (ت٩٢٦)[١]، وقد اختصر ما ذكره الكرماني.

موضوع الكتاب : موضوعه العام في تفسير كلام الله العزيز، وموضوعه الخاص في تفسير "المتشابِه " من الآيات.

- وجاء في كشف الظنون باسم "كشف المعاني عن متشابهة المثاني – للقاضي بدر الدين "محمد بن جماعة"
- أما صاحب الأعلام فقد ذكره باسم "كشف المعاني في المتشابه من المثاني "، وأشار إلى أن الكتاب مخطوط(٢٦).

ولقد اعتمد "ابن جماعة "– رحمه الله- على كتاب (البرهان) للكرماني، وكتاب (ملاك التأويل) لابن الزبير، وقبلهما كتاب (درة التنزيل) للخطيب الإسكافي.

أما موضوع الكتاب فهو واضح من عنوانه الذي يفيد الكشف عن الاختلاف بين الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، وقد أوضح ذلك في مقدمة الكتاب[٢].

سبب تأليفه: أوضح ابن جماعة أن سبب تأليف الكتاب جاء بناء على ما ورده من أسئلة في دروسه التي عقدها عن سبب الاختلاف بين تلك الآيات، كما أوضح أن كثيرا منها لم يذكر في كتب التفسير، فجاء هذا الكتاب، ليوضح ماخفي من ذلك، فأزال الإبهام، وبدد الأوهام.."[٣].

التي استقر بها وترعرع، كما عرف بالأندلس نسبة إلى الأندلس، وكان رحمه الله يلقب بالأستاذ تعظيمًا لشأنه وتنويهًا بمكانته في العلم والدين.

(١) هو شيخ الإسلام أبو يحيي زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السُّبكي المصري الشافعي، وسُبَكة نسبة إلى بلده التي ولد بها، وهي من أعمال الشرقية بمصر، وقد كان مولده رحمه الله بسنيكة سنة ٨٢٥هـ، وقيل قبل ذلك بسنة، وقيل بعدها بسنة

(٢) انظر: كشف المعاني :٧٩-٨٠

(٣) المصدر السابق:٧٩ – ٨٠

أما أبرز من أثَر في كشف المعاني فهو كتاب (البرهان) للكرماني، ولولا بعض الاختلافات بين الكتابين لقلنا هما نسخة واحدة لكتاب واحد، فوجه الشبه بينهما واضح في طريقة توجيه الآيات، وكذلك في المنهج المتبع، وكذلك الأسلوب الذي يتم به إيضاح العلة، لكن العجب أن ابن جماعة لم يشر إلى الكرماني، أو إلى كتاب البرهان بأي إشارة، مع أن الأدلة كثيرة على أنه اطلع على الكتاب، فكتاب البرهان كان معروفًا في بلاد الشام، والمدة الزمنية بينهما طويلة جدًا فهي كافية لانتشار الكتاب، والذين ترجموا للكرماني في عصر ابن جماعة ذكروا كتاب البرهان(١).

ومن يعقد مقارنة بين الكتابين يلحظ شبهًا كبيرًا بينهما، فقدرة ابن جماعة العلمية واللغوية مشابهة تمامًا لقدرة الكرماني، ولهذا كان يتصرف كثيرًا في اللفظ، أما المعنى فهو واحد في الأغلب، ولا يخلو الكتاب من إشارات ولمحات جيدة نذكرها بإذن الله في الحديث عن قضايا الكتاب وقيمته العلمية.

ومن الأمثلة توجيه ابن جماعة لآيات سورة الكهف {لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها }:(٧٩)، وبعدها {فأردنا أن يبدلهما ربهما }:(٨١)، وبعدها {فأراد ربك }:(٨٢)، يقول ابن جماعة: (إن هذا حسن أدب من الخضر مع الله تعالى، أما في الأول فإنه لما كان عيبًا نسبه إلى نفسه، واما الثاني فلما كان يتضمن العيب ظاهرًا، وسلامة الأبوين من الكفر، ودوام إيمانهما باطنًا قال : (أردنا)، كأنه قال :أردت أنا القتل وأراد الله سلامتهما من الكفر وإبدالهما خيرًا منه، وأماالثالث : فكان خيرًا محضًا ليس فيه ما ينكر لاعقلًا ولا شرعًا نسبه إلى الله وحده فقال :فأراد ربك) (٢).

ولك أن تعقد مقارنة مع توجيه الكرماني المتقدم عليه لترى الأثر يتجلى بوضوح، يقول الكرماني : (لأن الأول في الظاهر إفساد، فأسنده إلى نفسه، والثاني إنعام محض فأسنده إلى الله عز وجل، والثالث – (فأردنا) – إفساد من حيث القتل،

(١) انظر: تأثير درة التنزيل فيمن بعده في الفصل الأول من هذا الباب، وكذلك تأثر الكرماني به في الفصل الثاني، وتأثر ابن الزبير به في الفصل الثالث
(٢) كشف المعاني: ص٢٤٣.

وإنعام من حيث التبديل فاسنده إلى نفسه وإلى الله سبحانه، وقيل : لأن القتل كان منه، وإزهاق الروح كان من الله امر) [1].

ومثال آخر يوضح لنا عمق تأثيركتاب البرهان في الكشف يقول ابن جماعة عن قوله تعالى في تعالى في البقرة : {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا }: ١٣٦، وقوله في آل عمران : {قل آمنا بالله ومأأنزل علينا }:٨٤(صدّر آية البقرة بقوله : {قولوا }وهو خطاب للمسلمين رادًا على قول أهل الكتاب :{كونوا هودًا أونصارى }، قال (إلينا)، ولما صدّر آية آل عمران بقوله (قل)قال (علينا)، والفرق بينهما ان (إلى)ينتهى بها من كل جهة، و(على)لاينتهي بها إلا من جهة واحدة، وهي العلو، والقرآن يأتيّ المسلمين من كل جهة يأتيّ مبلغه إياهم منها، وإنما أتى النبي(ص) من كل جهة، و(على)لاينتهي بها إلا من جهة واحدة، وهي العلو، والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مبلغه إياهم منها، وإنما أتى النبي (ص)من جهة العلو خاصة، فحسن وناسب قوله(علينا) لقوله (قل) مع فضل تنويع الخطاب، وكذلك أكثر ماجاء في جهة النبي (ص)ب (على) وأكثر ماجاء في جهة الأمة ب (إلى) [2].

هذا التوجيه هو توجيه الكرماني الذي يقول :(...لأن (إلى) للانتهاء إلى الشئ من أي جهة كان، والكتب منتهية إلى الأنبياء وإلى أممهم جميعًا، والخطاب في هذه السورة للأمة لقوله{قولوا} فلم يصح إلا (إلى)، و(على)مختص بجانب الفوق وهو مختص بالأنبياء، لأن الكتب منزلة عليهم لا شركة للأمة فيها، وكان في آل عمران {قل}وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم دون امته، فكان الذي يليق به على) [3]، والأمثلة في ذلك كثيرة جدًا، وقد بينت ذلك ضمن حديثي عن كل مسألة أقوم بدراستها في البابين الثاني والثالث.

ويأتي بعد الكرماني ابن الزبيرالغرناطي حيث أفاد منه ابن جماعة في كثير من المسائل التي خرج فيها ابن جماعة عن قول الكرماني، أو ذكر فيها قولًا آخر يختلف

---

(١) البرهان:٢٥٨

(٢) كشف المعاني: ١٠٧ – ١٠٨.

(٣) البرهان: ١٣١ – ١٣٢.

عن قول الكرماني، فإذا نظرت وجدت أصل توجيه ابن جماعة في (ملاك التأويل) لابن الزبير، من ذلك توجيهه للوصف بمعلوم في قوله تعالى في المعارج : { والذين في أموالهم حق معلوم }:٢٣، وحذفه له في آية الذريات {حق للسائل والمحروم}:١٩[١]، ومن ذلك أيضًا توجيهه لزيادة قوله (منهم) في آية الفتح {وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيمًا}:٢٩[٢]، ومثل ذلك ربطه لآيتي سورة الملك {أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض }:١٦ – ١٧ بآية الأنعام {قل هو القادرعلى أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم }:٦٥[٣]، وكذلك توجيهه لوصف الغلام بالحلم في الصافات {فبشرناه بغلام حليم }:١٠١، وفي الذاريات بالعلم {بغلام عليم}[٤]، وقد أوضحت تأثر ابن جماعة بابن الزبير في كل مسألة من مسائل البحث في البابين القاني والثالث، حيث يدور البحث حول توجيه علماء المتشابه للآيات المتشابهة في ألفاظها.

تأثيره فيمن بعده :

لم يكن تأثير ابن جماعة فيمن بعده كتأثير من تقدمه من علماء المتشابه اللفظي، إذ إن كتابه يعتبر تلخيصًا للكتب المتقدمة عليه في موضوع المتشابه اللفظي، لاسيما كتاب البرهان للكرماني، وهذا لا يعني أنه ليس في الكتاب وقفات وتأملات حسنه، خرج بها ابن جماعة، وقد تحدثت عنها في مواطنها في الفصل الثالث.

أما أثر كتاب كشف المعاني فيظهر في كتاب فتح الرحمن "لأبي يحيي الأنصاري" المتوفى سنة : ٩٢٦هـ، فمن يطالع الكتابين يجد بينهما تشابهًا كبيرًا سواء في المادة أو في المنهج والطريقة، حتى في الأسلوب الموجز الذي يعتمد الاختصار في توجيه الآيات المتشابهة، كما أن بينهما توافقًا في توجيه أغلب المسائل.

---

(١) كشف المعاني: ٣٦٤، ملاك التأويل: ١٠٣٥/٢.
(٢) كشف المعاني: ١٤٦، وملاك التأويل: ٣٧٤/١.
(٣) كشف المعاني: ٣٦١، وملاك التأويل: ١٠٩١/٢.
(٤) كشف المعاني: ٣٠٨، وملاك التأويل: ٧٢٥/٢.

ومع هذا لم نجد أي إشارة من الأنصاري لابن جماعة. مع العلم أن ابن جماعة لم يذكر أي إشارة إلى علماء المتشابه الذين سبقوه لا سيما الكرماني، والحال مع الأنصاري أشد إذ كان ينقل كلام الكرماني بنصه كما ورد في البرهان، ومع هذا لم يشر إلى ذلك، وسأوضح ذلك حديثي عن كتب المتشابه.

ومن الأمثلة على تأثر الأنصاري بابن جماعة توجيه الأنصاري لآية البقرة {فانفجرت منه اثنتاعشرة عينًا}:٦٠، وفي الأعراف جاء التعبير بقوله :{فانبجست }:١٦٠،يقول (الأول أبلغ لأنه انصاب الماء بكثرة، والانبجاس ظهور الماء، فناسب ذكر الانفجار هنا الجمع قبله بين الأكل والشرب الذي هو أبلغ من الاقتصار على الأكل) [(١)].

ويقول ابن جماعة المتقدم عليه في هذا الموضع (قيل إن الانبجاس دون الانفجار، وإن الانفجار أبلغ في كثرة الماء فعلى أن سياق نعمته اقتضى ذكر الانفجار وناسبه، وقيل : هما بمعنى واحد، فيكون من تنويع الألفاظ والفصاحة) [(٢)].

ومسألة الموافقة بينهما في توجيه الآيات كثيرة جدًا، لأنهما يعتمدان في توجيه الآيات على توجيه الإمام الكرماني بوجه خاص، فإذا نظرت إلى توجيه الشيخين، ورجعت لكتاب البرهان وجدت أصل التوجيه عنده، وكثيرًا ما ينقلان نص الكرماني ،وبالذات الأنصاري..." [(٣)].

قضايا الكتاب وقيمته العلمية :

كتاب كشف المعاني أحد الكتب المتخصصة في توجيه الآيات المتشابهة تشابهًا لفظيًا، وقد عرفنا أن ابن جماعة قد اعتمد على الكُتب التي صُنّفت قبل كتابه، وهي كتاب درة التنزيل للإسكافي، والبرهان للكرماني، وملاك التأويل لابن الزبير، وقد قام ابن جماعة بتخليص كتاب البرهان للكرماني، وجاء بمسائل كثيرة ليست من

(١) محمد أبو موسي: المتشابه اللفظي في القرآني الكريم وأسراره البلاغية،١٤٢١هـ / ٢٠٠١م،ص
(٢) فتح الرحمن: ٢٩.
(٣) كشف المعاني: ٩٧ – ٩٩،كتاب البرهان للكرماني: ١٢٥.

المتشابهة، وهذه المسائل عبارة عن تفسير لبعض الآيات التي يرى أنهاتحتاج إلى إيضاح، وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك فيما بعد، أما

معالم الكتاب وقضاياه فتتمثل فيما يلى:

١- المنهج التطبيقي، وهو منهج اتبعه علماء المتشابه قبل ابن جماعة، وسار على نهجهم ابن جماعة في كتابه، مختصرًا توجيهاتهم وتعليلاتهم، وهو أمر مشاهد في الكتاب، إلا أن هذا التطبيق لا يقارن بتطبيق الخطيب الإسكافي أو ابن الزبير الغرناطي، حتى الكرماني حيث اختصر ابن جماعة بعض مسائله...".

٢- الأسلوب: جاء أسلوب ابن جماعة في كتابه موافقًا لأسلوب الكرماني في البرهان، فاعتمد على الإيجاز، فمثلًا تعريف البلد في سورة إبراهيم وتنكيره في البقرة، يوجز لنا التوجيه في سطرين فيقول:(إن البقرة دعا بها عند ترك إسماعيل وهاجر في الوادي قبل بناء مكة وسكني جرهم فيها، وآية إبراهيم بعد عوده إليها وبناها) [١]، بينما توجيه الكرماني فيه تفصيل أكثر [٢]، ومثل ذلك كثير.

وحين نتأمل مسائل ككتاب كشف المعاني نلحظ أن ابن جماعة في توجيه بعض المسائل يختلف عن توجيه الكرماني، فيقوم ابن جماعة يبسط المسألة أكثر من الكرماني، وإلا فإن توجيهه مقارنة بتوجيه الإسكافي، أو ابن الزبير يعد مختصرًا، من ذلك حديثه عن قوله تعالى في النساء {كونوا قوامين بالقسط شهداء لله }:١٣٥، وفي المائدة : {قوامين لله شهداء بالقسط }:٨، يقول عن التقديم والتأخير في الآيتين : (إن الآية هنا – آية النساء – تقدمها نشوز الرجال وإعراضهم عن النساء والصلح على مال، وإصلاح حال الزوجين والإحسان إليهن وقوله تعالى:{ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء}:(١٢٩)، وقوله تعالى :{وأن تقوموا لليتامى بالقسط }:(١٢٧)، وشبه ذلك، فناسب تقديم القسط وهو العدل، أي : كونوا قوامين بالعدل بين الأزوج وغيرهن، واشهدوا لله لا لمراعاة نفس أو قرابة.

---

(١) كشف المعاني: ١٠٥ – ١٠٦.

(٢) البرهان: ١٣٠ - ١٣١

وآية المائدة جاءت بعد أحكام تتعلق بالدين، والوفاء بالعهود والمواثيق لقوله تعالى : {أوفوا بالعقود }إلى آخره، وقوله تعالى قبل هذه الآية {واذكروا الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به}:٧الآية، ولماتضمنته الآيات قبلها من أمر ونهي، فناسب تقديم (لله)أي: كونوا قوامين بما أمرتم أو نهيتم لله، وإذا شهدتم فاشهدوا بالعدل لابالهوى) [١].

أما التوجيه الذي أورده الكرماني فهو (أن الله في هذه السورة – النساء – متصل ومتعلق بالشهادة بدليل قوله تعالى : {ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين}، أي:ولو تشهدون عليهم، وفي المائدة متصل، ومتعلق بـ(قوامين)، والخطاب للولادة بدليل قوله: {ولايجرمنكم شنآن قوم}الآية) [٢].

فابن جماعة رحمه الله نظر في السياق المتقدم لآية النساء فلاحظ أن هناك دواعي ومعاني اقتضت تقديم القسط، الذي هو العدل، ففي الآية نفسها جاء نشوز الرجال، وكذلك الصلح على مال، وأيضا إصلاح حال الزوجين، وبعد الآية جاء قوله :{ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء...}، وقبلها جاء {وأن تقوموا لليتامى بالقسط }:١٢٧، فكل هذه المعاني اقتضت تقديم القسط في الآية.

أما آية المائدة فالسياق الذي تقدمها يقوم على أحكام عامة تتعلق بالدَيْن، والوفاء بالعهد، وذكر نعمة الله تعالى على عباده، فهذه المعاني اقتضت تقديم قوامين لله على شهداء بالقسط، وهكذا تتجلى روح ابن جماعة في النظر في سياق الآيات، واستخرج هذا المناسبة لمعرفة أسرار التقديم والتأخير في الآيتين.

أما توجيه الكرماني فمقبول أيضًا وهويقوم على النظر في المناسبة المعنوية للآيتين فآية المائدة الخطاب فيها للولادة، وهذا يقتضي تقديم قوامين لله، لأن القوامة من شأن الولاية، ولذلك جاء قوله : {ولا يجرمنكم شنآن قوم}.

---

(١) كشف المعاني: ١٤٢ – ١٤٣.

(٢) البرهان :١٧٥

ومن ذلك أيضًا توجيه ابن جماعة لآية المائدة {وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم }:٢٠، وفي إبراهيم حذف النداء {وإذ قال موسى لقومه اذكروا }:٦، يقول رحمه الله :(إن الخطاب بحرف النداء واسم المنادى أبلغ وأخص في التنبيه على المقصود، وفيه دليل على الاعتناء بالمنادى وتخصيصه بما يريد أن يقوله له.

فلما كانت آية المائدة في ذكر أشرف العطايا من النبوة والملك وإيتاء مالم يؤت أحدًا من العالمين، وهو المن والسلوى، وهم ملتبسون به حاله النداء حق لها وناسب مزيد الاعتناء بالنداء وتخصيص المنادى، ولذلك أيضًا قال : {ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة}:٢١،لأن ذلك من أعظم النعم عليهم فناسب التخصيص بذكر المنادى، ولما كانت آية إبراهيم بذكر ما أنجاهم الله تعالى منه من قبل فرعون، وكان ذلك مما مضي زمانه لم يأت فيه بمزيد الاعتناء كما تقدم في المائدة)[1].

في هذا الموضع يربط ابن جماعة رحمه الله ذكر المنادى بمقدار مايذكر به، فإذا كان الذي يذكر به أمرًا جليلًا، قال: ياقومي، وبذلك أفاد الخصوص، وأشعر بجلال النعمة، ومعلوم أنه حين يقال:{وإذ قال موسى لقومه اذكروا}، المراد ياقومي اذكروا، فكلمة قومي مدلول عليها ب قوله:(لقومه)، ولكن ابن جماعة أوضح أن هناك فرقًا كبيرًا بين الموضعين، فحين يذكر النداء مع المنادى يراد به التنبيه والاهتمام، فهذا النداء ينبه المخاطب ويوقظه.

وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله حين تحدث عن حذف المفعول، فأوضح أن ثمة فرقًا بين أن تخبر عن الشئ بعد التنبيه له والتهيئة، وأن تخبر عنه بغتة[2].

ومن الملاحظ على كتاب كشف المعاني أن المؤلف لايذكر أقوال المفسرين أو اللغويين، وهذا يوضح منهجه الذي سار عليه، فاختصر الكلام وأوجز التوجيهات.

---

(١) كشف المعاني: ص١٤٩،انظر مثل ذلك: ١٥٧،١٥٩،٢٠٥،٢١٥،٢١٦،٢٢٦،٢٥٨.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٦٤.

٣- وضوح الشخصية: مع أن ابن جماعة رحمه الله قد استفاد كثيرًا ممن سبقه في هذا الفن، إلا أننا نلحظ وضوح شخصية المؤلف، وهي شخصية فعالة لها أثرها في الكتاب، فمع قدرة ابن جماعة اللغوية، وحسن أسلوبه في عرض المسائل، جاء الكتاب بشخصية واضحة، حتى أنك لتحس أن التوجيهات التي أخذها ممن سبقه، كأنه مبدعها، لبراعته اللغوية والأسلوبية، وقوة شخصيه في عرض التوجيه، ولكن حين نعقد مقارنة مع ما جاء به علماء المتشابهة قبله يتضح لنا متابعته لهم، ولكن بعبارة أخرى، وأسلوب مختلف.

رابعًا: ماهية السياق وأنواعه

تعريف السياق :

لغتا: جاء في اللسان[١] أن السياق من سياق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً وهو سائقٌ قال تعالى :(وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) [٢].

وساق إليها الصداق والمهر سياقاً وأساقه وإن كان دراهم ودنانير. والسياق المهر لأنهم كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرًا. تقول رأيت فلانًا يسوق سوقًا) أي بنزع نزعًا عند الموت.

ويقال فلان في السياق أي في النزع. والسياق نزع الروح. وأصله سواق فقلبت الواو يا لكسرة السين وهما مصدران ومن ساق يسوق.

السياق في اللغة ذو تشكلات عديدة ،وفي اللسان يلأتي بمعنى المتابعة[٢]، ومنه" ساق الإبل يسوقها سوقًا وسياقا،وتساوقت الإبل أي تتابعت "[٣].وفي أساس البلاغة أنّ المجاز قولهم : فلان يسوقُالحديثَأحسن سياق"، و"هذا الكلام مساقه إلى كذا[٤].

ومعناه هنا النمط الذي يتخذه الحديث في تتابعه، وقريب من هذا ما ورد في المعجم الوسيط : ساق الحديث : سرده وسلسلة، وساوقه:تابعه وسايره

(١) ابن منظور : لسان العرب : ج١٠، بيروت – دار صادر، د، ت :(مادة سوق)
(٢) سورة ق :(الآية – ٢١)
(٣) خُلود العموش: الخطاب القرآني "دراسة في العلاقة بين النص والسياق"،ص٢٥.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادّة (سوق).

وجاراه،وسياق الكلام :تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه[1] ولا ريب أنّ الكلمة قد مرت بتطورات عديدة حتى وصلت إلى معناها الذي نعرفه اليوم.

وذلك لأن المعاجم لا تفرد تعريفا كافيا لكلمة السياق مجرده عن نعوتها، (كالسياق اللغوي أو (سياق الحال).

مفهوم السياق في الاصطلاح:

وقد تكون كتب التفسير وكتب الأصول من أوائل الكتب التي تبلور فيها معنى السياق كمصطلح، كما نجد ذلك في (الرسالة) للإمام الشافعي (ت٢٠٤) [2]. وتطلق لفظة (السياق)في عرف المفسرين على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمكتلم، وانتظمت اجزاؤه في نسق واحد، وقد تدل على السياق ألفاظ أخرى ؛كالمقام، ومقتضى الحال والتأليف، وغيرها.

ليس من اليسير أن يجد الباحث تعريفًا شافيًا للسياق على الرغم من استعمال هذه الكلمة كثيرًا في شتى مجالات الفكر والعلوم. ومعظم ماوجدته في تعريف السياق كمصطلح لا يتعدى تلك الومضات الخاطفه التي تشير إلى أقسامه، أو عناصره بل كثيرًا ما يتعرضون لصعوبة هذا الموضوع ومن تلك الأقوال :((السياق بمعناه العام الذي يشمل اللغة وغير اللغة هو مفهوم يصعب تحديده) [3].

ينحصر مفهوم لفظ (السياق) لدي القدامى في ثلاث نقاط:

الأولى: السياق هو الغرض.

أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، واستخدام المصطلح بهذا المفهوم شائع لدى البلاغيين والأصوليين.

---

(١) الزمخشري أساس البلاغة، مادّة (سوق).

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (سوق).

(٣) الشافعي، الرسالة، ص٥٨.

قال السرخسي:"القرينة التي تقتلرن باللفظ من المتكلم، وتكون فرقا فيما بين النص والظاهر هي السياق، بمعنى الغرض الذي سيق لأجله الكلام"[1].

السياق عند القدماء:

نظرا لأهميّة السياق في إجلاء معنى الكلمة المفردة داخل جملتها، ونظرا لأنّ عملية الكشف عن المعنى من الاهتمامات الأساسية للمفسّرين والأصوليين والبلاغيين واللغويين، لكونه يساعدهم في استنباط الأحكام والمقاصد الشرعية من القرآن الكريم، فلذلك سعوا جادّين في استخدامه استخداما مميزا، وبمصطلحات متنوعة.

لقد فطن القدماء إلى فكرة السياق بنوعيه: اللغوى وغير اللغوى. ونظرية النظم عندعبد القاہر خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوى، يقول عبد القاہر: "اعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه (علم النحو)، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك، فلا تخلّ بشىء منها "[2].

نلحظ هنا مدى الاهتمام بصحة الكلام، وصحة الكلام لاشك مرتبطة بصحة المعانى الناتجة عن فكرة الموقعية.. وهذا سياق لغوى.

كذلك نجد للزمخشرى اهتمامًا واضحًا بالسياق اللغوى فى تفسيره "الكشاف" خاصة فى توجيه الإعراب، حيث يقدم أكثر من وجه للآية، ولكل وجو معنى ومثال ذلك ما قدمه من وجوه فى إعراب هذه الآية : { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيه }[3] [4].

---

(١) أصول السرخسي، محمد بن أحمد السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ،ج١،ص١٦٤.

(٢) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص ٨١.

(٣) سورة البقرة، الآية (٢).

(٤) الزمخشري: الكشاف: ١٠٨/١.

يقول صاحب كتاب (دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث):" لقد كان ابن جني

سابقا لعصره عندما تحدّث عن أهميّة السيّاق الخارجي في الكشف عن المعنى من ناحية،وعندما ذكر أنّ غياب هذا السيّاق قد يؤدي إلى نوع من الخطأ في تفسير معاني الجمل أو العبارات، وقدنبّه إلى شيء من هذا بعض كبار المستشرقين الذين اهتمّوا بقضية المعنى في العربية الفصحى.

ومما ورد عن العلماء في أهمية السياق:

تبويب الإمام الشافعي في (الرسالة): "باب الصنف الذي يبين سياقُه معناه"

- الزركشي في حديثه عن دلالة السياق: "فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته سورة الدخان: "ذق إنك أنت العزيزالكريم"سورة الدخان: (٤٩) كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"[1].

وأمامفهوم مصطلح السياق في التراث العربي فقد أعتنى به عبد الوهاب الحارثي في دراسته التي تناولت مجموعة من المفسرين – ومنهم نحاة – والمسماة "دلالة السياق : منهجٌ مأمونٌ لتفسير القرآن الكريم "، فتحدث أولاً عن مفهومات السياق من الناحية اللغوية في نصوص المفسرين[2]، وأما من الناحية الإصطلاحية فالسياق في تعبير المفسرين في مايراه الحارثي يعني :الكلام الذي خرج مخرجًا واحدًا، واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلم ;أي إن السياق هو المعنى الذي يُرَجَّحُ عند المُفسِّر ان المولى عزوجل يقصده في الآية أو السورة.

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢) ، الخصائص، ط، ج٣، (تحقيق محمد علي النجار) ، المكتبة العلمية، القاهرة ،١٩٥٢م، ج١، ص ٢٤٨.

(٢) خليل خلف بشير العامري ،السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ،المجلد ٩ ،العدد٢،٢٠١٠،ص٤٢

وقد يضاف إلى القرآن عامة فيقال " سياق القرآن " ليدل على أحد أمرين:

١- الأعراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن؛ إلى جانب الأسلوب القرآني الذي يشبع في جميع تعبيراته.

٢- المواضع التي تتحد في موضوعها، أو تشابه مع اختلاف يسير بينها في الألفاظ، وطرق السرد، وترتيب الكلمات؛ لاختلاف المقام.

وأضاف إلى ذلك قوله إن للسياق مرادفات في اصطلاح المفسرين هي.

- المقام.
- المقتضى.

١- مقتضى الحال.

كما أن (أبو بكر الأ نباري) شدّد على أهمية السياق في الكشف عن المعنى المقصود للكلمة أو الحرف داخل الجملة:لأن بواسطته يتم اقتناص المعنى المراد.

السياق اللغوي ويشمل السياق الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والقصصي، ولكن في هذه الدراسة تختص بتسليط الضوء على السياق النحوي وهيا الأقرب إلى السياق القرآني وبمجال الدراسة.

السياق النحوي: ويعنى السياق النحوي بالبنية النحوية وعلاقات الكلمات، وظائفها، ومواقعها من الترتيب فعند تتبع الآيات التي ورد فيها لفظ الجلالة نجد الكثرة الكاثرة منها قد تقدم فيها المسند إليه على المسند.

السياق عند المفسرين :

السياق اللغوي في النص القرآن :هُوَ دِراسَةُ النّصِ القُرآنيّ من خِلالِ علاقاتِ ألفاظِه بعضِها ببعضٍ، والأدواتِ المُسْتَعْمَلَةِ للرّبطِ بينَ هذِه الألفاظِ، وما يترتَّبُ على تلكَ العلائِقِ من دلالاتٍ جزئيّةٍ وكلّيّةٍ، ويَنْبَغي تَحْكيمُ كلِّ هذه الأنواعِ من السّياقِ

عِنْدَ إرادَةِ دِراسةِ النّصِ القُرآنيِّ بمَنهجٍ سياقيٍّ مُتَكاملٍ، وإلا فإنّ الاقتصارَعلى السّياقِ التّاريخيّ.

هذا وإنّ اللغةَ التي ينبغي أن تُعَدَّ مَرجعًا في تَفسيرِ القُرآنِ الكَريمِ واستنباطِ الأحْكامِ منه هي اللّغةُ التي كانَت مُتَداوَلَةً في عصرِ التّنزيلِ، دونَ الالْتِفاتِ إلى اللُّغةِ الحادثة، وما طرَأَ عليها في العُصورِ التّاليةِ من تَطوّرٍ في دلالاتِ الألفاظِ، ممّا لا ينبغي تحكيمُه في فَهْمِ القرآنِ الكريمِ، وبَعيدًا عَن الرَّواسِبِ الفكريّةِ التي يَحمِلُها المفسّر فيُسقطها عَلى القُرآن، بما يُخْرِجُ النّصَّ عَن بَلاغتِه وأصالته[1].

يكاد السياق أن يكون من أكثر الألفاظ استعمالاً عند المفسرين على اختلاف مدارسهم، ومن الغريب أن تخلو هذه التفاسير من تعريفٍ واضح له، ومن الأغرب أن تخلو كتب علوم القرآن الكريم من هذا التعريف كذلك. وهذا ما آل ببعض المعاصرين.

إلى الاختلاف في تعريفه عند تصديهم لتعريف السياق والتأصيل له[2]:

أ-فمنهم من حصر السياق بالجانب المقالي ضمن حدود السباق واللحاق فمنهم من حصر السياق بالجانب المقالي ضمن حدود السباق واللحاق

مثل قولهم:

١-"تتابع المعاني وانتظامها في سـلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضـوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[3].

٢-"بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها".

ب) ومنهم من جعل السياق شاملا فضلاً ع ما سبق للحال أو المقام، ومن تعاريفهم:

(١) مجلة ١٤، جامعة دمشق–المجلد ٢٨ – العدد٣+٤-٢٠١٢

(٢) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي (رسالة دكتوراه): ١٤

(٣) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي: رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية: ١٤

- "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أُثر في فهمه: من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"

السياق اللغوي ويشمل السياق الصوتي، والصرفي، والنحوي،والمعجمي، والقصصي ،ولكن في هذه الدراسة تختص بتسليط الضوء على السياق النحوي وهيا الأقرب إلى السياق القرآني وبمجال الدراسة.

السياق النحوي: ويعنى السياق النحوي بالبنية النحوية وعلاقات الكلمات،وظائفها،ومواقعها من الترتيب فعند تتبع الآيات التي ورد فيها لفظ الجلالةنجد الكثرة الكاثرة منها قد تقدم فيها المسند إليه على المسند(١).

وجدير بالذكر أنه كان من المفسرين الاوائل نحويون ولغويون قدَّموا فهمهم للنص القرآني باسم " معاني القرآن" كما فعل الفرَّاء والأخفش، أو باسم " معاني القرآن وإعرابه" كما فعل الزجَّج، ولا شك في أن الدرس اللغوي بعامة والنحوي بخاصة مكَّنا أولئك العلماء ن تناول كتاب الله العزيز بالتفسير؛ فهما العماد القوي لن يضطلع بذلك الأمر الجليل.

السياق في القرآن الكريم:

السياق في القرآن العظيم يختلف عن السياق في كلام البشر، ليس من جهة التعريف، وإن كان فيه ما فيه مما سبق ذكره في تعريف السياق، ولكن من حيث أُطر التطبيق، بما تحفه من قرائن وأحوال، وترابط تلك الأطر بعضها ببعض.والمقصود من هذا الكلام ترابط السياق الأعظم وهو سياق القرآن الكريم، بسياق كل سورة على حدة، وترابط كل سورة بسياقات مقاطعها كلها، وترابط سياق كل مقطع بسياقات الآيات التي يضمها.

(١) خليل خلف بشير العامري ،السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ،المجلد ٩ ،العدد٢٠١٠،٢،ص٤٢.

ويعتبر السياق من أهم أنواع الدلالة في تراثنا العربي والإسلامي، واعتناء العلماء به كان بالغًا، ومن أقوالهم في ذلك "لكل مقام مقال" وقولهم "المساقات تختلف باختلاف الأحوال"(١)، وقد استعمل مصطلح السياق استعمالات مختلفة، كالحال، والمشاهدة، والدليل، والقرينة، والمقام، والبلاغيون بوجه خاص استعملوا مصطلح الحال والمقام، واستخدم النحاة مصطلح القرينة والسياق، ونحو قولهم: "النكرة في سياق النفي تفيد العموم"(٢).

وقد اعتبر الزركشي السياق السبيل الأقوم في فهم مدلولات الألفاظ حيث يقول في تقسيم تفسير القرآن: "والقسم الثاني: مالم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيرًا في كتاب "المفردات" فيذكر قيدًا زائدًا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق(٣).

ويقول ايضا:.....ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدًا حتى كأنه غير مطروح"(٤)، أي: أنه يعتبر السياق آكد وجوه الدلالة.

٢-أقسامه:

السياق هو قرينة من القرائن المؤثرة في معنى الخطاب مما له علاقة بالخطاب ذاته، وهو في بعض الأحيان يكون بارزا لا يحتاج إلى كثير من النظر والتدبرليظهر،

(١) الموافقات للشاطبي، ت/أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان دار ابن عفان، ط/١، ١٩٩٧م.ج/٤، ص٢٦٦.
(٢) انظر: بغية الإيضاح، ج/٤،ص٦٠٦
(٣) البرهان في علوم القرآن، ج/٢،ص١٧٢
(٤) المرجع نفسه ،ج/١، ص٣١٧.

وأحيانا يحتاج إلى شئ من ذلك، وهذه القرينة إما أن تكون من داخل التشكيل النصي أو خارجه[1]، وبهذا الاعتبار يمكن تقسيم السياق إلى قسمين هما:

أ- السياق اللغوي:

وهو الذي يرتبط بالقرائن اللغوية التي يتضمنها الدليل ويستدل بها على مدلوله من جهة اللفظ والمعنى لتحديد المعنى اللغوي، أو ما يعبر عنه بالمعنى النحوي أو الوظيفي للجملة الذي قد نتعدد احتمالات دلالاته فيصبح بحاجة إلى اعتبار القرائن لرفع تلك الاحتمالات وتحديد المعنى المراد.

ويمكن تعريف السياق اللغوي بـ:(السياق الذي تمثله بنية التراكيب اللغوية بأصواتها وكلماتها ،وجملها، وعباراتها) [2].

ب- السياق الغير اللغوي:

وهو الذي يعتمد على القرائن غير المرتبطة بالدليل والمدلول لتحديد مراد المتكلم بحسب مقتضى الحال، وهذا المعنى هو المعبر عنه بالمعنى المراد من الخطاب أو مقتضى الحال ويشتمل على عناصر متعددة تتصل بالمخاطَب والمخاطِب وسائر الملابسات التي تحيط بالخطاب أو مقتضى الحال ويشتمل على عناصر متعددة تتصل بالمخاطَب والمخاطِب وسائر الملابسات التي تحيط بالخطاب، وهذا قدر زائد على مجرد فهم وضع اللفظ في اللغة، كاختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة في القرآن الكريم حيث تذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في مقامات مغايرة حسب مقتضات الأحوال.

---

(١) صالح هزله: السياق الغير اللغوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير "ابن عطيه "،رسالة ماجستير، كلية الآداب ،جامعة الشهيد حمه ،الجزائر،١٤٣٦هـ،٢٠١٥م

(٢) فريد عوض حيدر: فصول في علم الدلالة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥،ص١١٩

الفصل الأول

" اختلاف دلالة المشتقات في تفسير ابن جماعة للآيات المتشابهة"

المبحث الأول: اختلاف دلالة الصيغ.

المبحث الثاني: اختلاف دلالة الإفراد والجمع.

المبحث الثالث : اختلاف دلالة التذكير والتأنيث.

المبحث الرابع : اختلاف دلالة التعريف والتنكير.

الفصل الأول:

" اختلاف دلالة المشتقات في تفسير ابن جماعة للآيات المتشابهة" "

اعتنى الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) باختيار الصيغة عناية حسنة، لاسيما الفروق بين الاسم والفعل، وكان حديثه ضمن موضوع (الفروق في الخبر)، حيث بيّن - رحمه الله- الفرق بين الخبر إذا كان اسمًا، أو فعلًا، أوصفة مشبهة[٢]، يقول: " فإذا قلت: "زيد منطلق"، فقد أثبتَّ الانطلاق فعلًا له، من غير أن تجلعه يتجدَّد ويحدُث منه شيئًا فشيئًا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: "زيد طويلٌ"، و" عمرو قصير" : فكما لا تَقْصِد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدَّد ويحدث، بل تُوجبهما وتُثْبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: " زيد منطلق" لأكثر من إثباته لزيد"[١].

ويقول الفخر الرازيُّ: "الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها، فإذا قلت : زيد منطلق لم يُفِدْ إلا إسنادَ الانطلاق إلى زيد. وأمَّا الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها، فإذا قلت: انطلق زيدٌ أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد، وكلُّ ما كان زمانيًا فهو متغير، والتَّغيُّر مُشْعِر بالتَّجدد، فإذن الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثُّبوت كون الثَّابت في التَّجدد والاسم لا يقتضي ذلك

وسأتناول في هذا الفصل –بإذن الله- ماورد في تفسير "ابن جماعه" من آيات متشابهة في لفظها مختلفة من حيث الصيغة من خلال كتابه "كشف المعاني في

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،١٧٣ – ١٩٨.

المتشابه من المثاني"، وسيكون الحديث حول أربعة أمور، سائلة المولى سبحانه العون والتوفيق:

المبحث الأول: اختلاف دلالة الصيغ.

المبحث الثاني : اختلاف دلالة الإفراد والجمع.

المبحث الثالث : اختلاف دلالة التذكير والتأنيث.

المبحث الرابع : اختلاف دلالة التعريف والتنكير.

المبحث الأول: اختلاف دلالة الصيغ

في الأفعال: تحدث ابن جماعة عن آيات متشابهة جاء الاختلاف فيها من حيث اختلاف بنية الفعل الواحد منها ما جاء مُجّرَّدًا مرة ومزيدًا أخرى، كما في المسألة رقم (أربعة وعشرون): قوله تعالى: (فمن تَبعَ هُداىَ)، وفي طه:(فمن اتَّبَعَ هُدَاىَ)؟

يقول ابن جماعة (ت٧٣٣هـ) يحتمل والله أعلم أن: (فَعِل) التي جاء على وزنها: تَبعَ لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله.

وافتعل التي جاء على وزنها : (اتَّبَع) يشعر بتجديد الفعل، وبيان قصة آدم هنا لفعله[1]، فجئ بـ(مَنْ تَبعَ هُداى)، وفي طه جاء بعد قوله:(ولم نجد له عزما) و(عصى آدم ربه فغوى) فناسب من اتبع، أى: جدد قصد الاتباع"[2].

الآية ثمانية وثلاثون قال تعالى في سورة البقرة قال تعالى﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾.

والآية (مائة وثلاث وعشرون) قال تعالى في سورة طه قَالَ تعالى﴿ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يشقى ﴿١٢٣﴾.

*"تَبِعَ" فعل ماضٍ ثلاثي مجرد على وزن "فَعِلَ" "يقال تَبِعَهُ وَاتَّبَعَهُ قَفَا أثَرَهُ وذلك تارة بالارتسامِ والائتمارِ وعَلَى ذلك قوله (قالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرا) [يس /٢٠]"[3].

---

(١) يريد سورة البقرة /الآية (١٢٣).

(٢) راجع. كشف المعاني، ص٩٣.

(٣) راجع المفردات في غريب القران ص٩٣/٩٤.

و" الفعل "اِتَّبَعَ" ماضي ثلاثي مزيد بحرفين "فَعِلَ بفتح العين أو كسرها – يطاوع (أفْعَل) كقول سيبوية: "ونظير فَعلتُه فانفعلَ وافتعل: أفعلتُه ففَعَل، نحو أدْخلتَه فدخلَ وأخْرجته فخرج، ونحو ذلك[1].

يقول الزمخشري(ت٦٤٣هـ) في مفصله ": و"فَعِلَ" يكثر فيه الأعراضُ من العِلل والأحزان وأضدادها، كـ"سقيم"، و"مرِضَ"، و"فرِحَ"، و"جذِل"، و"أشِر"، والألوان كـ"أدِم"، و"شهِب"، و"سوِد"، و"فعُل"، للخصال التي تكون في الأشياء، كـ "حسُنَ"، و"قَبُح"، و"صفُر"، و"كبُر"[2].

وإعراب الآية (فإمّا): إنْ حَرْف شرط، وما حرف مؤكّد له، و(يَأتِيَنَّكم) :فعلُ الشرط مؤكَّد بالنون الثقيلة؛ والفعل يصير بها مبنيًّا أبدًا، وما جاء في القرآن من أفعال الشرط عَقِيب إمّا كلُّه مؤكّد بالنون، وهو القياسُ؛ لأنَّ زيادة "ما" تُؤذِن بإرادة شدَّة التوكيد، وقد جاء في الشعر غير مؤكد بالنون.

وجوابُ الشرط "فَمَنْ تَبِعَ" وجوابه، و"مَنْ" في موضع رَفْع بالابتداء، والخبر تَبِع، وفيه ضمير فاعل يرجع على مَنْ وموضعِ "تبِع" جزم بمن "ولم يؤثر في لفظه لأنه فعل ماض، وإن نقلته" من" من الشرطية إلى معنى الاستقبال"، والجواب: (فَلاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ).

ويكون (افتعل) بمعنى "تفَاعَلَ"، نحو: "اجتوروا"، و"اختصموا"، و"التقوا". وبمعنى الاتخاذ، نحو: "اذَّبَحَ"، و"اطَّبخ"، و"اشتوى"، إذا اتخذ ذَبيحة وطبيخًا وشِواة لنفسه. ومنه "اكتال"، و"اتزن". وبمنزلةِ "فَعِلَ"، نحو:" قرأتُ، واقترأت"، واختطف" للزيادة على معناه، كقولك: "اكتسب" في "كَسَبَ" و" اعتمل". قال سيبويه: أمّا"كسبتُ"، فإنه يقول: "أصَبْت"، وأمَّا"اكتسبت" فهو التصرّف والطلب، والاعتماد بمنزلة الاضطراب[3].

---

(١) انظر الكتاب ٤ /٦٥.

(٢) شرح المفصل، ليعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ) ، (ت) الدكتور إميل بَديع يعقوب، ٤٥٣/٤.

(٣) شرح المفصل،٤٤١/٤.

ويستغلُّ الكرمانيّ(ت٥٠٥هـ) السِّياق اللُّغويَّ: فيرى أنَّ ما جِيءَ في طه بلفظ اتَّبع لموافقة قوله تعالى قبل ذلك :﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾(طه ١٠٨)"[١].

كما لاحظ ابن الزبير(ت٧٠٨هـ) أنَّ لكل واحد من الصِّيغتين تمايزًا عن الآخر فقال "إن تبع واتَّبع محصلان للمعنى على الوفاء، وتبع: فِعْل وهو الأصل واتَّبَع فرع عنه لأنه يزيد عليه وهو منبئ عن الزيادة في معنى "فَعِلَ" بمقتضى التضعيف فعلى هذا وبحسب لحظه ورعيه ورد (فمن تبع) و(فمن اتَّبع)، وتقدم في الترتيب المتقرر (فمن تبع) لإنبائه عن الاتباع من غير تعمل ولا تكلف ولا مشقة، واما اتبع فإن هذه البنية أعنى بنية "افتعل" تنبئ عن تَعَمُّل وتحميل للنفس، فقدم مالاتعمل فيه وأَخَّرَ (اتبع) لما يقتضيه من الزيادة، ولم تكن إحدى العبارتين لتعطي المجموع، فقدم ما هو أصل وآخر ما هو فرع عن الأول وكلاهما هدى ورحمة، ووردكل ما يناسب ويلائم." [٢].

ولكن الأنصاريّ(ت ٩٢٦هـ) يناصرالكرمانيَّ فيما ذهب إليه، وزاد أنَّ آية البقرة على الأصل حيث قال " إن قلتُ: لِمَ عبَّر هنا بـ "تَبعَ" وَثَمَّ بـ "اتَّبَع"؟ قلت : جريًا على الأصل هنا، وموافقة لقوله"يومئذِ يتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ" ثَمَّ[٣]، وزاد على رأي الكرماني قائلا".ولأن القضيَّة لما بُنيت من أول الأمر على التأكيد بقوله تعالى: " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ" ناسبَ اختصاصها بالزيادة المفيدة للتأكيد "[٤]. أي أنَّ السِّياق في آية طه لما بُني على التَّأكيد بقوله عزَّوجل :﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ﴾ ناسب أن تَختصَّ بالزِّيادة التي تفيد التَّأكيد.

وقال الإمام الزركشي(ت٧٩٤هـ) عن فعل المطاوعة "هو الواقع مسبَّبا عن سببٍ اقتضاه، نحو كسرته فانكسر. قال ابن مالك في شرح "الخلاصة" : هو الدّال على قبول مفعولٍ لأثرِ الفاعل؛ ومعنى ذلك أنّ الفعل المطاوِع، بكسر الواو، يدُلّ على أن

(١) البرهان، ١ /١١ ٥، وينظر: غرائب القرآن: ١ /٢٨٨، وبصائر ذوي التَّمييز: ١ /١٤٤.
(٢) ملاك التأويل /ص٣٠.
(٣) ثَمَّ: بفتح الثاء وتشديد الميم بمعنى هناك، والمراد في سورة طه الآية رقم (١٢٣) ،حيث وردت (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ)
(٤) فتح الرَّحمن، ص٢٥.

المفعول لقولك: كسرت الشئ يدلّ على مفعول معالجتك في إيصال الفعل إلى المفعول، فإذا قلت: فانكسر، علم أنه قَبِل الفعل، وإذا قلت: لم ينكسر على أنه لم يقبله. وأمّا المطاوَع، بفتح الواو، فيدلّ على المعالجة الفاعل في إيصال فعلله إلى المفعول، ولا يدلّ على أن المفعول قَبِل الفعل أو لم يقبله.

كما أنه أستشهد بالزمخشري في أنّ "المطاوِع والمطاوَع، لابد وأن يشتركا في أصل المعنى، والفرق بينهما إنما هو من جهة التأثر والتأثير، كانكسر والانكسار، إذ لا معنى للمطاوعة إلا حصول فعل عن فعل، فالثاني مطاوِع: لأنه طاوَع الأوّل، والأول مطاوَع، لأنه طاوعه الثاني، فيكون المطاوَع لازما للمطاوِع ومرتبا عليه"[1].

ترجيح الآراء: هناك رأيان وهو أن صيغة (فَعِلَ) لا يلزم منها مخالفة الفعل قبلها، أي أن ليس هناك تكلف ولا تَعَمُّل للاتباع، ولكن صيغة (اتَّبَع) منبيء عن المبالغة في الإتباع وتحميل النفس للرجوع للاتباع بعد مخالفة الفعل، وهذا ما يؤكده كلام ابن الزبير والأنصاري والزركشي وأنا أيضا أميل لهذا الرأي.

وهناك رأي آخر يرجعه الكرماني للمناسبة اللفظية فقط أي أن لفظ (اتِّبَع) جاءت بعد قوله "يومئذٍ يتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ" وهذا الرأي لا أميل إليه.

المسألة (الثمانية والستون): قوله تعالى: (نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ)، وقال: (وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيْلَ)؟

قال ابن جماعة " إن القرآن نزل مُنَجَّمًا مرة بعد مرة فَحَسُنَ التضعيف، والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة فحسن التخفيف لعدم التكرار، فإن قيل: قد قال بعده: (وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ)، وقال بعده(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ)؟ ".

وجوابه في ذلك :أما (الفُرْقَانَ) فقيل: هو نصره على أعدائه.

(١) البرهان في علوم القرآن،٤ /١٤٠.

وقيل: هو القرآن، فعلى هذا: لما قال: (وَأَنْزَلَ التوراةَ) حسن (وأنزل الفرقان) (وأنزل عليك الكتاب): أي كما أنزل عليك القرآن والكتاب. ولأن التلون في اللفظ مع قرب العهد أحسن من إعادته بلفظه وإن اتحد قصده[1].

الآية (الثالثة) من آل عمران: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾.

لغتًا:*النُّزول: الحُلول.نَزَلهُم، و – بهم، و – عليهم يَنْزِل نُزولا ومَنْزِلاً: حَلَّ. ونَزَّلَهُ تَنْزيلاً، وأنزلَهُ إنْزَالا ومُنْزَلاً، كمُجْمَلٍ، واسْتَنْزَلَهُ بمعنى. وتَنَزَّلَ: نَزَلَ في مُهْلَة[2].

وقال الرضيّ(ت٦٨٦هـ) أن صيغة " أَفْعَل للتَّعدِيه غالبا، نحو أَجْلَسْتُهُ، وللتعريض نحو أَبَعْتُهُ، وَلِصَيْرُورَته ذا كَذا نحو أَغَدَّ البعيرُ، وَمنهُ أَحْصَدَ الزَّرعُ، وَلوُجُودِه على صِفةٍ نحو أحمْدتُهُ، وَللسلب نحو أَشْكَيته، وبمعنى فَعَل نحو قِلتُهُ وأقَلْتُهُ".

وأمّا عن صيغة فَعَّلَ: فيقول "وَفَعَّل للتكثير غالبا، نحو غلّقت وَقطّعت وَجَوّلت وَطَوّفت ومَوَّتَ المال، وللتَّعدية نحو فَرَّحْتُهُ، وَمِنه فَسَّقْتُهُ، وللسّلب نحو جَلّدتُهُ وقَرَّدْتُه، وَبمعنى فعل نحو زلتُه وزيّلتهُ"[3].

وقال الزمخشري في هذا الموضع وفي مواضع متعدّدة، أن قال: إنّ (نزّل) يدل على التنجيم وإنّ (أنزل) يدل على أنّ الكتابين أنزلا جملةً واحدة وهذا لا علاقة له بمعنى التقوية المُدّعَى للفعل المضاعف، إلاّ أنّ (نزّل) مستعمل في لازم التكثير، وهو التوزيع ورّده أبو حيان بقوله تعالى: {وقال الذين كفروا لَوْلاَ نُزِّل عليه القرآن جُملة واحدة } [الفرقان، ٣٢] فجمع بين التضعيف وقوله: (جملة واحدة) وأزيدُ أنّ التوراة والإنجيل نزلا مفرّقَين كشأن كلّ ما ينزل على الرسل في مدة الرسالة، وهو الحق : إذ لا يعرف أنّ كتاباً نزل على رسول دفعة واحدة[4].

---

(١) انظر. كتاب كشف المعاني، ص١٢٣

(٢) القاموس المحيط، مادة "نزل"، ص١٠٦٢.

(٣) راجع. شرح الشافية لابن الحاجب، ت: محمد نور الحسن...إلخ، ٨٣،٩٢/١

(٤) الكشاف، ص١٦٠.

ويقول ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) " وقوله : { نزل عليك الكتاب } خبر عن اسم الجلالة، والخبر هنا مستعمل في الامتنان، أو هو تعريض ونكايةَ بأهل الكتاب: الذين أنكروا ذلك. وجيء بالمسند فعلاً لإفادة تقوية الخبر، أو للدلالة مع ذلك على الاختصاص: أي الله لا غيره نزّل عليك الكتاب إبطالاً لقول المشركين: إنّ القرآن من كلام الشيطان، أو من طرائق الكهانة، أو يُعلِّمه بَشَرٌ.

والتضعيف في { نَزّل } للتعدية فهو يساوي الهمز في (أنزل)، وإنّما التضعيف يؤذن بقوة الفعل في كيفيته أو كمّيته ،عن الفعل المتعدّي بغير التضعيف، من أجل أنّهم قد أتوا ببعض الأفعال المتعدّية، للدلالة على ذلك، كقولهم : فَسَر وفسَّر، وفَرَق وفرّق، وكَسَر وكسّر، كما أتوا بأفعال قاصرة بصيغة المضاعفة، دون تعدية للدلالة على قوة الفعل، كما قالوا: مَاتَ ومَوّت وصَاح وصَيّح. فأما إذا صار التضعيف للتعدية فلا أوقن بأنّه يدلّ على تقوية الفعل، إلاّ أن يقال : إنّ العدول عن التعدية بالهمز، إلى التعدية بالتضعيف، لقصد ما عُهد في التضعيف من تَقوية معنى الفعل، فيكون قوله : { نزل عليك الكتاب } أهمّ من قوله : { وأنزل التوراة } للدلالة على عظم شأن نزول القرآن[١].

وجاء في درة التنزيل للخطيب: أقولُ في هذا أنه- جل وعلا- " ذكر التنزيل أولًا، والإنزال ثانيًا لكونه جامعًا بين الوصفين، فإنه أنزل إلى سماء الدنيا جملة، ثم نزل منها إلى النبي مفرّقًا منجمًا على حسب الحوادث[٢].

وترجيح الآراء في هذه المسألة: أنّ كل زيادة في المبنى تتبعها زيادة في المعنى، ومَن تأمل كلام العرب بان له ذلك، كما في ألفاظ فعل نزول الكتب السماوية، فمرة ترد بزنة :(أفعل)، ومرة ترد بزنة: (فَعَّل)، ولكل من الصيغتين معنى زائدًا يخالف معنى الصيغة الأخرى، وإن اتفقتا في المعنى الأصلي للنزول ؛ فما كان بزنة (أفعل) يدل على النزول دفعة واحدة، وما كان بزنة (فَعَّل) يدل على تكرار النزول وتتابعه، لأن صيغة (أَفْعَل) من معانيها في العربية الدلالة على حدوث الفعل دفعة واحدة،

(١) انظر فتح القدير٣/٢٠٠.
(٢) انظر. ك. درة التنزيل

وصيغة (فَعَّل) تدل على تكرار حدوث الفعل، فقولك مثلا : (أعلمت فلانا المسألة) يفيد أنك أفدته به مرة واحدة، بينما قولك : (علّمت فلانا الفقه) يفيد أنك أفدته به على مراحل، وهذا ما يؤكده كلام الزمخشري وابن جماعة، وهو الرأي الذي أميل إليها أنا أيضا.

وهناك رأي مخالف بعض الشيء وهو أن الصيغتان (أَنْزَل، ونَزَّل)كلهما للتعدية، وجاء التضعيف في (نَزَّل) للتقوية، أي أن الهمزة دخلت لتعيدة الفعل اللازم أو الفعل القاصر إلى مفعول به واحد، وهذا ماورد في شرح الكافية لابن الحاجب وهذا الرأي مايؤيده ابن عاشور.

المسألة (مائة وأربعة وعشرون) : قوله تعالى:(قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ) وكذلك في الآية الثالثة(ويقصد بها الآية (السابعة والأربعين) من السورة نفسها)، وفي الثانية (ويقصد بها الآية (السادسة والأربعين) من السورة نفسها) (أَرَأَيْتُمْ) على العادة فيه. جمع فيهما بين علامتي الخطاب، وهما تاء الضمير وكاف الخطاب؟

قال ابن جماعة " جوابه أنه لما كان المتوعد به شديدًا أكَّدَ في التنبية عليه بالجمع بينمها مبالغة في الوعد " [1].

الآية (٤٠) سورة الأنعام ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾

الآية (٤٦،٤٧) من سورة الأنعام ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾

(١) كشف المعاني/ص١٦١

الفعل "رأى" ينتمي إلى الأفعال الناسخة للإبتداء وهي أفعال القلوب التي بدورها تنقسم إلى قسمين؛ أحدهما: ما يَدُلُّ على اليقين، وهم خمسةً: من ضمنها الفعل (رأى)، قال الشاعر:

رَأَيْتُ اللهَ أَكْبَرَ كُلِّ شيء * مُحَاوَلَةً، وَأَكْثَرَهُمْ جُنُودَا (١).**

"فإنَّ " رأى" فيه دالة على اليقين، وقد نَصَبَت مفعولين ؛ أحدهما لفظ الجلالة، والثاني قوله " أكبر"، وقد تستعمل " رَأَى " بمعنى " ظَنَّ"، كقوله تعالى: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا) أي : يَظُنُّونَه.

وقد جاء الفعل (رأى) مسبوقًا بالهمزة (أَرَأَيْتُمْ)، كما أن الفعل جاء بمعنى عَلِمَ(٢).

قال الفراء (ت٢٠٧هـ) في قوله : { قل أرءَيتكم} "العرب لها في (أرأيت) لغتان، ومعنيان.

أحدهما أن يسأَل الرجلُ الرجل: أرأيت زيدًا بعينك؟ فهذه مهموزة. فإذا أوقعتها على الرَّجل منه قلت: أرأيتَك على غير هذه الحال؟ تريد: هل رأيتَ نفسك على غير هذه الحال. ثم تثنّى وتجمع، فتقول للرجلين: أرأيتماكما، وللقوم: أَرَأَيتموكم، وللنسوة: أرَأَيْتُنَّكُنَّ، وللمرأة: أَرَأَيْتِكِ، تخفض التاء والكاف، لا يجوز إلا ذلك.

والمعنى الآخر أن تقول: أرأيَتَكَ، وأنت تريد: أَخْبِرْني (وتهمزها) وتنصب التاء منها؛ وتترك الهمز إن شئت، وهو أكثر كلام العرب، وتترك التاء موحَّدة مفتوحة للواحد والواحدة {والجمع في} مؤنّثة ومذكّرة. فتقول للمرأة: أرأيتَكِ زيدا هل خرج، وللنسوة:

(١) تخريج البيت: ١١٧- البيت لخداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة بن بكر ابن هوازن. اللغة: "محاولة" تطلق المحاولة على القوة والقدرة، وتطلق على طلب الشيء بحيلة، والمعنى الثاني من هذين لا يليق بجانب الله تعالى "وأكثرهم جنودا" قد لفق الشـارح العلامة – تبعا لكثير من النحاة- هذه اللفظة من روايتين: إحداهما رواها أو زيد، وهي وأكثرهم "الواو عاطفة، أكثر: معطوف على "أكبر"، وأكثر مضاف والضمير مضاف إلية" جنودا" تمييز أيضًا. الشاهد فيه: قوله "رأيت الله أكبر، فإن رأي فيه دالة على اليقين، وقد نصبت مفعولين، أحدهما لفظ الجلالة، والثاني قوله" أكبر".

(٢) شرح ابن عقيل ١ /٦٤.

أرايتَكُنَّ زيدًا ما فعل. وإنما تركت العرب التاء واحدة لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل منها واقعا على نفسها، فاكتفَوْا بذكرها في الكاف، ووجهوا التاء إلى المذكر والتوحيد؛ إذا لم يكن الفعل واقعا. وموضع الكاف نصب وتأويله رفع؛ كما أنك إذا قلت للرجل: دونك زيدا وجدت الكاف في اللفظ خفضا وفي المعنى رفعا؛ لأنها مامورة.

والعرب إذا أوقعَتْ فِعْل شئ على نفسه قد كُنِي فيه عن الاسم قالوا في الأفعال التامَّة غير ما يقولون في الناقصة فيقال للرجل: قتلتَ نفسك، وأحسنت إلى نفسِك، ولا يقولون: قتلتك ولا أحسنت إليك.

كذلك قال الله تبارك وتعالى (فاقتلوا أنفسكم) في كثير من القرآن؛ كقوله (وما ظلمناهم ولكِن ظلموا أنفسهم) فإذا كان الفعل ناقصا – مثل حسبت وظننت – قالوا: أَظُنُّني خارجا، وأَحسِبني خارًجا ومتى تراك خارجا. ولم يقولوا: متى ترى نفسك، ولا متى تظنّ نفسك"(١).

ويقول المبرد(ت٢٨٥هـ) " اِعلم أَنَّ الكاف زائدة زيدت لمعنى المخاطبة. والدليل على ذلك أَنَّك إذا قلت : أَرأَيتَكَ زيدًا فإنَّما هي أَرأَيت زيدا؛ لأَنَّ الكاف لو كانت اسما استحال أَن تُعَدَّى (رأَيت) إلى مفعولين : الاول والثاني هو الأوَّل"(٢).

يقول الزجاج(ت٣١١هـ) "وقال النحويون في هذه الكاف التي في قوله: (أرَأَيتَكُمْ) غير قولٍ، قال الفراء لفظها لفظ نصب، وتأويلها تأويل رفع، قال: ومثلها الكاف في قوله: دُونك زيدًا، قال:الكاف في موضع خفض، وتأويلها تأويل الرفع، لأن المعنى خذ زيدًا. وهذا لم يقله من تقدّم من النحويين، وهو خطأ لأن قولك أرأيتك زيدًا ما شأنه! تصير "أرأيت" قد تعدت إلى الكاف وإلى زيد، فيصير لـ"رأيت" اسمان، فيصير المعنى أرأيت نفسك زيدًا ما حاله. وهذا محال.

والذي يذهب إليه النحويون الموثوق بعلمهم أن الكاف لا موضع لها، وإنما المعنى أرأيت زيدًا ما حاله. وإنما الكاف زيادة في بيان الخطاب وهي المعتمد عليها في الخطاب، أعلم أنك تقول إذا كانت الكاف زائدة للخطاب، للواحد الذكر: أرأيتك

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ /٣٣٤.

(٢) راجع. المقتضب ٣/٢٧٧.

زيدًا ما حالُه بفتح التاء والكاف، وتقول للمؤنث أرأيتك زيدًا ما حاله يا امرأة، وتفتح على أصل خِطابِ الذكر، وتكسر الكاف لأنها قد صارت آخر ما في الكلمة والمبينة عن الخطاب، وتقول للاثنين أرأيتَكُما زيدًا مَا حَالُه وأرَأيتَكُم زيدًا ما حاله – للجماعة، فَتُوحد التاءُ، فكما وجب أن توحدها في التثنية والجمع وجب أن تذكرها مع المؤنث، فإذا سَألتَ النسوة قلت أرأيتَكُنَّ زيدًا ما حاله. وتثنية المؤنث كتثنية المذكر في كل شئ"[1].

وأمَّا الزمخشري(٥٣٨هـ) فقد ذهب إلى أن "(أَرَأَيْتَكُمْ) بمعنى أخبروني والضمير الثاني لا محل له من الإعراب؛ لأنك تقول: أرأيتك زيدًا ما شأنه، فلو جعلت للكاف محلًا لكنت كأنك تقول: أرأيت نفسك زيدًا ما شأنه، وهو خلف من القول[2].

وفسَّر ابن عطية (٥٤١هـ) قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ) فقال: ابتداءُ احتجاج على الكفار الجاعلين لله شركاءَ، والمعنى: أَرأَيتم إذا خفتم عذاب الله أَو خفتم هلاكًا أو خفتم الساعة أتدعون أصنامكم وتلجؤُون إليها في كشف ذلك إن كنتم صادقين في قولكم: إنها آلهة؟ بل تدعون الله الخالق الرزاق فيكشف ما خفتموه إن شاءَ وتنسون أصنامكم أَي تتركونهم، فعبَّر عن التَّرك بأَعظم وجوهه الذي هو مع الترك بأعظم ذهول وإغفال، فكيف يُجْعِل إلهًا مَنْ هذه حاله في الشدائد والأزمات؟[3].

فَتَقُول: أَرَأَيْتَكَ أَنْتَ ما صَنَعتَ، وَأَرَأَيْتَكَ أَنْتَ وزيدًا ما صَنَعْتُما وَزَعَمَ اَنَّ هذا التوكيد يقومُ مقام المفعول بدليل أَنَّهُم يَعْطِفُون عليه المنصوب، وَزَعَمَ أَنَّهُم لا يقولون: أَرَأَيْتَكَ أَنْتَ وَزَيْدٌ، قال: وهذا كله سماعٌ من العرب، وَزَعَمَ أبو الحسن أَنَّ (أَرَأَيْت) هذه لابُدَّ بَعْدَهَا من الاسْمِ المستخبر عنه، وَتَلْزَمُ الجملةُ التي بعده الاستفهام"[4].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١/٣٣٤،٣٣٣.

(٢) المفصل للزمخشري ٢/ ٣٢٧.

(٣) المحرر الوجيز١/ ٢٩٠

(٤) انظر ارتشاف الضرب، ص٢١٢٠.

تعقيب: يتضح مما سبق أن الكاف إذا لم يكُن الغرض منها في هذا الموضع الخطاب إذ جاءت هنا للتوكيد والمبالغة في المعنى وهذا ما ذهب إليه ابن جماعة في كتابه عن المتشابه.

يقول الأصبهاني(ت٤٢٠هـ) ولا اختلاف في ترادف الخطابين "التاء" و "الكاف" على مذهبين، ولا يترادفان إلّا عند المبالغة في التنبيه، والمبالغةُ فيه هو أن يعلم المخاطب أنه لا تنبيه بعده. وما يتصل بقوله: (أرأيتكم) في الموضعين كلامٌ يدل على ما إذا وقع لم ينفع عنده الزجر والتنبيه[١].

وقال السمين(ت٧٥٦ هـ) " اختلف الناس في هذه الآية على ثلاثة أقوال، أحدُها: أن المفعول الأول والجملة الاستفهامية التي سَدَّت مَسَدْ الثاني محذوفان لفهم المعنى، والتقدير: أرأيتكم عبادتكم الأصنام هل تنفعُكم؟ أو اتَّخاذَكم غير الله إلهًا هل يَكْشِفُ ضُرَّكم؟ ونحو ذلك، فعبادَتَكُمْ أو اتَّخاذَكم مفعول أول، والجملة الاستفهامية سادّة مسدَّ الثاني، والتاء هي الفاعل، والكاف حرف خطاب.

الثاني: أن الشرط وجوابه قد سَدَّا مَسَدَّ المفعولين لأنهما قد حَصَّلا المعنى المقصود، فلم يَحْتج هذا الفعل إلى مفعولٍ، وليس بشيء؛ لأن الشرط وجوابه لم يُعْهد فيهما أن يَسُدَّا مَسَدَّ مفعولي ظن، وكونُ الفعلِ غيرَ محتاجٍ لمفعول إخراج له عن وضعه، فإنْ عَنَى بقوله: "سَدَّا مَسَدّه" أنَّهما دالان عليه فهو المدَّعي.

والثالث: أن المفعول الأول محذوفٌ، والمسألةُ من باب التنازع بين أرأيتكم وأتاكم، والمتنازَعُ فيه هو لفظُ "العذاب". وهذا اختيار الشيخ[٢]، ولنوردْ كلامه ليظهرَ فإنَّه كلامٌ حسن قال: "فنقول:الذي نختاره: أنها باقية على حكمها في التعدِّي إلى اثنين، فالأول منصوب والثاني لم نجده بالاستقراء إلا جملة استفهامية أو قَسَمِيّة. فإذا تقرَّر هذا فنقول: المفعول الأول في هذه الآية محذوف، والمسألة من باب التنازع، تنازع "أرأيتكم" والشرط على "عذاب الله"، فأعمل الثاني وهو "أتاكم" فارتفع "عذاب" به، ولو أعمل الأول لكان التركيب:"عذاب" بالنصب، ونظير ذلك: "اضرب إنْ جاءك زيد" على إعمال "جاءك"، ولو نصب لجاز، وكان من إعمال الأول.

(١) درة التنزيل ٢/٣٦-٣٧.

وأمّا المفعول الثاني فهو الجملة من الاستفهام: " أغيرَ الله تَدْعُون". والرابط لهذه الجملة بالمفعول الأول المحذوف محذوف تقديره: أغيرَ الله تَدْعُون لكَشْفِه، والمعنى: قل أرايتكم عذابَ الله إنْ أتاكم- أو الساعة إن أتتكم- أغيرَ الله تَدْعُون لكشفه أو لكشف نوازلها". والتقدير الإعرابي الذي ذكره يحتاج إلى بعض إيضاح، وتقديره: قل أرأيتكموه أو أرأيتكم إياه إن أتاكم عذاب الله، فذالك الضمير هو ضمير العذاب لمَّا عمل الثاني في ظاهره أعطى المُلْغى ضميره، وإذا أُضْمِرَ في الأول حُذِف ما لم يكن مرفوعًا أو خبرًا في الأصل، وهذا الضمير ليس مرفوعا ولا خبرًا في الأصل، فلأجل ذلك حُذِف ولا يَثْبُت إلا ضرورة[1].

ترجيح الآراء: وجاءت الآراء السابقة فيما بين أن معنى: " أرأيتكم إن أتاكم "، أرأيتم، قال: وهذه " الكاف " تدخل للمخاطبة مع التوكيد، و " التاء " وحدها هي الاسم، كما أدخلت " الكاف " التي تفرق بين الواحد والاثنين والجميع في المخاطبة، كقولهم: " هذا، وذاك، وتلك، وأولئك "، فتدخل " الكاف " للمخاطبة، وليست باسم، و " التاء " هو الاسم للواحد والجميع، تركت على حال واحدة، ومثل ذلك قولهم: " ليسك ثَمَّ إلا زيد "، يراد: ليس و " لا سِيَّك زيد "، فيراد: ولا سيما زيد و " بلاك " فيراد،" بلى " في معنى: " نعم " = و" لبئسك رجلا ولنعمك رجلا ". وقالوا : " انظرك زيدًا ما أصنع به " و" أبصرك ما أصنع به ". بمعنى: أبصره. وحكى بعضهم: " أبصركُم ما أصنع به "، يراد: أبصروا و" انظركم زيدًا "، أي انظروا. وحكي عن بعض بني كلاب: " أتعلمك كان أحد أشعرَ من ذي الرمة؟" فأدخل " الكاف "، وهوما ذهب إليه "ابن عطية" (أرأيتكم) معناهاطلب الاخبار عن حالتهم العجيبة وقدأتى بكاف الخطاب لهول التهديد كما أنه إذا أريد بـ(أرأيت) معنى أخبرني جاز أن تتصل بها تاء الخطاب أما إذا لم يرد بمعنى-أخبرني- فإنه يجب للتاء والكاف مجتمعتين ما يجب لهما منفردتين، وهو ما ذهب له ابن جماعة والأصبهاني والإسكافي أيضا.

وفريق آخر يري إن الكاف " التي بعد التاء إن قوله(أرأيتكم)إنما جاءت للمخاطبة، وتركت "التاء " مفتوحة كما كانت للواحد، قال: وهي مثل "كاف ""

(١) الدر المصون ٤/٦٢٣-٦٢٥

رويدك زيدًا ,"إذا قلت: أرود زيدًا هذه " الكاف " ليس لها موضع مسمى بحرف، لا رفع ولا نصب، وإنما هي في المخاطبة مثل كاف " ذاك"، ومثل ذلك قول العرب:" أبصرَك زيدًا" يدخلون "الكاف " للمخاطبة، وهو يناسب ما قاله المبرد والزمخشري في أن الكاف زائدة زيدت لمعنى المخاطبة.

ورأي أحد نحويي الكوفة وهو رأي الفراء والزجاج السابق ذكره قوله: و" الكاف " من " أرأيتك " في موضع نصب، كأن الأصل: أرأيت نفسك على غير هذه الحال؟ قال: فهذا يثني ويجمع ويؤنث، فيقال: " أرأيتما كما " و" أرأيتموكم ". و" وَأَرَأَيْتُنَّكُنَّ"، أوقع فعله على نفسه، وسأله عنها، ثم كثر به الكلام حتى تركوا " التاء " موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع، فقالوا: " أرأيتكم زيدًا ما صنع "، و" أرأيتكنّ ما صنع "، فوحدوا التاء وثنوا الكاف وجمعوها، فجعلوها بدلا من " التاء "، كما قال: هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ [سورة الحاقة: ١٩]، و" هاء يا رجل "، و" هاؤما "، ثم قالوا: " هاكم "، اكتفى بالكاف والميم مما كان يثنى ويجمع. فكأن " الكاف " في موضع رفع، إذ كانت بدلا من " التاء ". وربما وحدت للتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، وهي كقول القائل: " عليك زيدًا "،" الكاف " في موضع خفض، والتأويل رفع. فأما ما يُجْلب فأكثر ما يقع على الأسماء، ثم تأتي بالاستفهام فيقال: " أرأيتك زيدًا هل قام "، لأنها صارت بمعنى: أخبرني عن زيد، ثم بيَّن عما يستخبر. فهذا أكثر الكلام. ولم يأت الاستفهام يليها. لم يقل: " أرأيتك هل قمت "، لأنهم أرادوا أن يبيّنوا عمن يسأل، ثم تُبيّن الحالة التي يسأل عنها. وربما جاء بالجزاء ولم يأت بالاسم، فقالوا: " أرأيت إن أتيت زيدًا هل يأتينا " و" أرأيتك " أيضًا و" أرأيتُ زيدًا إن أتيته هل يأتينا "، إذا كانت بمعنى: " أخبرني"، فيقال باللغات الثلاث.

مسألة رقم(مئتان وسبعة وخمسون) قوله تعالى: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) ثم قال: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)، وقال في قصة ذي القرنين(فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا)؟

علل ذلك ابن جماعة قائلًا " أنه تقدم أولا: (مَا لَمْ تَسْتَطِعْ) فخفف الثاني لدلالة الأول عليه، وفي قصة ذي القرنين أن تعلق الفعل بالمفعول المفرد أخف من

تعلقه بالمركب، و(أَنْ يَظْهَرُوهُ) مفعول مركب فناسب التخفيف، و"نَقْبا" مفعول مفرد فكمل لفظ الفعل معه لعدم المقتضى للتخفيف.

كما ذكر أنه خفَّف لفظة (تَسْطِع) في قوله : (ذَالِكَ تَأْوِيلُ مَالَمْ تَسْطِع عَلَيْهِ صَبْرًا)، وذلك لدلالة الأية سابقة لها في قوله: (قَال هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَالَمْ تَسْتَطِع عَلَيْهِ صَبْرًا)" [1].

الآية (٧٨) من سورة الكهف﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

الآية (٨٢) الكهف: قال تعالى﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

الآية (٩٧) الكهف: قال تعالى ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

قال الزمخشري في مصنفه قائلًا: " (ذَالِكَ تَأْوِيلُ مَالَمْ تَسْطِع عَلَيْهِ صَبْرًا)، أي: ذلك المذكور من تلك البيانات التي بينتها لك وأوضحت وجوهها تأويل ما ضاق صبرك عنه ولم تطق السكوت عليه، ومعنى التأويل هنا:هو المآل الذي آلت إليه تلك الأمور، وهو اتضاح ما كان مشتبهًا على موسى وظهور وجهه، وحذف التاء من تسطع تخفيفًا" [2].

يقول المالقي(ت٧٠٢هـ) " اعلم أنَّ السين تنقسم قسمين: قسمٌ تكون في بنية الكلمة، وقسم لا تكون في بنيتها، فالقسم الذي تكون [في] بنية الكلمة لها موضعان"[3].

الموضع الأول: أن تكون ثانية في الفعل أو ما تصرَّف منه، إمَّا لطلب الشئ، نحو: استجْدَيْتُه استجْداء فأنا مُسْتجْدٍ وهو مُسْتجْدٍ، أي: طلبْتُ جَداه وإمَّا لاستعماله

---

(١) راجع كشف المعاني ص٢٤٤.

(٢) انظر الكشاف ص٨٧١.

(٣) رصف المعاني/ ص ٤١٩.

نحو: استقضيْتُه، أي استعملته في القضاء، [و] إمَّا عوضًا من حركة عين الفعل وما تصرَّف منه[1]، نحو: اسْطاعَ يَسْطيع إسطاعة فهو مُسْطيع ومُسْطاع. ومنه قولُ الشاعر

وَفيكَ إذا لاقيْتَنا عَجْرَفِيَّةٌ *** مِرارًا فما أَسَطيعُ مَنْ يَتَعَجْرَفُ [2].

فالأصلُ في هذا عند سيبويه: أَطْوَعَ يُطْوع إطواعة فهو مطّوعٌ ومُطْوَعٌ، فلمَّا نُقِلت حركة الواو إلى الطاء انقلبت مع الفتحة ألفًا ومع الكسرة باءٌ، فصار: أطاع يطيع إطاعةٌ فهو مطيع ومطاع ثم عُوِّضتِ السين من حركة الواو المذكورة[3].

[وقال الفراء في هذا : تَشبَّهوا أَسْطعْتُ بأفعْلتُ، فهذا يَدُلُّ من كلامه على أنَّ أصلها: استطعْتُ]، فحْذِفتْ التاءُ تخفيفًا فصار: "أَسْطَعْتُ" فحُذِفتْ التاءُ تخفيفًا فصار: "أَسْطَعْتُ]، فحُذِفتْ التاءُ تخفيفًا فصار: "أَسْطَعْتُ" فحُذِفتْ همزتهُ لأنَّه أشبهَ أكرَمْتُ ونحوَه.

وهذا القول فاسد، فإنَّ أصلَ ما يُحذفُ منه شئٌ، أن تبقى فيه ألف الوصل إنْ كانت فيه، ألا ترى أنَّهم قالوا: "استطاع" بألف الوصل مكسورة ثم قالوا بعد الحذف[اسطاع] وألفُ الوصل باقيةٌ كما كانت، ونه قوله تعالى: { فما اسْطاعوا/ أنْ يظهروه وما استطاعوا له نقبا}، فلو كان "أَسْطاعَ" المقطوع الهمزة أصلهُ: "استطَعْتُ" بالتاء لبقيتْ همزته للوصل كما كانت، فدلَّ على أن " أسطاعَ" المقطوع الهمزة المفتوحة أصله" أطْوَعَ"، وأنَّ السينَ عوضٌ من حركة العين كما ذكِر.

ونظيرُه قولهم: أهْراق يُهْريقُ إهراقة في: أراقَ يربق إراقة، والأصلُ: أ{وَقَ يُرْوِقُ إرْواقة، فَنُقِلَتْ حركة الواو إلى الراءِ وانقلَبَت الواوُ ألفًا مع الفتحة وياءٌ مع الكسرة، ثم عُوِّضَ من الحركة المذكورة الهاء، فعلمه.

---

(1) انظر: سر الصناعة ١/٢١٠، الممتع١/٢٢٤.

(2) التخريج: البيت لجران السود وهو في ديوانه١٧، والخصائص ١/٢٦٠: وسر الصناعة١/٢١٤، العجرفية: الجفوة في الكلام).

(3) انظر. الكتاب ١/٣٥.

يقول الأخفش(ت ٢١٥هـ) "لِأَنَّ لُغَةً للعَرَبِ تَقُولُ: "اسْطَاعَ يَسْطِيعُ" يُرِيدُونَ بِهِ: "اسْتَطَاعَ يَسْتَطِيعُ"، وَلَكِنْ حَذَفُوا " التَّاءَ" إِذَا جَامَعْتِ" الطَّاءَ"/؛ لِأَنَّ مَخْرَجَهُمَا وَاحِدٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: "اسْتَاعَ" فَحَذَفَ "الطّاءُ" لِذّلِكَ، وَقَالَ بَعضُهُمْ:"اسْطاعَ يُسْطِيعُ" فَجَعَلَهَا مِنَ القَطْعِ كَأَنَّهَا "أَطَاعُ يُطِيعُ" ؛ فَجَعَلَ "السَّينَ" عِوَضًا مِنْ إِسْكَانِ "الوَاوِ"[١].

جاء في إعراب القرآن للنحاس(ت٣٣٨هـ) "حكى أبو عبيد أن حمزة كان يُدغِمُ التاء في الطاء ويشدد الطاء. قال أبو جعفر: وهذا الذي حكاه أبو عبيد لا يَقدِرُ أحَدٌ أن يَنطِقَ بِه؛ لأن السين ساكنة والطاء المدغمة ساكنة قال سيبوية هذا محال، إدغام التاء فيما بعدها، ولا يجوز تحريك السين لأنها مبنية على السكون. وفيه أربع لغات حكاها سيبوية والأصمعي والأخفش يقال: استَطَاعَ يَستَطِيعُ، واسطاعَ يُسطِيعُ فتحذف التاء لأنها من مخرج الطاء، ويقال: استاعَ يستِيعُ فتحذف الطاع، واللغة الرابعة أسطاعَ يُسطِيعُ بقطع وضم أول الفعل المستقبل، وأصله عند سيبويه أطَاعَ يُطِيعُ فجاؤوا بالسين عوضًا من ذهاب حركة العين.

وحكى الكسائي: أنت تِستطِيعُ بكسر التاء الأولى[٢].

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله(ت١٣٩٣هـ) في : "(تَسْطِعْ) مضارع (اسطاع) بمعنى (استطاع). حذف تاء الاستفعال تخفيفاً لقربها من مخرج الطاء، والمخالفةُ بينه وبين قوله: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً)، للتفنن تجنباً لإعادة لفظ بعينه مع وجود مرادفه. وابتدىء بأشهرهما استعمالاً، وجيء بالثانية بالفعل المخفف لأنّ التخفيف أولى به، لأنه إذا كرر (تَسْتَطِع) يحصل من تكريره ثقل".

وقال أيضا: "(اسْطَاعُوَا) تخفيف (اسَتَطَاعُوا)، والجمع بينهما تفنن في فصاحة الكلام كراهية إعادة الكلمة. وابتدىء بالأخف منهما لأنه وليه الهمز وهو حرف ثقيل لكونه من الحلق، بخلاف الثاني إذ وليه اللام وهو خفيف"[٣].

(١) انظر. معاني القرآن للأخفش ص٤٣٣.
(٢) انظر. إعراب القرآن النحاس ص٥٥٥.
(٣) التحرير والتنوير٨/٤١٩.

ومقتضى الظاهر أن يُبتدأ بفعل (اسَتَطَاعُوا) ويثني بفعل (اسْطَاعُوَا) لأنه يثقل بالتكرير، كما وقع في قوله آنفاً: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) ثم قوله: (ذلك تأويل ما لم تَسْطِع عليه صبراً).

ومن خصائص مخالفة مقتضى الظاهر هنا: إيثار فعل ذي زيادة في المبنى، بموقع فيه زيادة المعنى لأن استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة في المعنى".

وقال ابن كثير رحمه الله: " قال تعالى : (فما اسطاعوا أن يظهروه) وهو الصعود إلى أعلاه، (وما استطاعوا له نقبا)، وهو أشق من ذلك، فقابل كلا بما يناسبه لفظا ومعنى[1].

لم يبتعد ابن جماعة في تعليله هذا عن سابقه الأصبهاني فقد ذكر" إن الثانية تعدّدت إلى اسم، وهو قوله عزوجل: (نقبًا) فخف متعلقها فاحتملت بأن يتم لفظها، فأمّا الأولى فإنها تعلق مكان مفعولها بـ "أن" والفعل بعدها، وهي أربعة أشياء أنّ، والفعل، والفاعل، والمفعول الذي هو الهاء، فنقل لفظ "استطاعوا" وكان يجوز تخفيفه حيث لا يقارنه ما يزيده ثقلًا، فلما اجتع الثقلان، واحتمل الأول التخفيف ألزم قي الأول دون الثاني الذي خف متعلقه "[2].

وترجيح الآراء في هذه المسألة كالآتي؛ ذكر بعض المفسرين أن الفائدة من هذا التغاير هي فائدة لفظية، وأن هذا هو مقتضى الفصاحة، حتى لا تكرر الكلمة بلفظها فإن ذلك معيب عند الفصحاء، وهذا ظاهر في قصة ذي القرنين، لأن التكرار واقع في الآية نفسها.

وذهب آخرون إلى أن الفائدة من هذا : فائدة معنوية، وهي أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فزيادة حرف (التاء) في إحدى الكلمتين تدل على أن الاستطاعة فيها أشد من الكلمة التي حذفت منها التاء، فعند المقابلة بين أمرين، يقال في الأشد منهما : (استطاع) بالتاء، ويقال في الأخف : (اسطاع) بحذف التاء.

---

(١) تفسير ابن كثير ١٨٨/٥.

(٢) درة التنزيل٢/٤١٠.

وهذا هو المناسب للموضعين في السورة : ففي قصة موسى عليه السلام مع الخضر، (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) فالاستطاعة هنا أشد لأن موسى عليه السلام لم يكن علم سبب فعل الخضر ما فعل.

فلما أخبره بذلك قال: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً)، لأن الأمر هنا صار أخف.

وكذلك في الموضع الثاني، وهي قصة ذي القرنين، فصعودهم على السد أقل صعوبة من نقبه، ولذلك جاء في الأول بحذف التاء (فما اسطاعوا أن يظهروه) وجاء في الثاني بالتاء (وما استطاعوا له نقبا).

*وأما عن التعبير بالماضي عن المستقبل:

فائدة هذا الأسلوب -كما قال ابن الأثير- أن الفعل الماضي إذا أُخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد، كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان وُجِد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يُستعظم وجودها. وذلك كما هو الحال في آية الأعراف { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}.

وقال السبكي[١] في هذا الصدد: "والفائدة في الفعل الماضي إذا أُخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد، أنه أبلغ وأعظم موقعاً؛ لتنزيله منزلة الواقع"، وقال أخرى: "وفائدة التعبير بالماضي الإشارة إلى استحضار التحقق، وأنه من شأنه لتحققه، أن يُعبَّر عنه بالماضي، وإن لم يرد معناه".

ومعنى هذا أن الفرق بين الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل، وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي، أن الغرض من الأول الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد، وتقريبه كأنه كائن، وتأكيداً على أنه سيكون. والغرض من الثاني تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته؛ ليكون السامع كأنه يشاهدها .

---

(١) هو تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبْكِي، صاحب كتاب طبقات الشافعية الكبرى.

ومما ورد في كتب التفسير ما افتتح به ابن قتيبة كتابه "تأويل مشكل القرآن"، باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، بقوله: "إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب، وافتتانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجاز ما أُوتيته العرب".

وحاصل ما ذكره ابن قتيبة في هذا الباب هو، أن التعبير بالماضي عن المستقبل، وبالمستقبل عن الماضي، إنما هو مذهب من مذاهب العرب في كلامها، وتفنن في أساليب خطابها، وإيقاع أحدهما موقع الآخر لا يخلو من نكتة بلاغية، أو لفتة بيانية، كدلالة المضارع على التجدد، والماضي على التحقيق.(وهذا خلاف قول ابن جماعة)

وعلى هذا الأسلوب أيضاً جاء قول حسان بن ثابت رضي الله عنه(البحر: الكامل)

يُغشون حتى ما تَهِرُّ كلابهم *** لا يسألون عن السواد المقبل [1].

فقد عبر الشاعر عن المعنى الذي يريد إيصاله بصيغة المضارع (تَهِرُّ)، مع أنه يخبر عن أمر قد مضى وانتهى، وما ذلك إلا لبعث الماضي في صورة الحاضر، وتصويره كأنه يحدث الآن، وهذا الأسلوب الشائع في لغة العرب، والذي جاء القرآن الكريم على وفقه، إنما يُعمل به إذا عُرف المعنى، ولم يكن هناك التباس وغموض.

وقد ذكر الآلوسي(ت١٢٧٠هـ) أن "الأفعال المستقبلة التي علم الله تعالى وقوعها كالماضية في التحقق؛ ولذا عبر عن المستقبل بالماضي في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز". وقد ذكر ابن الأثير أن "كثيراً ما يراعى أمثال هذا في القرآن ."

---

(١) التخريج: البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص١٢٣؛ وخزانة الأداب٢/٤١٢؛ والدرر٤/٧٦؛وشرح أبيات سيبوية١/٦٩؛وشرح شواهد المغني١/٢، ٣٧٨/٩٦٤؛وهمع الهوامع٢/٩؛وبلا نسبة في شرح الأشموني٣/٥٦٣. والشاهد فيه قوله: "حتى ما تهز" حيث جاءت(حتى)للابتداء، وجاء ما بعدها جملة فعلية، فعلها مضارع مرفوع. اللغة: يغشون: يقصدهم الناس لينالوا معروفهم. تهر كلابهم: تعوي. السواد والأسودات والأساود جماعة من الناس، والسواد: الشخص.

وكان مسلك القرآن مع هذا الأسلوب قد اتخذ منحيين، فتارة يُعبِّر بالماضي مريداً به المستقبل، وتارة يُعبّر بالمستقبل مريداً به الماضي، ولكل منحى غرض وغاية، نقفك عليها تالياً.

كما في المسألة (مائة واثنتان وثلاثون) قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أعْلَمُ مَنْ يّضِلُّ عَنْ سَبِيْلِهِ)(١١٧ ،الانعام) وفي النحل وغيرها: (بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ)(١٢٥، النحل ٣٠ ،النجم) (الآية٧ ،سورة القلم)؟

يقول ابن جماعة " ولمّا تقدم هنا: (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأرضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ)(الآية) [وتأخر](وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) ناسب من يَضِلُّ عَنْ سَبِيْلِهِ، وبقية الآيات إخبار عمن سبق منه الضلال فناسب الفعل الماضي"[1].

الآية (١١٧) من سورة الأنعام ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

الآية (١٢٥) من سورة النحل ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾.

قال الجوهري(ت٣٩٣هـ): يقال: ضل الشيء يضل ضلالا، أي ضاع وهلك، والاسم: الضل (بالضم(، والضالة: ما ضل من البهيمة، للذكر والأنثى ورجل ضليل ومضلل، أي ضال

جدا، وهو الكثير التتبع للضلال، وأضله: أضاعه وأهلكه، وضللت المسجد والدار: إذا لم تعرف موضعهما، وكذلك كل شيء مقيم لا يهتدى له، ويقال: أضله الله فضَلَّ)أي إنَّ ضل تستعمل مطاوعة لأضل)، ويقال إنك لتهدي الضال ولا تهدي المتضال، وتضليل الرجل، أن تنسبه إلى الضلال، والضلال: الهلاك في قوله تعالى:

---

(١) انظر. كشف المعاني، ص١٦٦.

إن المجرمين في ضلال وسعير[1]، والضلال البعيد: إشارة إلى ما هو كفر كقوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا[2].

وضَلّ يَضِل، وتفتحُ الضادُ، ضلالا: ضاعَ، وماتَ، وصارَ تُرابًا وعِظامًا، وخَفِيَ وغابَ، وفلانًا: أتيتهُ. ومنه: (وأنَا منَ الضالِينَ) وضلّني:ذَهَب عَنِي........." [3].

وأمَّا اصطلاحًا: " فالضلالُ العُدُولُ عَن الطَّريق المُستقيم وَيُضَادُّهُ الهداية، قال تعالى: (فَمَن اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فإِنَّمَا يَضلُّ عَلَيْها) (يونس/١٠٨) وقال عن موسى عليه السلام: {وأنّا من الضَّالين}(الشعراء/٢٠) تنبيه أن ذلك منه سهو، قوله:{أن تَضِلّ إحداهُما}(البقرة/٢٨٢) أي تنسى وذلك من النسيان الموضوع عن الإنسان.

الفعل المضارع: هو ما دلّ على حدث بالوقت الحاضر، والفعل الماضي هو ما دلّ على حدث مُرتبط بزمن ماضٍ، أي حدث قبل زمن التكلُّم

يقول الإسكافي(ت هـ) " وإذا قال : (إنّ ربّك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أي: هو أعلم بابتداء ضلاله وانتهاء أمره، وهل يقيم على كفره أم يقلع عن غيّه لرشده. فقد بان لك أنّ كلّ موضع أتى فيه بما اقتضاه المعنى من اللفظ[4]، وهذا أبرزه بشده ابن جماعة في كتابه موضوع البحث.

ولكن كان للكرماني رأي آخر قائلًا أنه في قوله تعالى (إن رُبّك هو أعلمُ بِمَن ضل عن سَبِيله)، بزيادة الباء ولفظ الماضي، لأن إثبات الباء هو الأصل، كما في (ن~ والقلم) وغيرها من السور، لأن المعنى لا يعمل في المفعول به، فنوى الباء، وحيث حذفت أضمر فعل يعمل فيما بعده، وخُصّتْ هذه السورة بالحذف موافقة لقوله (:الله أَعْلَم حيثُ يَجْعَل رِسَالته) (١٢٤)، وَعَدَل هنا إلى لفظ المستقبل، لأن الباء لما حذفت "، الْتَبَسَ اللفظ بالإضافة، لأن أكثر ما يستعمل لفظ أفعل من يستعمله مع

---

(١) سورة القمر، الآية ٤٧.

(٢) سورة النساء، الآية ١١٦.

(٣) قاموس المحيط، ص١٠٢٤، معجم مقاييس اللغة، ص٣٥٦.

(٤) راجع. غريب القرآن ص١٨٩

الماضي، نحو: " أعلم من دب ودرج"، " وأحسن من قام وقعد"، " وأفضل من حج واعتمر"، فتنبه. فإنه (من) أسرار القرآن، لأنه لو قال: أعلم من ضل بدون الباء مع الماضي لكان المعنى: أعلم الضالين[1].

يتبيّن مما سبق أن ابن جماعة أرجع المسألة للمناسبة اللفظية فحسب، بينما كان للكرماني تفسير أدق وأوضح وذكر أنه أتى بالباء مع لفظ أفعل واستعمله مع المستقبل حتى لا يلتبس اللفظ بالإضافة، ويصبح المعنى : أعلم الضالين[2].

المسألة رقم (مائة وسبعة وأربعون) قوله تعالى(وهو الذي يرسل الرياح بُشرًا) بلفظ المستقبل، وكذلك في الروم وفي الفرقان و(في) فاطر:(وهو الذي أرسل الرياح) بلفظ الماضي؟

علَّل ابن جماعة "لمَّا تقدم: (يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ) ناسب، (وَهُوَ الَّذِيْ يُرْسِلُ)، وأيضًا تقدم قوله: (ادعو ربكم) فناسب (وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) لأن الدعاء إنما يكون لما يأتى، وكذلك في الروم، لما تقدم قوله: (وَمِنْ آياتِهِ أنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ ناسب بعده: (اللهُ الذيْ يُرسلُ الرِّياحُ).

أمَّا الفرقان: فلما تقدم ذلك أفعال ماضية وهو قوله تعالى: (مَدَّ الظِّلَّ) و (جَعَلَهُ) (ثُمَّ قَبَضْنَاُه) و (جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ) و (جَعَلَ النَّهَارَ) ناسب ذلك: (وَهُوَ الَّذِى أرْسَلَ الرِّيَاحَ).

أمَّا آية فاطر: فإنه تقدم قوله تعالى: (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) وهو المطر، وإنما يذكِّر بشكر النعم الماضية على زمن الشكر، فناسب (أرْسَلَ)ماضيا.[1]

---

(١) راجع درة التنزيل، ص٥٤٤.

(٢) البرهان للكرماني ،ص١١٣.

الآية (٥٧) في سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

الآية (٤٦) الروم:قال تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الآية (٤٨) الروم: قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

- ثم يقول ابن جماعة " ثم جاءت بلفظ الماضي في سورة الفرقان وفي سورة فاطر"

الآية (٤٨) الفرقان: قال تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾

الآية (٩) فاطر:قال تعالى:﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾.

التحليل: فائدة الإخبار بالمستقبل عن الماضي فائدة هذا الأسلوب أن المستقبل إذا أُخبر به عن الماضي، تبينت من خلال هذا الأسلوب هيئة الفعل؛ وذلك باستحضار صورته؛ فيكون السامع كأنه شاهد يشهد الحدث الآن. قال ابن الأثير موضحاً فائدة هذا الأسلوب: "اعلم أن الفعل المستقبل، إذا أُتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي؛ وذاك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي...وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية، كحال تُستغرب، أو تهم المخاطب، أو غير ذلك".

وقد أطلق الزمخشري على هذا الأسلوب مصطلح "حكاية الحال".

ففي قوله تعالى: {والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض} (فاطر:٩)، فإنه جاء بالفعل {فتثير} مستقبلاً، وما قبله {أرسل}،

وما بعده {فسقناه}، و{فأحيينا} ماضياً؛ حكاية للحال التي يقع فيها إثارة الريح السحاب، واستحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة. قال الزمخشري: "فإن قلت: لِمَ جاء {فتثير} على المضارعة، دون ما قبله وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتُستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية.

ومن أمثلة ذلك عند العرب قول الشاعر يحكي صراعا حدث بينه وبين الضبع:

فأضربها بلا دهش فخرت *** صريعا لليدين وللجردان [1].

فالشاعر ضرب الضبع في الماضي، فلما حكى صراعه معها للناس عبر عن الماضي "فضربتها".بالمضارع "فأضربها"، والدلالة البلاغية للعدول عن الماضي إلى المضارع استحضاره صورة الحدث الذي وقع في الماضي، كأنه يحدث الآن في زمن المتكلم، ولا شك أن استعمال المضارع – بدلالته على التجدد والاستمرار. يجعل السامع يستحضر المشهد، ويتفاعل معه أكثر من استعمال الماضي.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام وفرعون: {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض} (القصص:٥) مع قوله أيضاً: {ونري فرعون وهامان وجنودهما} (القصص:٦) فإن (المنَّ) على موسى بالنصر والتأييد قد تم وانتهى، وأصبح من التاريخ والماضي، ولكن جاء الخطاب القرآني بصيغة المضارع {نمن} ليستحضر القارئ صورة النصر والتأييد، وكأن مجريات الأحداث تجري بين ناظريه. وقل مثل ذلك في عاقبة فرعون، حيث جاء التعبير القرآن بصيغة المضارع {ونري}؛ لاستحضار صورة الهزيمة، والعاقبة الوخيمة التي آل إليها أمر فرعون ومن معه. (هذا خلاف رأي ابن جماعة)

أوجب في الاختيار اللفظ الذي جاء عليه، وإن كان وصف الله عزوجل بأنه أرسل الرياح فبسط بها السحاب فساقه فأنزل منه الأمطار فأحيا بها البلاد، كوصفه

(١) راجع. الكشاف، باطن العنق، وقيل العنق من مذبح البعير إلى منخره، تخريج البيت:

بأنه يفعل ذلك في المستقبل، لأنه قادر كما كان، وقد عوّدنا فِعل ذلك وأعلمنَاه مشاهدة.

إلّا أن الآية التي في سورة الأعراف جاء فيها (يرسل) بلفظ المستقبل، لأن قبلها: (ادعوا ربَّكم تضرُّعًا وخُفيةٍ إنه لا يحبُّ المعتدين* ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفًا وطمعًا إن رحمة الله قريب من المحسنين)، فكان في ذلك بعث على الدعاء والتضرّع، وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف ما رزق الله الخلق من النعم فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعين، وأدعى لهم إلى الدعاء.

وأمّا في سورة الفرقان، ومجيء هذ اللفظ بلفظ الماضي فلأن قبل الآية[1]﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ [الفرقان ٤٥-٤٨] فلمّا عَدَّدَ أنواع ماأنعم به، وكان إرسال الرياح من جملته عدّة مع ما تقدمه، وأخبر منه عمّا فعله وأوجده[1].

ويوافق الخطيب ما قاله ابن جماعة ولكن بشيء من التفصيل فيقول " بل لكل ما يوجب في الاختيار اللفظ الذي جاء عليه، وإن كان وصف الله عز وجل بأنه أرسل الرياح فبسط بها السحاب فساقه فأنزل منه الأمطار فأحيا بها البلاد، كوصفه بأنه يفعل ذلك في المستقبل، لأنه قادر كما كان، وقد عوّدنا فِعل ذلك وأعلمَناه مشاهدة.

إلّا أن الآية التي في سورة الأعراف جاء فيها (يرسل) بلفظ المستقبل، لأن قبلها: (ادعوا ربكم تضرعا إنه لا يحب المعتدين*ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وكمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين) [الأعراف:٥٥-٥٦]فكان في ذلك بعث على الدعاء والتضرع، وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف

---

(١) المرجع نفسه، ص١١٦.

ما رق الله الخلق من النعم فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعيين، وأدعى لهم إلى الدعاء...إلخ"[١].

مسألة رقم (أربعمائة وسبعة وعشرون) قوله تعالى هنا: (سَبَّحَ لِلَّهِ) وفي الحشر والصف (كذلك) بصيغة الماضي وفي الجمعة والتغابن : (يُسَبِّحُ) بصيغة المضارع؟

يقول ابن جماعة " لما أخبر أولًا بأنه سبح له ما في السموات وما في الأرض أخبر أن ذلك التسبيح دائم لا ينقطع، وبأنه باق ببقائه، دائم بدوام صفاته الموجبات [٢].

الآية الأولى من سورة الحشر ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾.

الآية الأولى من سورة الجمعة ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾

يشير ابن جُمَّاعة، ووافقه أبو حيان[٣]. إلى علَّة التَّلوين بين البناءين، وهي: الديمومة والاستمرار في تسبيح الله عزَّ وجل في السموات والأرض، فلمَّا أخبر بتسبيح المخلوقات بصيغة المضيّ أولاً أخبر أنَّ ذلك التَّسبيح دائم لا ينقطع، وأنَّه باق ببقائه سبحانه من خلال صيغة المضارع التي تدلّ على الاستمرار، واستحضار صورة التَّسبيح.

ولم يبتعد الرّازيّ[٤]، والشّوكانيُّ[٥] عن هذا التَّأويل جمعًا بين المضيِّ والاستقبال للبناءين: للدَّلالة على هذه الدَّيمومة.

---

(١) درة التنزيل ٢/١١٥-١١٦.

(٢) كشف المعاني، ص٣٧٧.

(٣) البحر المحيط: ١/١٠٠.

(٤) مفاتيح الغيب: ٢٩/٢٠٦.

(٥) فتح القدير: ٥/٢٠٤.

وقد أفاد البغويُ[1]، والألوسيُّ[2] بأنَّ هذه المغايرة فيها: إشعار بأنَّ من شأن المؤمن إذا أُسند إليه التَّسبيح أن يسبِّحه في جميع أوقاته مقارنة بالملأ الأعلى الذين يسبِّحون اللَّيل والنَّهار لا يفتُرون.

يرى البقاعي[3] أنَّ مجيء صيغة المضيِّ ثلاث مرَّات في فواتح الحديد والحشر والصَّف للإثبات المؤكّد، ثُمَّ حدث التَّحُّول في التَّركيب إلى صيغة المضارع في سياق سورة الجمعة؛ ليدلَّ على استمرار وتجديد التَّنزيه له سبحانه لاستمرار ملكه، وأكّد ذلك في فاتحة التغابن، وفصل بين هذه السُّور بسورة خالية من التَّسبيح؛ ليكون ذلك أولى على قصد التَّأكيد من حيث شدَّة الاعتناء بالذِّكر، وإن وقع فصل بين المسبِّحات.

ويتتبع الكرمانيُّ[4] صيغة سَبَّح في السِّياق القرآني كلّه فألمح إلى أنَّ المغايرة بين الماضي والمضارع في السِّياقات السَّابقة وصيغة الأمر في سورة الأعلى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، والمصدر في الإسراء:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ (الإسراء:١) جاءت استيعابًا، واستيفاءً لهذه الصِّيغة من حيث الوجهة الدَّلاليَّة لجميع صورها في سياقاتها.

إذن كلمة ﴿...يُسَبِّحُ...﴾ تفيد استمرار التسبيح بالفعل، أما كلمة ﴿...سَبَّحَ...﴾، فتفيد حصول التسبيح فيما مضى..

<u>ومن اختلاف صيغ المضارعة</u>: مسألة رقم(مائة واثنتان وستون) قوله تعالى: (كذالك يطبعُ الله) وفي يونس: (نَطْبَعُ) بالنون.

---

(١) أنوار التَّنزيل: ٢ /٤٦٦.

(٢) روح المعاني: ١٦٥/٢٧.

(٣) نظم الدُّرر: ٢ /٤٥.

(٤) البرهان في متشابه القرآن، ص٣٠٨، وينظر: فتح الرَّحمن، ص٤١٢.

يقول ابن جماعة "أنه تقدم هنا: (أفأمنوا مَكْرَ اللهِ) الآية، فناسب التصريح بقوله(كَذَالكَ يَطْبَعُ اللهُ). وفي يونس تقدم: "فَنَجَّيْنَا"، ثم "بعثنا" و "جعلناهم" فناسب (نَطْبَعُ) بالنون[1].

آية الأعراف: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

الآية (١٠١) الأعراف: قال تعالى ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾

الآية (٧٤) يونس: قال تعالى﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾

التحليل: " الآية(٩٩) من سورة الأعراف قوله تعالى (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُون) فقوله (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ)، قَدَّم ذكر الله سبحانه بالصريح والكناية فناسب التصريح بقوله (كذَالكَ يَطْبَعُ اللهُ)في الآية (١٠١) في قوله (كَذَالِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ).

وفي يونس تقدم: (فَنَجَّيْنَا)،ثم(بعثنا)و(جعلناهم)، بلفظ الجمع الآية (٧٣) في قوله تعالى(فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن معهُ فِي الفُلكِ وَجَعَلْنَاهُم خَلَائِف وَأَغْرَقْنَا الذين كَذَّبوا بِأَياتِنا فَانظرْ كَيفَ كَانَ عَاقِبةُ المُنذَرِينَ) وبذلك بنى على ماقبله فختم بمثله فناسب (نَطْبَعُ)بالنون، وقال ابن عطية (ت ٥٤٦هـ) و"وَنَطْبَعُ) عطف على (أَصَبْنَا) إذ المراد به الاستقبال"[2].

يقول الفراء (ت٢٠٧هـ) في الأعراف أن بعد قوله { أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ}ثم قال: (ونطبع) ولم يقل: وطبعنا، ونطبع منقطة عن جواب لو: يدلك على ذلك قوله: (فهو لا يسمعون)؛ألا ترى أنه لا يجوز في الكلام: لو سألتني لأعطيتك

(١) انظر. كشف المعاني، ص١٨٥.

(٢) راجع. المحرر الوجيز ١٣٣/٣.

فأنت غنيّ، حتى تقول: لو سألتني لأعطيتك فاستغنيت. ولو استقام المعنى في قوله: (فهم لا يسمعون) أن يتصل بما قبله جاز أن تردّ يفعل على فعل في جواب لو؛ كما قال الله عز وجل: (ولو يعجل الله للناس استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون) فنذر مردودة على(لقِضى) وفيها النون.وسهَّل ذلك أن العرب لا تقول: وذرت، ولا ودعت، إنما يقال بالياء والألف والنون والتاء، فأوثرت على فعلت إذا جازت؛ قال الله تبارك وتعالى: (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) ثم قال: (ويجعل لك قصورا) فإذا أتاك جواب لو آثرت فيه (فعل على يفعل) وإن قلته ينفعل جاز، وعطف فعل على يفعل ويفعل على فعل جائز، لأن التأويل كتأويل[1].

وقال الزجاج(ت٣١١هـ) "وقوله:{ونَطْبعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} ليس بمحمول على أَصَبْنَاهم، المعنى ونحن نطبع على قلوبهم، لأنه لو حمل على أَصَبْنَاهمْ لكان ولطبعنا، لأنه على لفظ الماضي، وفي مَعْنَاهُ، ويجوز أن يكون محمولًا على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل كما أن لو نشاءَ معناه لو شئنا." [2].

أمّا عن قوله ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾، وهذا إخبار عن قوم لا يؤمنون. كما قال جلّ وعزّ: (أَنَّهُ لَنْ يُؤمِنْ مِنْ قَوْمِكَ إلا مَنْ قد آمن}، وكما قال النبيّ(صلى الله عليه وسلم): {قُلْ ياأيها الكافرون لا أَعْبدُ ما تعبدون، وَلَا أنتم عَابدون ما أعْبد}. فهذا إخبار من الله جَلَّ وعز أن هؤلاء لا يؤمنون.

وقال قوم: {فمَا كَانوا ليؤمِنُوا بما كذبُوا من قبل..} أي لَيْسُوا مؤمنين بتكذيبهم، وهذا ليس بشئٍ؛ لأن قوله: كَذَلك يَطْبَعُ الله على قلوب الكافرين. يَدُل على أنهم قد طُبع على قُلُوبهم. وموضع الكاف في "كذلك" نصْبُ. المعنى مثل ذلك يطبعَ اله على قُلوب الكافرين"[1]

ترجيح الآراء : ويتضح مما سبق أن ابن عطية يوافق ابن جماعة فيما ذهب إليه من المناسبة، حيث عطف (نطبع) على أصبنا، ولكن هناك رأي آخر ذهب إليه

(١) معاني القرآن للفراء، ٤٧٤/١.

(٢) معاني القرآن للزجاج، ص٣٦١،٣٨٦.

الفراء والزجاج في أن(نطبع) ليس بمحمول على أَصَبْنَاهم لأنه لو حمل على أَصَبْنَاهمْ لكان ولطبعنا، لأنه على لفظ الماضي، وقد يكون حُمل على الماضي ويراد به المستقبل كما أن لو نشاءَ معناه لو شئنا، وأنا أميل إلى الرأي الأخير.والله اعلم

مسألة رقم (ثلاثمائة وخمسون) قوله تعالى:(وهل نجازي إلا الكفور)، وقال تعالى:(كذالك نجزي من شكر) وقال: (وسيجزي الله الشاكرين)؟

يقول ابن جماعة " المراد: هل يجازى بالظلم والمعاصي حتما إلّا الكفور، لأن المؤمن قد يعفى عنه، فلا يجازى بمعصية تفضلًا عليه، ولشرف الإيمان" [1].

الآية(١٧) سورة سبأ: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾

الآية (٣٥) سورة القمر: قال تعالى: ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾

الآية (١٤٤) سورة آل عمران: قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

المعنى اللغوي "جَزَىَ"القاموس المحيط: "الجَزاءُ: المُكافَأَةُ على الشئِ، كالجازِيَةِ، جَزاهُ به، وعليه جَزَاءَ، وجازاهُ مُجازاةً وجِزاءً. وتَجَازَى دَيْنَه، وبِدَيْنه: تقاضاهُ. واجْتَزاهُ: طَلَبَ منه الجَزَاءَ. وجَزَى الشئُ يَجْزِي: كَفَى...إلخ [2].

يقول الزمخشري " وليس لقائل أن يقول لم قيل: وهل يجازي إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا هل يجازي إلا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسدّ كلامًا فتبين

---

(١) كشف المعاني،ص٣٠١.

(٢) القاموس المحيط، مادة (جَزَى) ، ص١٢٧٠.

أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"[1].

قال الطبري(ت٣١٠هـ) وقوله ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ﴾ اختلفت القراء في قراءته؛ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ﴿وهل يُجازَى﴾ بالياء وبفتح الزاي على وجه ما لم يسمَّ فاعله ﴿إلا الْكَفُورُ﴾ رفعًا. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ﴿وهل نُجَازِي﴾ بالنون وبكسر الزاي ﴿إلا الكَفُور﴾ بالنصب.

ويقول ايضًا " فإن قال قائل: أوما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة، فيخص أهل الكفر بالجزاء؟ فيقال: وهل يجازى إلا الكفور؟ قيل: إن المجازاة في هذا الموضع المكافأة، والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف، ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة له على جرمه، والمكافأة لأهل الكبائروالكفر، والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل، فلذلك قال جل ثناؤه في هذا الموضع ﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلا الْكَفُورُ﴾ ؟ كأنه قال جل ثناؤه: لا يجازى: لا يكافأ على عمله إلا الكفور، إذا كانت المكافأة مثل المكافَأ عليه، والله لا يغفر له من ذنوبه شيئًا، ولا يمحص شيء منها في الدنيا".[1]

وفي قوله {كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ}، (كذلك) متعلّق بمحذوف مفعول مطلق عامله نجزي وجملة» :نجزي. « ..لا محلّ لها استئنافيّة وجملة» :شكر. « ..لا محلّ لها صلة الموصول (من)" [2].

جاء في إعراب القرآن للنحاس قوله: ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ "نعْمَةً مِنْ عِنْدِنا قال أبو إسحاق: نصبت نعمة لأنها مفعول لها، قال: ويجوز الرفع بمعنى تلك نعمة من عندنا. كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ الكاف في موضع نصب أي نجزي من شكر جزاء كذلك النجاء[3].

---

(١) نظر. الكشاف ص٨٧٢.

(٢) انظر. جامع البيان/ ابن جرير الطبري.

(٣) انظر. إعراب القرآن للنحاس، ص١٠٦٩.

تعقيب : مما سبق ذكروه سواءً من خلال الإتيان بالمعنى المعجمي للفعل "جَزَى" أو ما قاله الزمخشري في الكشاف يتضح أن المجازاة للكافر والمؤمن على حدٍ سواء ولكن قد تكون مجازاة لخير فُعِل، أو عقاب لإثمٍ اِقتُرِفْ ولكن لابد من كلام مُسْبَق نفهم من خلاله المقصد الإلهى وهنا تأتي أهمية السياق فعندما قال جل وعلا (ذَالِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَاكَفَرُوا)، هنا إشارة واضحة بأن هناك مُجازاة شديدة للكافرين على كفرهم إذن المجازاة هنا عقاب " والله اعلم.

ثانيًا: اختلاف دلالة الاشتقاق في الأسماء : كما في المسألة الرابعة: قوله تعالى (الرحمن الرحيم)

آية(الثالثة) من سورة الفاتحة: ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾

يقول ابن جماعة ذكر المفسرون في إيراد الاسمين مع اتحاد المعنى فيهما معاني كثيرة مذكورة في كتب التفسير لم نطل بها هنا.

وأحسن ما يقال مما لم أقف عليه في تفسير: أن (فَعلانْ) صيغة مبالغة في كثرة الشئ وعظمه، والامتلاء منه، ولايلزم منه الدوام لذلك: كغضبان، وسكران، ونومان. وصيغة (فَعِيل) لدوام الصفة، ككريم، وظريف، فكأنه قيل: العظيم الرحمة، الدائمها.

ولذلك: لمّا تفرد الربُّ سبحانه بعظم رحمتهِ لم يسمْ بالرحمن (بالألف واللام) غيره[١].

" (الرحمن الرحيم): صفتان مشتقّان مِن الرحِم، والرّحمن من أبنية المبالغة. وفي الرحيم مبالغة أيضًا؛ إلا فَعْلانا أَبلغ مِنْ فَعِيل وجرّهما على الصفة؛ والعاملُ في الصفة هو العاملُ في الموصوف. وقال الأخفش: العامل فيها معنويّ، وهو كونها تبعًا. ويجوز نصهما على إضمار أَعني، ورَفْعُهما على تقدير (هو)".

(١) كشف المعاني، ص ٨٥.

صيغة "الرحمن" أبلغ من "الرحيم" لأن لفظ الرحمن يدل على الكثرة والسِّعة والامتلاء كما تقول شبعان، وملأن، وغضبان لمن امتلأ شبعًا، وريًّا، وغضبًا، بخلاف"الرحيم"فلا تفيد المبالغة، فمعنى "الرحمن" واسع الرحمة، وقيل: "الرحمن" صفة تتعلق بالذات، و"الرحيمُ" صفة تتعلق بالعباد "إنه بهم رءُوف رحيمٌ".

وذهب الزجاج(ت٣١١هـ) "إلى أنَّ هذه الصفات لله عز وجل، معناه فيما ذكر ابو عبيدة[١]: ذو الرحمة، ولا يجوز أن يُقال "الرَّحمانُ" إلا للهِ، وإنما كان ذَلك لأَنَّ بناءَ فَعْلان من أَبنية ما يُبالغُ في وَصْفِهِ، أَلا ترى أَنك إذَا قُلت غضْبان فمعناه المُمْتلِيء غَضَبًا، فَرحْمانُ الذي وَسِعَتْ رحمَتُهُ كلّ فلا يَجُوزُ أن يُقَال لغير الله رحمان، وخُفِضَتْ هذه الصِّفاتُ لأنها ثناءٌ على الله –عزوجل- فكان إعرابُها إعراب اسمه...." [٢].

وأكدّ ما ذكره الزجاج الأنصاري " فإن قُلتَ: الرحمنُ أبلغُ من الرحيم فكيف قدَّمه؟ وعادة العرب في صفات المدح الترقّي من " الأدنى" إلى " الأعلى" كقولهم: فلانٌ عالمٌ نِحرير.. لأن ذكر الأعلى أوّلًا، ثم الأدنى، لم يتجدد بذكر الأدنى فائدة، بخلاف عكسه؟! الرد على ذلك إنه إن كانا بمعنى واحدٍ كندمان ونديم، كما قال الجوهري وغيره فلا إشكال، أو بأنَّ "الرحمن" أبلغ كما عليه الأكثر، فإنما قدَّمه لأنه اسمٌ خاصٌ بالله تعالى كلفظ"الله"[٣].

مسألة رقم (مائة وأربعة وستون) قوله تعالى في الأعراف: قوله تعالى هنا :(بكلِّ ساحر) وفي الشعراء(بِكُلِّ سَحَّار) فما فائدة اختلاف اللفظين؟.

علّل ابن جماعة قائلَا (بِكُلِّ ساحر): وفي الشعراء (بِكُلِّ سحَّار) فلتقدم قولهم: (بِسِحرِهِ) فناسب صيغة المبالغة "بسحّار"[٤].

---

(١) معمر بن المثني أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وكان أجمع الناس لأخبار العرب وأيامهم ولكنه كان يكره العرب، ويتهم باليهودية، ترك كتبا كثيرة منها(مجاز القرآن" وهو تفسير لغوي موجز فيه كثير من المأخذ، ولكن الزجاج يعتمد عليه كثيرا وينقل أقواله، توفي أبو عبيدة سنة ٢٠٨هـ)

(٢) معاني القران للزجاج ،٤٣/١.

(٣) فتح الرحمن، ص٢٣.

(٤) كشف المعاني، ص١٨٦ -١٨٧.

آية الأعراف(١١٢) ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

آية الشعراء(٣٧) ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

تغايرت الصيغتان – ساحر وسحَّار- اسم الفاعل وصيغة المبالغة في سياقين، الأولى في سياق قوله تعالى: (يأتُوكَ بِكِّلِ سَاحرٍ عَليم) في سورة الأعراف، والثاني في قوله عز وجل: (يأتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَليم) في سورة الشعراء

وقد أشار الزَّمخشريّ لسبب تخصيص كل صيغة في تركيبها بأن قوم فرعون عارضوا قوله: (إنَّ هذا لسَاحِرٌ عَليم) بقولهم(يأتوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عليم) فجاءوا بصيغة المبالغة سحار؛ ليطمئنوا نفسه، ويسكنوا بعض قلقه(١).

واستفاد ابن الجزريّ من إشارة الزّمخشريّ من دلال الصيغتين في السِّياق وزاد الأمر توصيفًا فذكر أنَّ الفُرَّاء: "اتَّفقوا على حرف الشَعراء أنّه (سحَّارٍ)، لأنَّه جواب لقول فرعون فيما استشارهم فيه من أمر موسى بعد قوله: (إنَّ هَذا لسَاحِرٌ عَليم) فأجابوه بما هو أبلغ من قوله؛ رعاية لمراده بخلاف التي في الأعراف فإنّ ذلك جواب قولهم فتناسب اللفظان"(٢).

قال العكبريُّ – عند قوله تعالى :﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:١٨٢} وظلام: فعَّال من الظُّلم، فإن قيل: بناء فعَّال للتَّكثير، ولا يلزم من نفي الظُّلم الكثير نفي الظُّلم القليل، فلو قال: بظالم لكان أُوّل على نفي الظُّلم قليله وكثيره. فالجواب من ثلاثة أوجه: أنَّ فعَّالا جاء لا يُراد به الكثرة، كقول طرفة:

وَلَستُ بِحَلال التِّلاعِ مَخَافَةً *** وَلَكِن مَتَى يَستَرفِدِ القَومُ أَرفِدِ (٣).

(١) انظر. الكشاف، ص٣٧٨.

(٢) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٤ / ٦٤، و مفاتيح الغيب ١٤ / ٢٠٠.

(٣) البيت في ديوانه ص ٢٩، تخريج البيت: البيت من معلقة طرفة بن العبد. والتلاع: ما ارتفع من الأرض، ويسترفد القوم: يطلبون الرفد، وهو العطاء. يريد أنني لا أسكن الأماكن المرتفعة بعيدا عن طرق الأضياف، وقوله: بحلال: الباء زائدة، وحلال: خبر ليس. مخافة: مفعول لأجله. والشاهد: «متى يسترفد. أرفد»، حيث جزم ب متى فعلين. [سيبويه/ ١/ ٤٤٢، وشرح المغني/ ٧/ ١٧٠، والخزانة/ ٩/ ٦٦].

ولا يريد هاهنا أنَّه قد يحلُّ التَّلال قليلا؛ لأنَّ ذلك يدفعه قوله: "مَتَى يَستَرفِدِ القَومُ أَرفِدِ "وهذا يدلُّ على نفي البُخل في كلِّ حال؛ لأنَّه تمام المدح لا يحصل بإرادة الكثرة"[١].

وحاصل دلالة التَّغاير بين الصِّيغتين في كُلٍّ: أنَّ الفاعل من السِّحر: ساحر لسياق قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف ١٢٠]، و﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾(الشُّعراء ٤٠)، كما أنَّ السِّحرة جمع ساحر، ككتبة وكاتب، وفجرة وفاجر، أمَّا سحَّار فقد وُصِفَ بلفظ: عليم ووصفه يدلُّ على تناهيه فيه، وحذقه به؛ فناسب لذلك أن يُذكروا بالاسم الدّال على المبالغة في السِّحر"[٢].

ونقل الألوسي(ت١٢٧٠هـ) توصيفات في التفريق بين سحار وساحر فسحَّار بصيغة المبالغة يكون لمن يريد السّحر، وساحر، وساحر بصيغة اسم الفاعل يكون لمن سحر في وقت دون وقت، وقيل: إن السَّاحر للمبتدئ في صناع السّحر، والسّحار هو: المتمرس في السحر والمنتهى الذي يتعلم منه ذلك[٣].

وهذا التَّفريق الذي نقله الألوسيُّ، هو تفريق في العموم بين السَّاحر والسَّحَّار، وليس مختصًّا في سياق آيتي الأعراف والشُّعراء.

وجعل ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) السَّحَّار مرادفًا للسَّاحر في الاستعمال اللُّغويِّ، وأنَّ صيغة فعَّال في قوله: سحَّار جاءت هنا للنَّسب دلالة على الصِّناعة، وذلك مثل: النَّجَّار، والقصَّار، وممَّا يدلُّ على ذلك مجيء عليم بالسِّحر الفائق في علمه[٣].

مسألة رقم(مئتان وأربعة عشر) قوله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ)(١٥ الرعد)، وفي النحل: (مَا فِي السَّموَاتِ)(٤٩النحل)؟ استعمال (مَنْ) الموصولة مرة و (مّا) الموصولة تارة أخرى.

---

(١) التِّبيان في إعراب القرآن ١ /٣١٦.
(٢) روح المعاني ٩ / ٢٣.
(٣) التَّحرير والتَّنوير ١٩ / ١٢٤.

ذكر ابن جماعة أنه حيث أريد بالسجود الخضوع والانقياد جئ بـ(مَا) لأنها عامة فيمن يعقل ومن لا يعقل، كآية النحل فيمن يعقل ومن لا يعقل.

وخصّ من يعقل هنا لتقدم قوله: (وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ لاَ يَسْتَجِيْبُوْنَ لَهُمْ بِشَيْئٍ) وقبله: (سَوَاءٌ مِنْكُمْ منْ أسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) الآيات، فناسب: (مَنْ فِي السَّموات والأرْضِ) (١).

الآية(١٥)من سورة الرعد ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾

الآية (٤٩)من سورة النحل﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

يقول الأخفش عن آية النحل "يُرِيدُ: مِنَ الدَّوابِّ وَاجْتَزَأَ بِالوَاحِدِ؛ كَمَا تقُولُ: "مَا أَتَانِي مِنْ رَجُلٍ"؛ أي: مَا أَتَانِي الرِّجَالِ مِثْلُهُ." (٢).

يقول الأشموني " فأما "مَنْ" فالأصل استعمالها في العالِمِ، وتستعمل في غيره لعارضِ تشبيه به، كقوله: (البحر الطويل)

٨٩- أسِرْبَ القَطَاهَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ ** لَعَلِّي إلَى مَنْ قَدْ هَوِيتُ أطِيرُ؟(٣).**

---

(١) كشف المعاني،ص٢١٧.

(٢) معاني القرآن للأخفش، ص ٤١٦.

(٣) هذا البيت للعبَّاسِ بنِ الأَحْنَفِ، أحدِ الشعراءِ المُوَلَّدِينَ، وقد جاءَ بهما الشارحُ تمثيلاً لا اسْتِشْهاداً، كما يَفْعَلُ المُحَقِّقُ الرَّضِيُّ ذلك كثيراً، يُمَثِّلُ بشِعْرِ المُتَنَبِّي والبُحْتُرِيِّ وأبي تَمَّامٍ، وقيلَ: قائِلُهما مجنونُ لَيْلَى، وهو مِمَّن يُسْتَشْهَدُ بشِعْرِهِ، وقد وَجَدْتُ بيتَ الشاهدِ ثابتاً في كلِّ ديوانٍ مِن الديوانَيْنِ: ديوانِ المجنونِ، وديوانِ العَبَّاسِ، وذلك مِن خَلْطِ الرُّواةِ. الشاهدُ فيه: قولُه: (يَعِمَنْ مَنْ - إلخ) حيثُ استَعْمَلَ (مَن) الموصولةَ في مَعْنَى المفردِ المُذَكَّرِ غيرِ العاقلِ؛ لأنَّ المُرادَ بها ههنا الطَّلَلُ البالي، والأصلُ في (مَنْ) أن يَكُونَ استعمالُها في العاقلِ، وإنَّما استُعْمِلَت هنا في غيرِه مَجَازاً، والذي مَهَّدَ لهذا التَجَوُّزِ نداءُ الطَّلَلِ مِن قبلُ في قولِه: (أَيُّها الطَّلَلُ) فإنَّ نداءَه جَعَلَه حينئذٍ بمنزلةِ العقلاءِ؛ إذ لا يُنَادَى ولا يُدْعَى إلا العَاقِلُ؛ لأنَّ الغَرَضَ مِن النداءِ إقبالُ مَن تُنَادِيه عليك، والغرضَ مِن الدعاءِ إجابةُ مَن تَدْعُوه، فتَفَهَّمْ ذلك واحْفَظْه.

وقوله: ٩٠

- أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي *** وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ في العُصُرِ الخَالِي؟(١).

أو تغليبه في اختلاطٍ، نحو "وَللهِ يَسْجُدُ مَنْ في السَّمواتِ وَمَنْ في الأَرْضِ" أو اقترانه به في عمومٍ فُصِّلَ بِمنْ، نحو "فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمشِي على رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي على أَرْبَعٍ"؛ لاقترانه بالعاقل في "كل دابة"، وتكون بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفردًا كان أو مثنى أو مجموعًا، والأكثر في ضميرها اعتبار اللفظ، نحو"وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ" "وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ" ويجوز اعتبار المعنى نحو " وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ".

ومنه قوله:

٩١- تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لاَ تَخُونُني*** نَكُنْ مِثْلَ مَنْ – يَاذِئْبُ- يَصْطَحِبَانِ(٢).

وأما "مَا" فإنها لغير العالم، نحو "مَا عِنْدَكمْ يَنْفَدُ" وتستعمل في غيره قليلًا، إذا اختلط به، نحو"يُسَبِّحُ للهِ مَا في السَّمَوَاتِ وَمَا في الأَرْضِ". وتستعمل أيضًا في صفات العالم، نحو:"فانْكِحُوا مَا طَابَ لَكم مِنَ النِّسَاءِ"، وحكى أبو زيد "سُبْحَانَ مَا يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ"، وسُبْحَانَ مَا سَخَّرَ كنَّ لَنَا" وقيل: بل هي فيها لذوات مَن يعقل،

---

(١) التخريج :هو مَطْلَعُ قصيدةٍ لامرئ القَيْسِ بنِ حُجْرٍ الكِنْدِيِّ: الشاهدُ فيه: قولُه: (يَعِمَنْ مَنْ - إلخ) حيثُ استَعْمَلَ (مَن) الموصولةَ في مَعْنَى المفردِ المُذَكَّرِ غيرِ العاقلِ؛ لأنَّ المُرادَ بها ههنا الطَّلَلُ البالي، والأصلُ في (مَنْ) أن يَكُونَ استعمالُها في العاقلِ، وإنَّما استُعْمِلَت هنا في غيرِه مَجَازاً، والذي مَهَّدَ لهذا التَجَوُّزِ نداءُ الطَّلَلِ مِن قبلُ في قولِه: (أَيُّها الطَّلَلُ) فإنَّ نداءَه جَعَلَه حينئذٍ بمنزلةِ العقلاءِ؛ إذ لا يُنَادَى ولا يُدْعَى إلا العَاقِلُ؛ لأنَّ الغَرَضَ مِن النداءِ إقبالُ مَن تُنَادِيه عليك، والغرضَ مِن الدعاءِ إجابةُ مَن تَدْعُوه، فتَفَهَّمْ ذلك واحْفَظْه.

(٢) البيت للفرزدق من قصيدة يخاطب بها الذئب الذي أتاه وهو نازل في بعض أسفاره في بادية. كان الفرزدق قد أخذ شاة ثم أعجله المسير فسار بها فجاء الذئب فحركها وهي مربوطة على بعير فأبصر الفرزدق الذئب وهو ينهشها فقطع رجل الشاة فرمى بها إليه فأخذها وتنحى. ثم عاد فقطع له اليد فرمى بها إليه. فلما أصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان.تعش: أمر قوله: لا تخونني قيل انه الجواب. والحق أن يكون الجواب نكن مثل. ويكون لا تخونني جواب القسم الذي تضمنه عاهدتني، وقد استشهد به النحاة على أن عائد الموصول وقع مثنى في قوله يصطحبان مراعاة للمعنى ورواية الديوان: تعش فإن واثقتنى. راجع. الكتاب ٢ / ٤١٦، الصبان ـ ١ / ١٥٣، الديوان-القاهرة ص ٨٧٠، الآية رقم (١٣) من سورة النساء، البحر المحيط ـ ٣ / ١٩١، والتصريح . ١/ ١٤٠.

وتستعمل في المبهم أمره، كقولك – وقد رأيت شَبَحًا من بعيد -: انظر إلى مَا أرى، وتكون باللفظ واحد كَمَنْ"[1].

كما ذكر السيوطي " مَنْ للعالِمِ وشبهه، ولغيره شمولًا أو تفصيلًا، وقيل: مطلقًا. وما لغيره غالبًا، ومبهم أمره وصفاتِ عالم...وقيل: وله مطلقًا، وقيل: بقرينة. وذكر أن المراد من هذا الكلام أنّ الأصل في (من) وقوعها على العاقل، ولا يقع على غير العاقل إلا في مواضع: أحد

ها: أن ينزل منزلته نحو: (ومَنْ أَضَلّ مِمّن يَدْعوا مِن دُونِ الله من لا يستجيبُ لَهُ) (الأحقاف:٥) عبَر عن الأصنام بـ"مَنْ" لتنزيلها منزلة العاقل حيث عَدوها، وقوله:

٢٩٩- أَسِرْبَ القَطا هل من يُعِيرُ جناحَهُ ***...............................

نَزَل القطا منزلَة العاقل لخطابه وندائه.

وأمّا الثاني والثالث: أن يقترن معه في شمول أو تفصيل، فالأول: نحو (أَلَم تَرَ أنَّ اللهَ يُسَبّحُ لَهُ مَن في السموات والأرض) (النور:٤١). والثاني: نحو: (ومنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى أرْبَعٍ) (النور:٤٥)، لاقترانه بالعاقل فيما فُصّل بمَنْ في قوله: (خَلَقَ كُلَّ دآبةٍ مِنْ مَآءٍ) (النور:٤٥).

وزعم قوم منهم قُطْرُبِ وقوع من على غير من يعقل دون اشتراط، أخذًا من ظاهر ما ورد من ذلك.

وجاء في همع الهوامع " أنهما يقعان شرطًا واستفهامًا، وأنكر الفرّاء نحو: من قائم، ونكرتين موصوفتين خلافًا لقوم. وشرط الكسائي لـ "مَنْ" وقوعها محلّ جائز تنكير. وبعضهم واجبه.

قال الفارسي: وتقع نكرة تامة. وتوصف بـ"ما" في قولٍ، لتعظيم، أوتحقير، أو تنويع. خلتْ نكرةٍ من صفةٍ في ما أفعله، ونعِمًا، وإني مما أنْ أفعل. وقيل: معرفة فيهما. وتزاد. قيل:ومَنْ"[2].

---

(١) انظر شرح الأشموني ٢ /٧٠،٧١.

(٢) انظر. همع الهوامع،١ /٢٩٧،٢٩٨.

مسألة رقم (مئتان وسبعة عشر): قوله تعالى:(لكل صبَّار شكور)، ولم يقل (صبور) ولا(شكار)

الآية (٥) من سورة إبراهيم: قال تعالى﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾

وإذا أردنا معرفة فائدة ذلك التغاير وكلاهما للمبالغة وضحها ابن جماعة قائلًا " أن نعم الله تعالى مستمرة متجددة في كل حين وأوان فناسب (شَكُوْرٌ) لأن صيغة "فعول" تدل على الدوام كصدوق ورحوم وشبهه.

وأما المؤلمات المحتاجة إلى الصبر عليها فليست عامة بل تقع في بعض الأحوال فناسب صبّار، لأن : "فعَّال" لا يشعر بالدوام كنوّام وركّاب وأكّال، ولمراعاة رؤوس الآي."

يُطلق الوصف بالكلمات من زنة (فعول) لمن كثر منه الفعل، أو دام منه الاتصاف به ،

ذلك لأن (فعول)من أوزان المبالغة والتكثير في الحدث، ف "كل اسم يكون على (فعول) نحو:(قتول للرجال) و (ضروب بالسيف) يحمل دلالة الكثرة، والزيادة عن المستوى الطبيعي، فُتطلق صيغة "فعول لمن كثر منه الفعل[١].

ودائما ما اقترنت في القرآن الكريم صفتى(الصبر والشكر) وذلك لأن الصبر بحد ذاته مشقة وعناء، فمن كان قويا على الصبر مواصلا له رغم المشقة التي يواجهها، يوصف ب (شكور).

علّل الشوكاني "قوله تعالى (لكل صبّار)أي: كثير الصبر على المحن والمنح(شكور)كثير الشكر للنعم التي أنعم الله بها عليه؛ وقيل: المراد بذلك كل مؤمن،

(١) انظر. كشف المعاني، ص٢١٩-٢٢٠.

وعبر عنه بالوصفين المذكورين لأنهما ملاك الإيمان، وقدّم الصبار على الشكور، لكون الشكر عاقبة الصبر[1].

مسألة رقم(أربعمائة وسبعة وخمسون): قوله تعالى: (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)(٣ الانسان) ولم يقل شكورا لمطابقة كفورا؟

قال ابن جماعة "أنه جاء باللفظ الأعم كل شكور شاكر وليس كل شاكر شكورا، أو قصد المبالغة في جانب الكفر ذما له لأن كل كافر كفور بالنسبة إلى نعم الله عليه"[2].

الآية(٣) من سورة الإنسان﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾.

وتتضح الآية أكثر بالإعراب، وفيما يلي إعراب الآية الكاملة:

{إمّا} حرف لتفصيل الأحوال {شاكرا} حال من مفعول {هديناه} منصوبة (الواو) عاطفة.جملة {إنّا هديناه} .لا محلّ لها استئنافيّة، وجملة {هدينا} .في محلّ رفع خبر إنّ.

فعندما كان الشكر قليلا من يتصف به قال {شاكرا..}، فعبّر عنه باسم الفاعل، للدلالة على قلته، وأما إيراد الكفور بصيغة المبالغة، لمراعاة الفواصل، والإشعار بأن الإنسان قلما يخلو من كفران ما، فهو كثير من يتصف به، ويكثر وقوعه من الإنسان.

وقد أعطاها السمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)) قدرًا ليس بقليل من التعليل قائلًا: قوله: {إِمَّا شَاكِراً}: «شاكراً» نصبٌ على الحال، وفيه وجهان، أحدُهما: أنه حالٌ مِنْ مفعولِ «هَدَيْناه»، أي: هَدَيْناه مُبَيَّناً له كلتا حالتيه. قال أبو البقاء: «وقيل: هي حالٌ مقدرةٌ». قلت: لأنه حَمَلَ الهدايةَ على أولِ البيانِ له، و [هو] في ذلك الوقتِ غيرُ مُتَّصِفٍ بإحدى الصفتَيْنِ. والثاني: أنه حالٌ من «السبيل» على المجاز.

---

(١) انظر. فتح القدير ص٧٣٩.

(٢) كشف المعاني، ص٣٦٩.

قال الزمخشري: ويجوزُ أن يكونا حالَيْن من السبيل، أي: عَرَّفْناه السبيلَ إمَّا سبيلاً شاكِراً، وإمَّا سبيلاً كَفُوراً كقوله: {وَهَدَيْنَاهُ النجدين} [البلد: ١٠] فوصفَ السبيلَ بالشُّكْرِ والكُفْر مجازاً. والعامَّةُ على كسر همزة " إمَّا" وهي المرادِفَةُ ل" أو" وتقدَّم خلافُ النَّحْويين فيها. ونقل مكيٌّ عن الكوفيين أنها هنا "إنْ" الشرطيةُ زِيْدَتْ بعدها " ما " ثم قال: وهذا لا يُجيزه البَصْريُّون؛ لأن «إن» الشرطية لا تَدْخُلُ على الأسماءِ، إلاَّ أَنْ يُضْمَرَ فعلٌ نحو: {وَإِنْ أَحَدٌ} [التوبة: ٦].

ولا يَصِحُّ إضمارُ الفعلِ هنا؛ لأنه كان يلزَمُ رَفْعُ «شاكراً» وأيضاً فإنَّه لا دليلَ على الفعلِ «انتهى قلت: لا نُسَلِّمُ أنه يَلْزَمُ رَفْعُ " شاكراً " مع إضمار الفعلِ، ويُمْكِنُ أَنْ يُضْمَرَ فعلٌ يَنْصِبُ» شاكراً «تقديرُه:» إن خَلَقْناهُ شاكراً فشكورٌ، وإنْ خَلَقْناه كافراً فكفُوْرٌ.

مسالة رقم (مئتان وأربعة وستون) قوله تعالى: (إنَّه كانَ صِدّيْقًا نَبيًا) في إبراهيم وإدريس، وفي موسى: (وَرَسُولًا نَبِيًّا)، وفي إسماعيل: (صَادِقَ الوَعْدِ). ما وجه تخصيص كل منهم بما وصف به، وكل منهم كذلك؟.في شأن إبراهيم عليه السلام في الآية-٤١، وفي شأن إدريس عليه السلام في الآية ٥٦

قال ابن جماعة "أما إبراهيم عليه السلام فلعل المبالغة في صدقه لنفي ما توهم منه في الثلاثة التي ورى بها وهي: "إِنِّي سَقِيْمٍ" –ص٨٥- ولسارة: " هي أختي"، و "فعله كبيرهم"، وأما إسماعيل عليه السلام: فلصدق قوله تعالى: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ الله مِنَ الصَابِرِينَ) ووفَّى بوعده فصدق في قوله: وقيل: إنه وعد إنسانا سإلى مكان فوفَّى له وانتظره مدة[١].

من سورة مريم﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾

الآية (٥١) إبراهيم﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

---

(١) كشف المعاني ،ص٢٤٨-٢٤٩.

الآية(٥٤) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾

يقول الزمخشري عن الآية (٤١) أن "الصديق:من أبنية المبالغة، ونظيره: الضحيك، والنطيق، والمراد: فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله، وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل أي: كان مصدقًا بجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيًا في نفسه كقوله تعالى: (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) وكان بليغًا في الصدق، لأن ملاك أمر النبّوة الصدق، ومصدق الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك.

وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعنى إبراهيم و(إذ قال" نحو قولك، رأيت زيدًا، ونعم الرجل أخاك، ويجوز أن يتعلق إذ مكان، أو بصديقًا نبيًا أي: كان جامعًا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات، والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب: أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم"

ويقول عن الآية (٥٤) " ذكر إسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وإن كان ذلك موجودًا في غيره من الأنبياء تشريفًا له وإكرامًا كالتلقيب بنحو الحليم، والأوّاه، والصدّيق، ولأنه المشهور المتواصف من خصاله. عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه وعد صاحبًا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة، وناهيك أنه وعد في نفسه الصبر على الذبح فوفي حيث قال: (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) كان يدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس(وأنذر عشيرتك الأقربين) (وأمرأهلك بالصلاة) (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا) ألا ترى إنهم أحق بالتصديق عليهم فالإحسان الديني أولى، وقيل: أهله أمته كلهم من القرابة، وغيرهم لأنّ أمم النبيين في عداد أهاليهم، وفيه أنّ من حق الصالح أن لا يألوا نصحًا للأجانب فضلًا عن الأقارب والمتصلين به، وأن يحظهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في شئ من ذلك[1].

(١) راجع الكشاف، ص٦٣٧.

فإن الصادق اسم فاعل من الصدق، وهو قول الحق وفعل الحق، فيكون في الأقوال والأفعال، وهو ضد الكذب والفجور، قال النووي :الصدق هو الإخبار على وفق ما في الواقع، ولا يزال الرجل يصدق . أي في قوله وفعله . حتى يكتب عند الله صديقا.

وأما الصديق: فهو أبلغ من الصادق، وقد عرفه ابن القيم بقوله رحمه الله : فالصديق هو الذي صدق في قوله وفعله وصدق الحق بقوله وعمله، فقد انجذبت قواه كلها للانقياد لله ولرسوله.

ومما سبق يتضح أن الزمخشري يوافق ابن جماعة فيما ذهب إليه في هذه المسألة.

مسألة رقم (ثلاثمائة واثنتان) قوله تعالى: (وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأنَّ تَوَّابٌ حَكِيْمٌ) (١٠النور) وقال تعالى بعده: (وانَّ اللهَ رَؤوْفٌ رَحِيْمٌ) (٢٠ النور).

يقول ابن جماعة" أن الأولى: تقدمها ذكر الزنا والجلد، فناسب ختمه بالتوبة، حثا على التوبة منه وأنها مقبولة من التائب، وناسب أنه (حَكِيْمٌ) لأن الحكمة اقتضت ما قدمه من العقوبة لما فيه من الزجر على الزنا، وما يترتب عليه من المفاسد.

وأما الثانية: فقوله تعالى: (رَؤوفٌ رَحِيمٌ) ذكره بعد ما وقع به أصحاب الإفك فبين أنه لولا رأفته ورحمته لعاجلهم بالعقوبة على عظيم ما أتوه من الإفك، ولذلك قال تعالى فيما تقدمه: (لَمَسَّكُمْ فيْما أفَضْتُمْ فيه عذَابٌ عَظيْمٌ) [1].

الآية(١٠) من سورة النور﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

(١) كشف المعاني، ص ٢٧١.

الآية(٢٠) من سورة النور﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

وقد ذهب العُكبري " قوله تعالى: (وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ): جواب "لولا" محذوف، تقديره: لهلَكْتُم، أو لخرجتم، ومثله رَأْسُ العشرين من هذه السورة (أي الآية ٢٠من السورة نفسها)"

وعن آية الشعراء يقول "{وتوكل} على الله يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم، والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا: المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصة لم يخرج من حدّ التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله، وقوله {على العزيز الرحيم} أي: على الذي يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته"[1].

يقول الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) عن آية الفرقان "وخصّ صفة الحياة إشارة إلى أن الحيّ هو الذي يوثق به في المصالح، ولا حياة على الدوام إلّا لله سبحانه دون الأحياء المنقطعة حياتهم، فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم، والتوكل: اعتماد العبد على الله في كلّ الأمور...."

وأمّا عن آية الشعراء فيقول أنّ " قوله :وتوكل على العزيز الرحيم" أي: فوّض أمورك إليه، فإنه القادر على قهر الأعداء، وهو: الرحيم للأولياء، قرأ نافع، وابن عامر (فتوكل) بالفاء. وقرأ الباقون (وتوكل) بالواو، فعلى القرأة الأولى يكون ما بعد الفاء كالجزء مما قبلها مترتبا عليه، وعلى القراءة الثانية يكون ما بعد الواو معطوفا على ما قبلها عطف جملة على جملة من غير ترتيب "[2].

---

(١) انظر. التبيان في إعراب القرآن ص٩٦٦.

(٢) انظر فتح القدير، ص ص١٠٦٨، ص١٠٤٦.

ثالثًا: بين الأسماء والأفعال: المسألة رقم (مائة وخمسون) قوله تعالى:(أبلغكم رسالات ربّي وأنصح لكم)، وقال في قصة هود(وأنا ناصح أمين) ؟

(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) الأعراف: ٦٢، مع قوله تعالى على لسان هود عليه السلام في السورة نفسها:(وَأَنا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ):٦٨.

يعلّل ابن جماعة (٧٣٣هـ) أن "الضلال" فعل يتحدد بترك الصواب إلى ضده ويمكن تركه في الحال، فقابله بفعل يناسبه في المعنى فقال: (وَأَنْصَحُ)، " والسفاهة" صفة لازمة لضاحبها فقابلها بصفة في المعنى فقال: (وأنا لَكُمْ نَاصِحٌ) [1].

الآية (٦٢) من سورة الأعراف: قال تعالى(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ).

الآية (٦٨) من السورة نفسها: قال تعالى(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ).

قال ابو حيان(ت٧٤٥هـ) " الفعل لازمٌ ومتعد، والتعدّي تجاوزُ الفعل فاعله إلى مفعول أو كثر، فإنْ تَعَدَّى إلى غَيْرِهِ من المنصوبات، لَمْ يُسَمّ متعديا، وَيُبْنَى منه اسْمُ مفعول نحو: مَضْرُوب ومقتول، وَقَدْ يَكونُ الفعل الواحد لازمًا ومتعديا بنفسه نحو (فَغَرَفَاه) أَيْ فَتَحضهُ، و (فُغِرَفُوه) أي انفتح، ومتعديا بنفسه تارة، وبحرف جر أخرى نحو: (شَكَرْتُ زَيْدًا وَشَكَرتُ لِزَيْدٍ) وكذلك نَصَحْتُ، وَلَمَّا تساويا في الاستعمال صارا قسمًا برأسه، خلافًا لِمَنْ مَنَعَ هذا القسم وَزَعَمَ

أَنَّ الأصلَ فيه حرف الجر، وَكَثُرَ فيها الأصلُ والفرع، وَصَحّح هذا القول ابْنُ عصفور، وَرَدَّهُ عليه الشلوبين الصغير، وقيل: أَصَلُ هذا القسم أَنْ يَتَعَدَّى بنفسه، وحرف الجر زائد، وَزَعَمَ ابْنُ درستويه أَنَّ (نصَحَ) يَتَعَدَّى لواحد بنفسه، وللآخر بحرف الجر، والأصل: نَصَحْتُ لِزَيْدٍ رَأْيَهُ، وما زعم لَمْ يُسْمَعْ في موضع[2].

---

(١) كشف المعاني، ص١٧٩.

(٢) راجع. ارتشاف الضرب، ص٢٠٨٨

وفي كتاب البهي المنسوب للكسائي أَنَّكَ تَقُول: شَكَرْتُ لَكَ وَنَصَحْتُ لَكَ، ولا تَقُول: شَكَرْتُكَ ولا نَصَحْتُكَ، هذا كلامُ العرب قال تعالى: {وَاشْكُرُوا لِي} {وَأَنْصَحُ لَكُمْ}، وجاء في شعر النابغة (نَصَحْتُ) مُعَدَّ بغير اللام قال: [الطويل]

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا *** وصاتِي، وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِم وَسَائِلِي(١).

جاء التَّركيب الأوَّل باستعمال المسند فعلاً: أنصح لكم، وفي التَّركيب الثَّاني جاء المسند اسمًا: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

يُرجع الخطيبُ الإسكافيُّ وجه المغايرة إلى أنَّ نوحًا ضُلِّل من قومه، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف ٦٠]، وأمَّا هود فَسُفِّه من قومه، قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف ٦٦]، والضَّلال من صفات الأفعال! والسَّفاهة من صفات النَّفس، وهي معنىً ثابت وضدها الحلم، فلمَّا عيب نوح – عليه السلام – بفعل مذموم نفاه بفعل محمود بل بأفعال محمودة.

وأمَّا هود – عليه السلام – فَرُمِي بالسَّفاهة، وهي صفة مذمومة ثابتة فلا يَتحوّل عنها الإنسان سريعًا، فكان المناسب نفي ذلك بصفة أو صفات ثابتة ناصح أمين، أي ثابت في النُّصح لا أنتقل عنه إلى غشٍّ(٢).

وقد أدرك الفخر الرازيُّ(ت٦٠٦هـ) دلالة التَّلوين بين الفعليَّة والاسميَّة على التَّجدُّد والثّبَات "فلمّا كان من عادة نوح – عليه السلام – العود إلى تجديد تلك الدعوة في كل يوم، وفي كل ساعة لا جرم ذكره بصيغة الفعل فقال: وأنصح لكم. وأمّا هود – عليه السلام – فقوله: وأنا لكم ناصح يدلُّ على كونه مثبتًا في تلك النَّصيحة مستقرًا فيها" (٣).

---

(١) البيت. للنابغة ص٢٠٨٨. ديوانه: ٨٩، ومعاني القرآن للفراء ١: ٩٢، وأمالي ابن الشجري ١: ٣٦٢، وهي في غزو عمرو بن الحارث الأصغر لبني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان. ورواية ديوانه: "فلم يتقبلوا وصاتي". الوصاة: الوصية. وقوله: "رسولي". الرسول: الرسالة. والوسائل جمع وسيلة: وهي ما يتقرب به المرء إلى غيره من حرمة أو آصرة

(٢) انظر. درة التنزيل ٢/ ١٣٠.

(٣) انظر. مفاتيح الغيب ١٤/١٥٧.

"والسفاهة" صفة لازمة لصاحبها فقابلها بصفة في المعنى فقال:(وَأَنا لَكُمْ نَاصِحٌ).

"وإنما قال:(وأنْصَح)، (وأعلم) ليعلم بتماديه على النصح لهم وهم لايشعرون ولا يهتدون، وبلإمداده بزيادة علومه بالوحي وهم عن ذلك في أشنع ضلال وأبعده، فجمع، عليه السلام، فيما خاطبهم به رد مقالهم ورميهم بأكثر مما رموه به. ورد ذلك عليهم بألطف رد وأبينه لمن وفق، ونزه، عليه السلام، عبارته المخلصة لذلك على أتم الوجوه عن شنيع عبارتهم وقبح مواجهتهم.

وأما جواب هود، عليه السلام، فإن قومه لما قالوا:(إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ)، فرموه بخفة الحلم وقلة الثبات وكثرة الطيش، نفى، عليه السلام، ذلك عن نفسه فقال:(ليس بي سفاهة).... ثم قال :(وأنا لكم ناصح أمين).... وإنما أتى في إخبارهم بنصحه وأمانته بالاسم فقال(ناصحٌ أمينٌ) وَكَمْ يقل: أنصح- فيأتي بالفعل – ليحصل منه أن ذلك الوصف الجليل لازم له غير مفارق، ولم يكن الفعل ليعطي ذلك فجاء بالاسم وجعله الخبر عن ضميره الذي هو(أنا) فهذا مقصود ثابت الوصف ولزومه..." (١).

التعقيب: ومن ذلك فإنه جئ بالاسم وهو(ناصح) ليدل على أن هذه الصفة ملازمة له غير مفارقه، وذلك ناسب الآية السابقة لها، على عكس التعبير بالفعل وهو (أنصح).

رابعًا: المبني للمعلوم والمبني للمجهول

السياق قد يحمل أكثر من غرض لعدم تسمية الفاعل، أويبرز غرضًا أساسيًا أو جوهريًّا حاملاً معه من الأغراض ما يتطلبه المعنى ويقتضيه المقام.

إن الفاعل عندما يحذف من الجملة فإنما ينوب عنه " في رَفْعِه وعُمْديته ووجوب التأخير عن فعله، واستحقاقه للاتصال به، وتأنيث الفعل؛ لتأنيثه واحدٌ

---

(١) انظر. المرجع السابق

من أربعة: الأول: المفعول به نحو: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [هود٤٤].

والثاني المجرور نحو: {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف١٤٩]، والثالث: مصدر مختص، نحو: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ}[الحاقة١٣]،

والرابع: ظرف متصرف مختص، نحو: صيم رمضان، وجُلس أمام الأمير(١).

مسألة رقم (مائة وثلاثة وثمانون) قوله تعالى:(وَطُبِعَ على قلوبهم)، وقال بعده:(وَطَبَعَ الله على قلوبهم) ؟

أوضح ابن جماعة هذه المسألة قائلًا "أن الأولى صُدِّرت بما لم يسم فاعله في قوله تعالى: (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا) مع العلم بالفاعل، فختمت كذلك مناسبة بين صدر الكلام، وختمه.

والثانية: جاءت بعد بسط الكلام في عذر المعذورين فناسب البسط في توبيخ مخالفيهم، والتوكيد فيه بتصريح اسم الفاعل، ولذلك صدر الآية بـ(إِنَّمَا) الحاصرة للسبيل عليهم(٢).

الآية(٨٧) من سورة التوبة قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾

الآية(٩٣) من السورة نفسها: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾

لقد نظر الزركشي إلي بناء الفعل (طبع) للمجهول في سياقه نظرة التناسب مع ما تقدم فَصَدْر الآية الكريمة جاء بالبناء للمفعول أُنْزِلَتْ سُورَةٌ، فتناسق الختام مع البدء وجاء الفعل طبع مبنيا –أيضًا – للمجهول، وهذا بخلاف قوله تعالى ما بعدها:

(١) بن هشام الانصاري – أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك – دار الطلائع – القاهرة – ٢٠٠٤ – ١٢٠/٢.
(٢) كشف المعاني، ص١٩٧-١٩٨.

وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ، فإنه لم يقع قبلها ما يقتضي البناء، فجاءت على الأصل.

فهذا الغرض وإن كان كذلك، إلا أنه ينبغي النظر إليه من ناحية أخرى، حيث استخدم هذا الفعل في مقام الذم وقدح الكافرين فقط، ولم يأت هذا الفعل مبنيا للمجهول إلا في موضعين فقط(١).

وقد وقف ابن الأثير مع هذه الروح السارية في النص، عندما وقف مع الالتفات في بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أوتكلمه في قوله تعالى: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، بعد أَنْعَمْتَ، ولم يقل غير الذين غضبت عليهم؛ لأن اسم المفعول مشتق من الفعل المبني للمجهول.

فاعتبر ذلك عطفًا علي الأول؛ لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلي ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب، فأسند النعمة إليه لفظا، وزَوَي عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا "(٢).

ويرى ابن عاشور أنَّه صرَّح بالفاعل في الصِّيغة الثَّانية؛ لاحتمال أن يكون الطبع فيها غير الطَّبع الذي جُبلوا عليه كما في سياق الصِّيغة الأولى، فهو طبع على طبع لغضب الله عليهم فَحرمهم النَّجاة من الطَّبع الأصليِّ، وزادهم غواية(٣).

وتُبْرِز المغايرة بين الصِّيغتين وجهًا آخر من المناسبة التي تجمع بين اللّفظ والمعنى، حيث أفادت صيغة طَبَعَ أنَّ إسناد الطَّبع إلى الله عزَّ وجل أشد تمكنًا في القلب من بنائه على صيغة طُبِعَ بطرح الفاعل، فهو في الأولى أشدّ وأقوى، وقد كان ذلك لأنَّ صيغة طَبَعَ فيها من المبالغة والتَّأكيد ممَّا ليس في الصِّيغة الثَّانية، ويتَّضح ذلك من سياق الآيات الثَّلاث التي بعد سياق صيغة طَبَعَ فناسب ذلك إسناد الطَّبع إلى الله للإشارة على شدَّة تمكُّن الكفر في قلوبهم بخلاف سياق صيغة المبني للمفعول.

---

(١) راجع. البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٤٥.
(٢) انظر. المثل السائر ٢/ ٥.
(٣) انظر. فتح القدير ١١/ ٥٩٠.

ففي قوله تعالى (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أنْ آمنُوا باللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ منهُم وقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَعَ القَاعِدِينَ) لم يسم الفاعل في قوله (أُنْزِلَت) فهي مبنيه للمجهول ايضا مع العلم بالفاعل، وهذه الآية تسبق قوله تعالى(وَطُبِعَ على قُلُوبِهِم) فَبُنِيت للمجهول ايضا لمناسبة سابِقَتِها، بينما قوله (وَطَبَعَ الله على قلوبهم)، محمول على ما تقدم من ذكر الله- سبحانه وتعالى- مرات.

وفي المسألة رقم (أربعمائة وثمانية وخمسون) قوله تعالى: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ) – ص١٢٣- (وَيُسْقَوْنَ فِيْهَا كَأْسًا) لما لم يسم فاعله ثم قال تعالى: (وَيَطُوْفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُوْنَ) بصيغة الفاعل؟

قال ابن جماعة "إن القصد بالأول: وصف الآنية والمشروب، والمقصود بالثاني: وصف الطائف"[(١)].

الآية(١٥) سورةالإنسان﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾﴾.

الآية(١٩) سور الإنسان﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴿١٩﴾﴾

لغتا: طافَ حَوْلَ الكَعْبَةِ، وبها طَوْفًا وَطَوَفانًا. واستَطافَ وتَطَوَّفَ وطَوَّفَ تَطْويفًا: بِمَعْنىَ. والمَطافُ: مَوْضِعُهُ. ورَجُلٌ طاف: كثيرُه. والطَّوفُ: قِرَب يُنْفَخُ فيها، ويُشَدُّ بعضُها إلى بعض،

كهيئَةِ السَّطح، يُرْكبُ عليها في الماء، ويُحْمَلُ عليها، والغائِطُ. وطافَ: ذَهَبَ ليَتَغَوَّطَ، كـ اطَّافَ، على افْتَعَلَ. والطائِفُ: العَسَسُ، وبلادُ ثَقيفٍ في وادٍ، أوَّلُ قُراها لُقَيْمُ، وآخِرُهَا الوَهْطُ، سُمّيَتْ لأنها طافَتْ على الماءِ في الطوفانِ، أو لأنّ جبريلَ طافَ بها على البَيْتِ، أو لأنها كانت بالشام فَنَقَلَها اللهُ تعالى إلى الحجازِ بِدَعْوةِ إبراهيمَ، عليه السلام....إلخ[(٢)].

---

(١) كشف المعاني، ص٣٧٠.

(٢) انظر معجم المحيط، مادة طاف، ص٨٣٣.

نلاحظ أنَّ الفعل المبني للمفعول تقدّم الفعل المبنى للفاعل، وقد ذكر سيبوية أنَّ العرب "يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه اعنى وإن كان جميعًا يهمانهم ويعنيانهم"[١]؛ ومن ثمّ استثمر الإسكافيّ هذه القاعدة في بيان علّة مجئ النّظم القرآني على هذا النّسق فقال: " إنّ القصد في الآية الأولى وصف ما يُطاف به من الأواني دون وصف الطّائفين، فلمّا كان المعتمد بالإفادة ذلك بنى الفعل مقصودًا به ذكر المفعول لا الفاعل... وأمّا الموضع الثاني الذي سمّى فيه الفاعل، وهو قوله: (وَيَطُوف عَلَيهم ولدانٌ مُخَلدون) فإنّ القصد فيه وصف الفاعلين الذين يطوفون بهذه الأنية فوجب ذِكْرهم؛ لتعلّق الصفة بهم"[٢].

وفطن ابن الزُّبير لعلَّة هذا التَّقديم وهي تقديم الأهم، وهو المطاف به، ثُمَّ ذكر المهم وهم الطَّائفون، يقول: "وقدّم المطاف به؛ لأنَّه الذي به تنعُّمهم تناولاً، واتصالاً، وتطعُّمًا، وغذاءً، ومأْكلاً، ومشْربًا فكان أهم للتقديم، ثُمَّ أعقب بذكر الطَّائفين، وهم الولدان المخلدون"[٣] (وكان على هذا التَّحليل: الكرمانيّ[٤]، والأنصاري[٥].

وللدكتور القيسيِ رأيٌ، حيث قال: "إنَّ المبني للمجهول تقدَّم المبني للمعلوم؛ لأنَّ السِّياق الذي ورد فيه المبني للمجهول كان تعداد النّعم التي يتمتَّع فيها المؤمن في الجنَّة.... فناسب ذلك أنْ تُذكر آنية الفضَّة والأكواب القوارير التي يشربون بها؛ لأنَّها من جملة النَّعم. فإذا انتهى من تعداد ذلك كان لائقًا التَّعقيب بذكر هؤلاء الغلمان الذين يقومون بخدمة المؤمنين ويقدِّمون لهم ما يقدّم من ألوان هذه النِّعم التي ذكرت قبل. وإنَّه لمن المعقول حقًّا أن يتقدم تعداد النِّعم على من يقومون بتقديمها؛ لأنَّ من طبيعة الأشياء أن لا يكون للمرء خدم وحشم إلا إذا كان صاحب نعم[٦].

---

(١) الكتاب: ١٥/١.

(٢) درة التَّنزيل، ص١٣١٦

(٣) ملاك التأويل: ٩٣٥/٢.

(٤) البرهان في متشابه القرآن، ص٣١٩

(٥) فتح الرَّحمن، ص٤٤٣

(٦) سر الإعجاز في تنّوع الصِّيغ المشتقة من أصل لُغوّ واحد في القرآن، ص١٠١.

يقول السمين (ت٧٥٦هـ): قوله: {بِآنِيَةٍ} : هذا هو القائمُ مقامَ الفاعلِ، لأنَّه هو المفعولُ به في المعنى. ويجوزُ أَنْ يكون «عليهم». وآنِيَة: جمعُ «إناء» والأصلُ: أَأْنِيَة بهمزتَيْنِ الأُولى مزيدةٌ للجمع، والثانيةُ فاءُ الكلمة فقُلِبَتِ الثانية ألفاً وُجوباً، وهذا نظيرُ: كِساءٍ وأَكْسِيَة وغِطاءٍ وأَغْطِيَة، ونظيرُه في الصحيح اللامِ: حِمار وأَحْمِرة. و «مِنْ فضةٍ» نعتٌ ل «آنية»[1].

فهذه المغايرة من المجهول إلي المعلوم لحكمة اقتضاها السياق، وتدخلت الصيغة اللغوية لتصوير المشهد، فالطواف في كلا المشهدين خاص بأهل النعيم من الجنة عَلَيْهِمْ ولكن " ذكر الأول بلفظ مجهول لأن المقصود ما يطاف به لا الطائفون، ولهذا قال(بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ) ثم ذكر الطائفين فقال: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُون)[2].

مسألة رقم (ثمانية وسبعون): قوله تعالى(آمنَّا بالله واشهدو بأنّا مسلمون)، وفي المائدة:(واشهد بأننا مسلمون)؟

قال ابن جماعة "أن آية المائدة في خطاب الله تعالى لهم أولا، وفي سياق تعدد نعمة عليهم أولا، فناسب سياقه تأكيد انقيادهم إليه أولا عند إيحائه إليهم.

وآية آل عمران في خطابهم المسيح لا في سياق تعدد النعم فاكتفى ثانيا ب(أنَّا) لحصول المقصود." [3].

الآية (٥٢) من سورة آل عمران: قال تعالى﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

الآية (١١١) من سورة المائدة: قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

---

(١) انظر. الدر المصون

(٢) انظر. التصوير الفني في القرآن، ص ٣٦.

(٣) كشف المعاني ص١٣٠١.

التسائل هاهنا هو لِما قال تعالى في سورة البقرة (بأنَّا مُسْلِمونَ) بإدغام "إنَّ" في "نا"، بينما قال تعالى في سورة المائدة (بِأَنَّنَا مُسلِمون) بدون إدغام.

كما ذكر النحاس أنّ النون حذفت تخفيفا[1].

وأمَّا عن التوكيد بنون التوكيد الخفيفة "

لخص الكرماني ما قاله الأصبهاني في درة التنزيل لخصه في البرهان - ص١٤٩ – بأن قوله تعالى في سورة البقرة بالتوكيد لأن هذا كان أول خطابه للحواريين فجاء على الأصل، بينما في آل عمران كان تكرار لكلامهم، فجاز فيه التخفيف، ولأن التخفيف فرع، والتكرار فرع، والفرع بالفرع أولى[2]، وهذا يوافق ما هذا إليه ابن جماعه في حديثه عن هذه المسألة.

*اختلاف صيغ الاستفهام:

مسألة رقم (ثلاثمائة وستة عشر) قوله تعالى: (إِذْ قال لأبيهِ وقومهِ ما تَعبُدون) وفي الصافات: (ماذا تعبدون)؟

علّل ابن جماعة قائلًا " أنّ (مَاذَا) أبلغ في الاستفهام من (مَا)، فقوله هنا: (مَاتَعْبُدُوْنَ) خارج مخرج الاستفهام عن حقيقة معبودهم، فلذلك أجابوه بقولهم: (نَعْبُدُ أَصْنَامًا)، وأمَّا آية الصافات فهو استفهام توبيخ وتقريع بعد معرفته لمعبودهم ولذلك تمم كلامه بما يدل على الإنكار عليهم، فقال: (أَئِفْكًا آلِهَةً دُوْنَ اللهِ تُرِيْدُوْنَ)، ولذلك لم يجيبوه في آية الصافات لفهم قصد الإنكار عليهم." [3].

الآية (٧٠) من سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

الآية (٨٥) من سورة الصافات، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

---

(١) انظر. اعراب القرآن للنحاس ص١٣٦.

(٢) انظر. البرهان في المتشابه من القران ص٩١.

(٣) كشف المعاني، ص٢٨٠.

يقول ابن فارس "ألُ "مَا" أنها تكون لغير الناس. تقول: (ما مرَّ بك من الإبل؟). "فأمّا قوله جلّ ثناؤه: (وما خَلَقَ الذكرَ والأنثى)الليل ٣) فقال أبو عبيدة: معناها "ومَن خَلقَ الذكرَ والأنثى". وكذلك (والسماءِ وما بناها)الشمس٥) أي: "ومن بناها"، وكذلك (ونفس وما سَوَّاها)الشمس٧). قال: وأهل مكَّةَ يقولون إذا سمعوا صوتَ الرعد: (سُبحانَ ما سبَحتَله) وبعضهم يقرأ: (وما خلَقَ الذكرَ والأنثى) الليل٣)أي: وخلقِهِ الذكر والأنثى[1].

ذكر العُكبُري " في ماذا مَذْهَبَان للعرب: أَحدهما- أَن تجعل "ما" استفهامًا. بمعنى أَي شئ، و "ذا" بمعنى الذي، وينفقون صِلَتُه، والعائد محذوفٌ؛ فتكون "ما" مبتدأ، و"ذا" وصلته خبر؛ ولا تجعل "ذا" بمعنى الذي إلا مع "ما" عند البصرين. وأجاز الكوفيون ذلك مع غير "ما".

والمذهب الثاني – أَنْ تجعلَ "ما" و "ذا" بمنزلة اسْمٍ واحدٍ للاستفهام....." [2].

و"ما" تكون صِلةً، كقوله جلّ ثناؤه: (قليلًا ما تَذَّكرون)الأعراف(٢) المعنى: قليلًا تذكّرون. ولو كانت اسمًا لارتفع فقلت: "قليلٌ ما تذكرون" أي: قليلٌ تذكركم.

و"ما" تكون للتفخيم، كقوله جلّ ثناؤه: (الحاقّةُ ما الحاقَة) سورة الحاقة (١،٢) ومنه:

بَانَتْ لتَحزُنَنا عَفَارَهُ *** يا جارتا ما أنتِ جارَهُ[3].

وذكر بعضهم أن "ما" هذه هي التي تذكر في التعجب إذا قلنا: "ما أحسن زيدًا" وقد تكون" ما" مُضمَرةً، كقوله جلّ ثناؤه: (وإِذا رأيتَ ثَمَّ) أراد: ما ثَمّ. وكما قال: (هذا فِراقُ بيني وبينك) أي: ما بيني. و"لقد تقطَّع بينكم) أي: ما بينكم. فإذا قلت: "بينُكم" فمعناه: وصلُكم.

---

(١) انظر. الصاحبي

(٢) التبيان للعُكْبُري ص١٧٢.

(٣) انظر. ديوان الأعشى ٨٣، وجاء البيت في الخزانة ٣/ ٣٠٩، وشرح المفصل ٣/ ٢٢، والشذور ٢٥٧، والأشموني/ ٣/ ١٧.

وتكون للنفي، نحو: (مافعلتُ)، وتكون للاستفهام، نحو"ما عندك؟" وزعم ناس في قولهم: " قَبْلَ عَيْرٍ وما جرى" أن "ما" للنفي، وأنشدوا قول الشمَاخ:

أعَدْوَ القِمِصَّى قَبْلَ عَيْرٍ وما جَرَى *** ولم تدرِ ما خُبْري، ولم أدرِ ما لَها[١].

يقول: نفرتْ هذه المرأة منّي مثل ما نفرت أتان من قبل أن يبلوهَا ويعدوَ إليها. وما جرى، أي لم يجرِ إليها"[٢].

يقول الرضي : اعلم أن "ذا "، لا تجيء موصولة، ولا زائدة، إلا مع " ما " و"من " الاستفهاميتين ؛ والأولى في : "ماذا "، هو و : "مَن ذا خير منك " : الزيادة، ويجوز، على بُعد، أن تكون بمعنى الذي، أي : ما الذي هو خي منك، على حذف المبتدأ، نحو : ما أنا بالذي قائل، وأمَّا قولك : مَن ذا قائمًا، فذا، فيه : اسم الإشارة لا غير ؛ ويحتمل في : " من ذا الذي يُقرض اللهَ قرضًا حَسَنًا "، و : ماذا الذي...... أن تكون زائدة، وأن تكون اسم إشارة، كما في قوله تعالى : " أَمَّن هذا الذي هو جند لكم " ؛ وهاء التنبيه تدخل على اسم الاشارة فيقال : ما هذا الذي تقول:

وقد جاءت " ذا " زائدة بعد " ما " الموصولة، قال الشاعر (البحر:الوافر)

دَعى ماذا عَلِمتُ سَأَتَّقيهِ *** وَلَكِن بِالمَغيبِ نَبِّئيني[٣].

ولقائل أن يمنع مجيء " ذا " موصولة مطلقًا، ويحكم في نحو : ماذا صنعت بزيادتها ؛ وأمَّا رفع الجواب في نحو قوله تعالى: " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو "، ورفع البدل في قوله:

ألا تسألان المرءَ ماذا يحاول *** أنحب فيقضي أم ضلال وباطل[٤].

---

(١) لابن الشمّاخ. تزوج امرأة من (سليم)...

(٢) انظر. الصاحبي ص١٤٣،١٤٢.

(٣) البيت: للمثقب العبدي وهو العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة. شاعر جاهلي، من أهل البحرين. اتصل بالملك عمرو بن هند، وله فيه مدائح. ومدح النعمان بن المنذر. وشعره جيد.

(٤) البيت للبيد بن ربيعة، والشاهد: أنّ «ما» استفهامية مبتدأ، و «ذا» اسم موصول خبره. و «يحاول» صلته بدليل قوله: أنحب. ولو كانت «ماذا» كلمة واحدة، لكان «ماذا» منصوبا ب «يحاول»، وكان مفسّره

فلأن " ما " مبتدأ، والفعل بعد " ذا " المزيدة خبره، على تقدير حذف الضمير من الجملة التي هي خبر" ما "[١].

الذي أراد توضيحه ابن جماعة هنا هو أن "ما" لمجرد الإستفهام، في قوله في آية الشعراء (مَا تَعْبُدُونَ)، فأجابوا فقالوا: (نَعْبُدُ أَصْنَامًا)، وذلك في الآية التي تليها، بينما "مَاذَا" فيها من المبالغة ما يؤدي إلى التوبيخ، وقد تضمن في سورة الصافات معنى التوبيخ، فلمَّا وبخهم قال: (أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ)، وبذلك يكون قد جئ في كل سورة الذي اقتضه ما قبلها وما بعدها.

يقول ابن هشامعن "ماذا" "اعلم أنها تأتي في العربية على أوجه: " أحدهما : أن تكون "ما" استفهامًا، و"ذا" إشارة، نحو : "ماذا التواني ؟"، و"ماذا الوقوف ؟ "، الثاني: أن تكون "ما" استفهامًا، و "ذا" موصولة، كقول لبيد رضي الله عنه:

أَلَا تسْألان المرء ماذا يحاول *** أَنَحْبٌ فيُقضي أم ضلالٌ وباطلُ

فـ "ما" مبتدأ، بدليل إبداله المرفوع منها، وذا : موصول، بدليل افتقاره للجملة بعده[٢].

مسألة رقم(ثلاثمائة وثلاثة وخمسون) قوله تعالى: (مآ أنذر آباؤهم)؟ إن جعلت(ما) نافية، فقد تقدم الجواب في فاطر. وإن جعلتها مصدرية أو موصولة، فالمراد: كإنذار آبائهم، فإن إنذار إسماعيل لم يزل فيهم إلى زمن عمرو بن لحيّ(٣).

لم يفرد ابن جماعة لهذه المسألة جوابا خاصا بها، ولكن أردف الإجابة إلى المسألة (ثلاثمائة وواحد وخمسون) والتي جاء فيها تفسيره إذا اعتبرنا أنها نافية يكون المراد "[٤]، والتي جاء فيها "أن المراد بآية فاطر مطلق الأمم كعاد وثمود وقوم نوح

الذي هو «نحب» منصوبا؛ لأنه استفهام مفسّر للاستفهام الأول جاء في الكتاب لسيبويه ٤٠٥/١، وشرح المفصل ١/ ١٣٩، والأشموني ١/ ١٩٥، والخزانة ٦/ ١٤٥.

(١) انظر. شرح الرضي ٢/ ٦٥.

(٢) راجع. مغني اللبيب ٢٨/١-٢٩.

(٣) هو عمرو بن لحيّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي من قحطان. أول من غَيَّر دين إسماعيل بجلبه الأصنام إلى بلاد العرب ونصبها بمكة.

(٤) كشف المعاني ،ص ٣٠٤.

وقوم إبراهيم وفي العرب من ولد إسماعيل، خالد ين سنان، وحنظلة بن صفوان، (وفي) بني إسرائيل موسى وهارون ومن بعدهم، وقيل: لم يخل بنو آدم من نذير من حين بعث إليهم وإلى زمن النبي _صلى الله عليه وسلم) إما نبي أو رسول".

الآية(٦) من سورة يس ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾﴾.

" اعلم أنْ "ما" في كلام العرب لفظ مشترك يقع تارةً اسمًا وتارة حرفًا، وذلك بحَسب عَوْدِ وقرينة الكلام، وحظُّنا من القسمين الحرفية، وهي التي يكون معناها في غيرها[1]. ولها في الكلام ثلاثة مواضع: الموضع الأول: أن تكون حرف نفي، وتنقسم لهذا المعنى قسمين: قسمٌ يدخُل على المبتدأ والخبر، وقسم لا يدخُل عليها ".

يقول المالقي " قد تأتي وتكون مصدريَّة، ومعنى ذلك أنَّها تصيرُ الفعل الذي بعدها في تأويل المصدروموضعه، وتدخُل على الجملة الفعلية غالبًا كقولك: أعجبني ماصنعْتَ، وعمِلْتُ ما عمِلْتَ، وعجبتُ مما فعلت أو تفعلُ، أي: صنعُك وعملَك و [مِنْ] فعلك، قال الله تعالى: "واللهُ يعْلَمُ ما تصنعون" و "الله عليم بما يفعلون" و" لا أعبد ماتعبدون"، وهو كثير،وقد يجوز بعدها الجملة الإسمية قليلا.

ويواصل الحديث عنها قائلًا " وما هذه عند البصريين حرفٌ، لأنها لا يعود عليها ضميرٌ من صلتها، وبهذا يُفرّقُ بين حرف الموصلات واسمها وبعض الكوفيون والأخفشُ يجعلُها إذا كانت مصدرية اسمًا، ويعيدُ عليها من صلتها ضمير المصدر إنْ كان الفعل غير متعدٍّ، وكذلك إنْ كانَ الفعل متعديًا، فإذا قلتَ: " أعجبني ما صنعت"، فتقديره عندهم: ما صنعته، فالهاءُ تعود على "ما" التقدير عندهم: الصنع الذي صنعته، وهذا تكلُّف لا ضرورة تدعو إليه، وإن كان يكن أن يقال به إن كان ضميرُ المصدر بارزًا نحو قوله:

٤٢٠- هذا سُراقَةُ لِلْقُرآنِ يَدْرُسُه ***............................ [2].

---

(١) المقتضب ٤١/١

(٢) رصف المعاني / ص، البيت: الشاعر يهجو قارئ القرآن، ودارسه، الذي لا تردعه زواجر القرآن، ولا تهديه آياته، وهذا لا يقدح في مقام القرآن، ولا يقدح في رجاله المنكبّين على دراسته. والشاهد في البيت (يدرسه) حيث قالوا: إن الضمير في »يدرسه «مفعول مطلق، لا ضمير القرآن. ذلك أن الفعل يدرس تعدى للقرآن بحرف الجر فلا يعود إلى التعدية مرة أخرى، فلا يعرب الضمير مفعولا به، لأن الضمير

أي: يدرس الدرسَ، وأمّا إذا لم يكنْ في اللفظ ضميرٌ فلا حاجةَ تدعو إلى تقديره، إذ الفائدة تحصل دونه، فاعلمه/."، و(ما): نافية. وقيل: هي بمعنى الذي؛ أي تنذرهم العذاب الذي أُنْذِره آباؤهم، وقيل: هي نكرةٌ موصوفة، وقيل زائدة." [١]، وذكر النحاس أن" (ما) لا موضع لها من الإعراب عند أكثر أهل التفسير: لأنها النافية، وعلى قول عكرمة موضعها النصب؛ لأنه قال: قد أُنذر آباؤهم فتكون على هذا مثل قوله {فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً} (فصلت:١٣). {فهم غافلون} ابتداء وخبر"[٢].

يقول الزمخشري أن قوله تعالى" ﴿قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ قومًا غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى: (لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك) و (مما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) وقد فسر ما أنذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية لتنذر قومًا أنذر آباؤهم، أو موصولة ومنصوبة على المفعول الثاني لتنذر قومًا ما أنذره آباؤهم من العذاب كقوله تعالى: {إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا}"[٣].

ذكر الشوكاني "و "ما" في (ما أنذر آباؤهم) هي: النافية: أي: لم ينذر آباؤهم، ويجوز: أن تكون موصولة، أو موصوفة: أي: لتنذر قومًا الذي أنذره آباؤهم، أو لتنذرهم عذابًا أنذره آباؤهم، ويجوز: أن تكون مصدرية: أي إنذار آباؤهم، وعلى القول بأنها نافية يكون المعنى: ما أنذر آباؤهم برسول من أنفسهم، ويجوز: أن يراد، ما أنذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة، وقوله: (فهم غافلون) متعلق بنفي الإنذار على الوجه الأوّل: أى: لم ينذر آباؤهم، فهم بسبب ذلك غافلون، وعلى الوجوه الآخرة متعلق بقوله لتنذر: أي: فهم غافلون عما أنذرنا به آباءهم، وقد ذهب أكثر

يعود على مصدر مقدر، وتقديره» :هذا سراقة للقرآن يدرسه درسا. راجع الكتاب لسيبويه/ ٤٣٧، والخزانة ٢/ ٣.

(١) التبيان في غريب القرآن، ص١٠٧٩.

(٢) اعراب القرآن، ص٨١٤

(٣) الكشاف ص٨٩٠.

أهل التفسير إلى أن المعنى على النفي، وهو الظاهر من النظم لترتيب فهم غافلون على ما قبله......" [1].

ترجيح الآراء : ذهب كلا من العكبري، والنحاس، والشوكاني إلى أن "ما" هنا نافية، بينما ذهب الزمخشري إلى أنها موصولة أو مصدرية، وبقي الزمخشري في الترجيح بين أنها نافية، وبين كونها مصدرية أو موصولة. والله اعلم

(١) فتح القدير،ص١٢١٨.

المبحث الثاني: " اختلاف دلالة الإفراد والجمع "

الحديث في هذا المبحث- بإذن الله تعالى - عن موضوع الإفراد والجمع في الآيات المتشابهة في ألفاظها والتي ذكرها ابن جماعة في كتابه "كشف المعاني فالمتشابه من المثاني". ولاشك أن هذا يمثل أحد الجوانب التي تثري بحث الكلمة المفردة فيما تشابه في كتاب الله العزيز، وقد كان لعلماء المتشابه عناية بهذا الموضوع، وجهدهم فيه واضح، فالكلمة في كتاب الله تعالى تجئ مفردة لغرض بلاغي يستدعيه السياق القرآني، أو لتحقيق معنى مراد، أو لمناسبة ماجاورها من ألفاظ، وكذلك الحال في جمعها، فلأجل ذلك نلحظ التنوع الحاصل بين الآيات المتشابهة في ألفاظها، والمختلفة من حيث الإفرادوالجمع.

ولا يقف الحديث عن الإفراد و الجمع عند الأسماء الظاهرة، فهناك الجمع والإفراد في الضمائر، ولها أسرارها ومقاصدها السياقية. كما أن الحديث يصل لمسألة الاختلاف في الجموع، فتأتي للفظة مجموعة جمع تكسيرفي موضع وفي موضع آخر تجمع جمع تصحيح.

وهناك ألفاظ تكررت في القرآن الكريم والتي تأتي تارة بلفظ الجمع وأخرى بلفظ الإفراد.

ويكون محور الحديث في هذا الموضوع حول أربعة نقاط ألا وهيَ:

أ - الجمع والإفراد في الأسماء الظاهرة.

ب - الجمع والإفراد في الضمائر.

ج - صيغ الجمع المختلفة.

أولًا:الجمع والإفراد في الأسماء الظاهرة :

تحدث العلماء الذين عنوا بالمتشابه اللفظي عن عدد من الآيات المتشابهة في هذا الموضوع، وبينوا أسرار الإفراد، والجمع في الأسماء الظاهرة، فقد وقف علماء المتشابه عند لفظي (آية وآيات) التي وردت في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى، كما تحدثوا عن لفظي (رسالة ورسالات)، و(دار وديار)، و(معددة ومعدودات)، وجمع السماء وإفرادها، وجمع الصلاوة وإفرادها، وإفراد لفظ الرسول وتثنيته، وهذه الوقفات تمثل ماجاء في كتاب الله تعالى عن هذه الجزيئة من هذا الفصل.

وفي بداية حديثي أوضح أصلا ذكره علماء المتشابه في مسألة جمع الاسم الظاهر وإفراده، وهو أن سياق الآية إذا كان يعود على أمور كثيرة، ومطالب متعددة فالأنسب الجمع، وإذا كان السياق لا يعود على متعدد فالإفراد أولى من الجمع.

مسألة رقم (تسعة وثلاثون) : قوله تعالى : {وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معددوة جمع كثرة}.

وفي آل عمران:{معدودات جمع قلة} ، ومعدودة: جمع كثرة، ومعدودات: جمع قلة؟

ذكر ابن جماعة (٧٣٣هـ)أن قائلي ذلك من اليهود فرقتان:

إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا.

وقالت فرقة: إنما نعذب أربعين يوما، وهي أيام عبادته العجل.

فآية البقرة يحتمل قصد الفرقة الثانية، وآية آل عمران يحتمل قصدالفرقة الأولى.ص١٠٣

"آل عمران" على الفرع.ص٤٦

الآية (٨٠) من سورة البقرة : قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

الآية(٢٤) من سورة آل عمران: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

قال ابن منظور"العَدُّ: إِحْصاءُ الشيءِ، عَدَّه يَعُدُّه عَدّاً وتَعْداداً وعَدَّةً وعَدَّدَه. والعَدَدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَحصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً؛ لَهُ مَعْنَيَانِ: يَكُونُ أَحصى كُلَّ شَيْءٍ مَعْدُودًا فَيَكُونُ نَصْبُهُ عَلَى الْحَالِ، يُقَالُ :عَدَدْتُ الدَّرَاهِمَ عَدًّا وَمَا عُدَّ فَهُوَ مَعْدود وعَدَد، كَمَا يُقَالُ: نَفَضْتُ ثَمَرَ الشَّجَرِ نَفْضاً، والمَنْفُوضُ نَفَضٌ، وَيَكُونُ مَعْنَى قوله: أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً؛ أَي إِحصاء فأَقام عَدَدًا مَقَامَ الإِحصاء لأَنه بِمَعْنَاهُ، وَالِاسْمُ الْعَدَدُ وَالْعَدِيدُ .وَفِي حَدِيثِ لُقْمَانَ: وَلَا نَعُدُّ فَضْلَه عَلَيْنا"[١].

"يُجْمَعُ بالألف والتاء قياسًا: ذُو تاء التأنيث مطلقا، وعلمُ المؤنث مطلقًا، وصفة المذكر الذي لايَعْقِل..." [٢].

وقال ابن مالك ايضا "وأشرتُ بصفة المذكر الذي لا يعقل إلى نحو: جبال راسيات، وأيام معدودات.

﴿مَّعْدُودَةً﴾ اسم مفعول الثلاثي مجرد، من مادّة(عدد)، مؤنث، مفرد، نكرة، منصوب، نعت

يقول الفراء(ت٢٠٧هـ) "وقوله: ﴿إلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ يقال: كيف جاز فى الكلام: لآتينك أياما معدودة، ولم يبين عددها؟ وذلك أنهم نَوَوا الأيام التى عبدوا فيها العجل، فقالوا: لن نُعذَّب فى النار إلا تلك الأربعين الليلة التى عبدنا فيها العجل. فلما كان معناها مؤقّتا معلوما عندهم وصفوه بمعدودة ومعدودات، فقال الله: قل يا محمد: هل عندكم من الله عهدٌ بهذا الذى قلتم ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ

(١) انظر. شرح التسهيل ١١٢/١.
(٢) لسان العرب، مادة (عدّ).

تَعْلَمُونَ ﴾[1] و"(معدودات)، جمع معدود، اسم مفعول من فعل عدّ على وزن مفعول (البقرة ٢٠٣) [1].

يقول ابن الزبير(ت ٧٠٨هـ) " إن المجموع بالألف والتاء منحصر في أربعة أضرب: ثلاثة متفق عليها والرابع مختلف فيه. فأما الثلاثة: فكل علم لمؤنث نحو: هند ودعد، وكل ما فيه تاء التأنيث لمذكر كان أو لمؤنث عاقل أو غير عاقل نحو طلحة وحمزة وشجرة، وكل مصغر لغير

العاقل نحو دريهم دريهمات وما أشبه ذلك، فهذه الضروب الثلاثة متفق عليها وضرب رابع مختلف فيه وهو كل اسم مكبر لغير العاقل مذكرًا كان أو مؤنثًا لم يسمع فيه عن العرب جمع تكسير نحو حمام وحمامات....."

ثم إن ما يجمع جمع التكسير من مذكر غير عاقل قد يتبع بالصفة المفردة مؤنثه بالتاء كما يفعل في الخبر تقول: ذنوب مغفورة وأعمال محسوبة، وقال تعالى: (فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارقُ مصفوفة وزرابيُّ مَبْثُوثة) (الغاشية:١٤) ومنه قوله تعالى مخبرًا عن يهود(وَقَالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدُودة) (البقرة:٨٠)، ثم قد يجمع هذا الضرب بالألف والتاء رعيًا لمفرده وإن لم أنه فصيح ومنه (وَاذكُرُوا الله في أيّام معدوداتٍ) (البقرة: ٢٠٣). وإذا تبين ما ذكرناه وأنه الجاري الكثير مع ما وقع في آية البقرة من الإيجاز وفي الأخرة من الإطالة، ألا ترى قوله تعالى في (آية) آل عمران﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (آل عمران:٢٤) وفي البقرة: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وإخباره تعالى باغترارهم بقوله: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (آل عمران:٢٤)، وهذا بسط لحالهم الحامل على سوء مرتكبهم، ولم يع في سورة البقرة تعرض لشئ من ذلك بل أوجز القول ولم يذكر سببه، فناسب الإفراد الإيجاز وناسب الجمع الإسهاب، ولو جمع في سورة البقرة وأفرد في سورة آل عمران أو أفرد فيهما أو جمع فيهما لما ناسب، فورد كل على ما يناسب ويجب، والله أعلم"[2].

---

(١) انظر. معاني القرآن للفراء ١ /٥٠.

(٢) ملاك التأويل، ص٤٦،٤٧.

وذكر السيوطي " أن ما يجمع بالألف والتاء " صفة المذكر الذي لا يعقل كجبال راسيات و{أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ} [البقرة:٢٠٣] بخلاف صفة المؤنث: كحائض، والعاقل: كعالم"[١].

ومن تناول كُتب التفسير لهذه المسألة قول القرطبي (ت٦٧١هـ)" (فَيُقَالُ لَهُمْ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الصَّوْمِ:" أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ "يَعْنِي جَمِيعَ الشَّهْرِ، وَقَالَ:" لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودات" يَعْنِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا. وَأَيْضًا فَإِذَا أُضِيفَتِ الْأَيَّامُ إِلَى عَارِضٍ لَمْ يُرَدْ بِهِ تَحْدِيدُ الْعَدَدِ، بَلْ يُقَالُ: أَيَّامُ مَشْيِكَ وَسَفَرِكَ وَإِقَامَتِكَ، وَإِنْ كَانَ ثَلَاثِينَ وَعِشْرِينَ وَمَا شِئْتَ مِنَ الْعَدَدِ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ مَا كَانَ مُعْتَادًا لَهَا، وَالْعَادَةُ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٢].

ترجيح الآراء: المقصود من كلام ابن جماعة أن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكرًا أن يقتصر في الوصف على التأنيث، نحو قوله:(فِيهَا سُرُرٌ مرفوعَةٌ)، وقد يأتي: سرر مرفوعات على تقدير: ثلاث سرر مرفوعة، وتسع سرر مرفوعات، إلا أنه ليس بالأصل، فجاء في البقرة على الفرع. وقوله: (في أيامٍ مَعدُودات)، أي: في ساعات أيام معدودات، وكذلك(في أَيَّامٍ مَعلُومات).

يتبين مما سبق أن ابن جماعة قصد أن آية آل عمران جاءت على الفرع أي الجمع القياسي بالألف والتاء صفةَ للمذكر الذي لايَعْقِل، بينما جاءت آية البقرة على الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكرًا أن يقتصر في الوصف على التأنيث، كما أن جمع غير العاقل إن كان بالإفراد يكون أكثر من حيث العدد من الجمع السالم كأنهار جارية وأنهار جاريات، فالجارية أكثر من الجاريات، ومثلها شاهقة وشاهقات فالعدد في الأولى أكثر وجمع السالم قلة، كما في قوله تعالى: (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة) أي أكثر من إحدى عشرة درهم، ولو ال معدودات لكانت أقل

(١) انظر. همع الهوامع ٧٩/١.
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن.

وفي هذه المسألة في الآيتين المتقدمتين قال في الأولى أكثر فجاء بمعدودة التي تفيد الكثرة، والتي ذكرت في الثانية أقل فاستعمل (معدودات) مناسبة لمعنى كل منهما. والله اعلم.

مسألة رقم(ثلاثمائة واثنتان وثلاثون) قوله تعالى : { فأنجاهُ الله من النار إنَّ في ذلك لآيات}، وقال تعالى بعد ذلك: {خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين}، جمع الآيات في الأولى.

ذكر ابن جماعة (٧٣٣هـ)" أن المراد هنا قصة إبراهيم عليه السلام وما فيها من تفاصيل أحواله مع أبيه وقومه، وفي الثانية : المراد خلق السموات والأرض فقط لاتفاصيل ما فيها من الآيات.." [١].

الآية (٢٤) من سورة العنكبوت: قال تعالى ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

الآية (٤٤)من نفس السورة: قال تعالى ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

يوافقه الكرماني قائلا " في خلق السموات والأرض: ﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهم جماعة واحدة محصور عددهم، والآية الواحدة تجمعهم باين الخبر عنهم الخبر عمّن وُجد وعمّن لم يوجد أكثرهم، فاختلف بهم الدلالات، وجمعت لهم"الآيات" لانتشار أعدادهم وتباين مددهم، فاختلف الموضعان"[٢].

ذكر ابن عادل(ت٨٨٠هـ) في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ "لأن السفينة ما صارت آية في نفسها، ولولا خلق الله الطوفان لبقي فعل نوح (سفهاً) فالله تعالى جعل السفينة بعد وجودها آية، وأما تبريد النار فهو في نفسه (آية) إذا وجدت لا تحتاج إلى شيء آخر كخلق الطوفان حتى يصير آيةً، وأمّا قوله ﴿ ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾خلق السموات والأرض آية لكل عاقل، وخلقهما بالحق آية للمؤمنين

---

(١) كشف المعاني ،ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) درة التنزيل ٣ /٢٩،٢٨.

فحسب..والعاقل أَول ما ينظر إلى خلق السماوات والأرض يعلم أن لها خالقاً وهو الله، ثم (من) يهديه الله لا يقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك بل يقول:

إنه خلقهما متقناً محماً وهو المراد من قوله» :بالحق «لأن ما لا يكون محكماً يفسد ويبطل فيكون باطلاً""[٣]

تعقيب: المراد من قول ابن جماعة في الجمع في قول الله تعالى (ذَلِكَ لآيات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)، وفي الآية الثانية وَحَّدَ في قوله (ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ)، أنَّ الحديث في الآية الأولى إشارة إلى إثبات النبوة، وفي النبين– صلوات الله عليهم- كثرة، والثانية إشارة إلى التوحيد، وهو سبحانه واحد لاشريك له[١].

مسألة رقم (مئتان وستة وعشرون) قوله تعالى : {إن في ذلك لآيات للمتوسمين}، وقال بعده: {لآية للمؤمنين }؟

بيَّن ابن جماعة(٧٣٣هـ) ان قصة إبراهيم ولوط اتفق فيها آيات متعددة من إرسال الملائكة إليهما وما جرى بينهم من المحاورة وبين لوط وقومه، وكيفية هلاكهم، فلذلك جمع. وقصة هود وهلاكهم هنا آية واحدة فلم يذكر سواه فأفرد الآية[٢].

الآية (٧٥) من سورة الحِجْر: قال تعالى﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

الآية (٧٧) من سورة الحِجْر:قال تعالى﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

هذا يتناسب وما قاله الخطيب: أنَّ "الأولى إشارة إلى ما تقدم من قصة لوط وضيف إبراهيم، وتعرض قو لوط لهم طمعًا فيهم، وقلب القرية على من فيها، وإمطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم، فختم بقوله:(لآياتٍ للمتوسمين) أي: لمن تدبر السمة، وهي ما وسم الله به قوم لوط.

ثم أردف قائلًا "قلت: ماجاء من الآيات فلجمع الدلائل، وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه. فلما ذكر عقيبه المؤمنون وهم المقرون بوحدانية الله تعالى

---

(١) انظر اللباب لابن عادل.

(٢) كشف المعاني، ص٢٢٣.

وحَّدَ الآية، وليس لها نظير في القرآن إلَّا في العنكبوت، وهو قوله تعالى: (خَلَقَ الله السَّماوات والأرض بالحق إنَّ في ذَلكَ لآيَة)[1]

يقول ابن كثير أن " وَقَوْلُهُ :﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أَيْ: إِنَّ آثَارَ هَذِهِ النِّقَمِ ظَاهِرَةٌ، عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ لِمَنْ تَأَمَّلَ ذَلِكَ وتوسَّمه بِعَيْنِ بَصَرِهِ وَبَصِيرَتِهِ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قَالَ: الْمُتُفَرِّسِينَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكِ: لِلنَّاظِرِينَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: لِلْمُعْتَبِرِينَ. وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ :﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ لِلْمُتَأَمِّلِينَ[1].

يقول الزجاج "﴿إِنَّ في ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أيْ: لَعَلامَةً بَيِّنَةً لِلْمُصَدِّقِينَ"[2].

(إنّ) حرف توكيد ونصب (في) حرف جرّ (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بخبر مقدّم... و (اللام) للبعد، و (الكاف) للخطاب (اللام) الثانية للتوكيد (آيات) اسم إنّ مؤخّر منصوب وعلامة النصب الكسرة (للمتوسّمين) جارّ ومجرور متعلّق بنعت لآيات، وعلامة الجرّ الياء جملة " إنّ في ذلك لآيات" لا محلّ لها استئنافيّة.

(إن في ذلك لآية للمؤمنين) مثل نظيرها: إنّ... للمتوسّمين، والجملة لا محلّ لها استئنافيّة مؤكدّة للأولى.

يقول ابن عادل " ثم قال :﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، إي: كل من آمن بالله، ويصدق بالأنبياء، والرُسلِ صلوات الله وسلامه عليهم؛ عرف أنَّما كان انتقامُ الله من الجُهَّال لأجل مخالفتهم، وأمَّا الذين لا يؤمنون؛ فيحملونه على حوادث [العالم]، وحصول القرانات الكوكبية، والاتصالات الفلكية." [3].

---

(١) انظر. درة التنزيل ٣٤٤/٢.

(٢) راجع. تفسير ابن كثير

(٣) انظر. معاني القرآن للزجاج ١٨٥/٣،١٨٤.

ثانيًا: الجمع والإفراد في الضمائر:

بعد أن تحدثت عن الإفراد والجمع في الأسماء الظاهرة، أنقل الكلام إلى الإفراد والجمع في الضمائر، أو الأفعال المتصلة بالضمائر، وقد وقفت على ثلاثة مواضع تحدث عنها ابن جماعة، وهي تمثل ما جاء في كتاب الله تعالى من المتشابه اللفظي.

المسألة رقم(مائة وعشرون) قوله عالى: (ومنهم من يستمع إليك) وفي يونس: (يستمعون)، (ومنهم من ينظر إليك)؟

ذكر ابن جماعة " أن آية الأنعام في أبي جهل، والنضر، وأبيّ، لما استمعوا قراءة النبي (صلي اله عليه وسلم) على سبيل الاستهزاء، فقال النضر: (اساطيرُ الأولين)، فلما قل عددهم أفرد الضمير مناسبة للمضمرين.

وآية يونس: عامة لتقدم الآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى:(ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به) فناسب ذلك ضمير الجمع، وأفرد من ينظر لأن المراد نظر المستهزئين، فأفرد الضمير، أو أنه لما تقدم ضمير الجمع أفرد الثاني تفننا، واكتفى بالأول، أو تخفيفا مع حصول المقصود[1].

الآية (٢٥) من سورة الأنعام﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾

الآية(٤٢) من سورة يونس﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

الآية(٤٣) من سورة يونس ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾

يقول ابن عادل في اللباب : " فالواحد كقوله :﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾[الأنعام: ٢٥] والجمع كقوله :﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢]، والسبب فيه أنه موحّد اللفظ مجموع المعنى. و »مِنْ «في »من الناس «للتبعيض، وقد زعم

---

(١) كشف المعاني،ص١٥٩...

قومٌ أنها لِلْبَيَانِ وهو غَلَطٌ؛ لعدم تقدم ما يتبين بها. و »النَّاس «اسم جمع لا واحد له من لَفْظِهَ، ويرادفه »أَنَاسِيّ «جمع إنسان أو إنسي، وهو حقيقة في الآدميين، ويطلق على الجِنّ مجازاً"[١].

وقد حلّلها الخطيب الإسكافي وقد سبق ابن جماعة "إن لكلّ من الموضعين ما يوجب اختصاصه باللفظ الذي جاء فيه. فأما قوله تعالى: {وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ}، فقد قيل إنه في قوم من الكفار كانوا يستمعون إلى النبي (وإلى قراءته بالليل، فإذا عرفوا بها مكانه رجموه وآذوْه ومنعوه من الصلاة خوفًا مِن أن يسمعه منهم من تدعوه دواعي الحق فيسلم. وهذا في قومٍ قليلي العدد يرصدونه عليه اللام بالليل، وكان الله عزوجل يمنعهم عنه بنومٍ يلقيه عليهم، وحجاب] يحجبه به عنهم لِقوله تعالى:{ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون آخرة حجابًا مستورًا} (الإسراء:٤٥) فصار ذلك كالكنان على قلوبهم، وكالصمم في آذانهم.

وأمّا قوله تعالى{ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تُسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون* ومنهم من ينظر إليك إفأنت تهدي العُمي ولو كانو لا يبصرون}، فهو في كل الكفار الذين يستمعون مسموعًا هو حجة عليهم، وهو القرآن ولاينتفعون بسماعة، فكأنهم صم عنه.

فلمّا كانت "من" تصلح للواحد فما فوقه، ويجوز أن يعود الضمير إلى لفظه وهو لفظ الواحد، وإلي معناه، وهو ما يرد به من واحد أو اثنين أو ثلاث، واختلف هذان المكانان ف قلة والكثرة حُملت في موضع القلّة على حكم اللفظ، وعاد الضمير إليها بلفظ الواحد فقال: {ومنهم من يستمع إليك} وف موضع الكثرة على حكم المعنى، وعاد الضمير إلها بلفظ الجمع، فقال: {ومنهم من يستمعون إليك} ليفاد بالاختلاف هذا المعنى، فلم يصلح في كل مكان إلّا الفظ الذي خصَّه مع القصد الذي ذكرت. فإن قال قائل: فعلى هذا وجب في الاخيار: ومنهم من ينظرون إليك، لأنهم الأكثرون كالمستمعين؟[٢].

---

(١) انظر اللباب.

(٢) انظر. درة التنزيل ٢/ ٢٩.

يقول ابن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) " قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء العادلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ من قومك، يا محمد ="من يستمع إليك"، يقول: من يستمع القرآن منك، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك، وأمره ونهيه، ولا يفقه ما تقول ولا يُوعِيه قلبَه، ولا يتدبره، ولا يصغي له سمعه، ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك، إنما يسمع صوتك وقراءَتك وكلامك، ولا يعقل عنك ما تقول، لأن الله قد جعل على قلبه"أكنّة"[1].

مسألة رقم (مائة وواحد وخمسون) قوله تعالى :" فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم") فأفرد وفي هود: "وأخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم " فجمع؟

عللّ ابن جماعة(٧٣٣هـ): أن المراد بالرجفة الزلزلة العظيمة، فصح الإفراد لأن المراد بدارهم: بلدهم المزلزل، والمراد بالصيحة: صيحة من السماء، والمراد بديارهم : منازلهم[2].

الآية(٧٨)من سورة الأعراف:قال تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

الآية (٦٧)من سورة هود: قال تعالى ﴿قال يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾

جاء في لسان العرب "رجف :الرَّجَفانُ :الاضْطِرابُ الشديدُ :رجَفَ الشيءُ يَرْجُفُ رَجْفاً ورُجُوفاً ورَجَفَاناً ورَجِيفاً وأَرْجَفَ :خَفَقَ واضْطَرَبَ اضْطِراباً شَديداً، أَنشد ثَعْلَبٌ: ورَجَفَتِ الأَرض تَرْجُفُ رَجْفاً: اضطَربت. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ؛ أَي لَوْ شئتَ أَمَتَّهم قَبْلَ أَن تَقْتُلَهُمْ. وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ رَجَفَ بِهِمُ الجبلُ فَمَاتُوا. ورجَفَ القلبُ: اضْطَرَبَ مِنَ الجَزَعِ. والرَّاجِفُ: الحُمّى المُحَرِّكَةُ".

---

(١) انظر. تفسير الطبري

(٢) كشف المعاني، ص١٧٩.

ورَجَفَ الشجرُ يَرْجُفُ: حرّكَته الريحُ، وَكَذَلِكَ الأَسْنانُ .ورجَفَتِ الأَرضُ إِذَا تَزَلْزَلَتْ .ورَجَفَ القومُ إِذَا تَهَيَّؤُوا لِلْحَرْبِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ؛ قَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ النَّفْخةُ الأُولى، والرّادِفةُ النفخةُ الثَّانِيَةُ؛ قَالَ أَبو إِسْحَاقَ :الرَّاجِفةُ الأَرض تَرْجُفُ تَتحرَّكُ حَرَكَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ الزَّلْزَلَة[1].

* أمّا عن " صَيَحَ" "صيح :الصِّياحُ :الصوتُ؛ وَفِي التَّهْذِيبِ: صوتُ كُلِّ شَيْءٍ إِذا اشْتَدَّ. صاحَ يَصِيحُ صَيْحة وصِياحاً وصُياحاً، بِالضَّمِّ، وصَيْحاً وصَيَحاناً، بِالتَّحْرِيكِ، وصَيَّحَ :صَوَّتَ بأَقصى طَاقَتِهِ، يَكُونُ ذَلِكَ فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ؛ قَالَ:

وصاحَ غُرابُ البَيْنِ، وانْشَقَّتِ العَصا.... كَمَا ناشَدَ الذَّمَّ الكَفِيلُ المُعاهِدُ

والمُصايَحَةُ والتصايُحُ :أَن يَصِيحَ القومُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ .والصَّيْحَةُ :العذابُ، وأَصله مِنَ الأَوّل؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ*؛ يَعْنِي بِهِ الْعَذَابَ؛ وَيُقَالُ :صِيحَ فِي آلِ فُلَانٍ إِذا هَلَكُوا. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ*أَي أَهلكتهم .والصَّيحةُ :الغارةُ إِذا فُوجِئَ الحيُّ بِهَا. والصائِحةُ :صَيْحَةُ المَناحةِ؛ يقال: ما يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مثلَ صَيْحةِ الحُبْلى أَي شَرًّا سَيعاجِلُهم؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ؛ فَذَكَرَ الْفِعْلَ لأَن الصَّيْحَةَ مَصْدَرٌ أُريد بِهِ الصِّياحُ، وَلَوْ قِيلَ: أَخذت الَّذِينَ ظَلَمُوا الصيحةُ بالتأْنيث، كَانَ جَائِزًا يَذْهَبُ بِهِ إِلى لَفْظِ الصَّيْحة"[2].

جاء في تفسير الطبري: " قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين عقروا الناقةَ من ثمود= ﴿الرجفة﴾، وهي الصيحة، و"الرجفة"."الفعلة"، من قول القائل:"رجَف بفلان كذا يرجُفُ رجْفًا"، وذلك إذا حرّكه وزعزعه، كما قال الأخطل (البحر: البسيط)

إِمَّا تَرَيْنِي حَنَانِي الشَّيْبُ مِنْ كِبَرٍ... كَالنَّسْرِ أَرْجُفُ، وَالإِنْسَانُ مَهْدُودُ[3].

---

(١) لسان العرب، ١١٣/٩.

(٢) المرجع السابق، ج٨.، مادة (صاح).

(٣) انظر. تفسير الطبري، البيت لغياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك. شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح

وإنما عنى بـ"الرجفة"، ها هنا الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة، فيما ذكر أهل العلم"

قال الشوكاني: " ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أيِ الزَّلْزَلَةُ، يُقالُ: رَجَفَ الشَّيْءُ يَرْجُفُ رُجْفانًا، وأصْلُهُ حَرَكَةٌ مَعَ صَوْتٍ، ومِنهُ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ﴾، وقِيلَ: كانَتْ صَيْحَةً شَدِيدَةً خَلَعَتْ قُلُوبَهم ﴿فَأصْبَحُوا في دارِهِمْ﴾ أيْ بَلَدِهِمْ جاثِمِينَ لاصِقِينَ بِالأرْضِ عَلى رُكَبِهِمْ ووُجُوهِهِمْ كَما يَجْثُمُ الطّائِرُ، وأصْلُ الجُثُومِ لِلْأرْنَبِ وشِبْهِها، وقِيلَ: لِلنّاسِ والطَّيْرِ والمُرادُ أنَّهم أصْبَحُوا في دُورِهِمْ مَيِّتِينَ لا حَراكَ بِهِمْ."

كما فسّر قوله ﴿ وأخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ أيْ في اليَوْمِ الرّابِعِ مِن عَقْرِ النّاقَةِ، صِيحَ بِهِمْ فَماتُوا، وذُكِرَ الفِعْلُ لِأنَّ الصَّيْحَةَ والصِّياحَ واحِدٌ مَعَ كَوْنِ التَّأْنِيثِ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ، قِيلَ صَيْحَةُ جِبْرِيلَ، وقِيلَ صَيْحَةٌ مِنَ السَّماءِ فَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهم وماتُوا، وتَقَدَّمَ في الأعْرافِ ﴿فَأخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨] قِيلَ: ولَعَلَّها وقَعَتْ عَقِبَ الصَّيْحَةِ ﴿ فَأصْبَحُوا في دِيارِهِمْ جاثِمِينَ﴾ أيْ ساقِطِينَ عَلى وُجُوهِهِمْ مَوْتى قَدْ لَصِقُوا بِالتُّرابِ كالطَّيْرِ إذا جَثَمَتْ"[1].

وجاء في درة التنزيل "إن وجه اختصاص كل سورة بما خصت به أن اسم الدرا لفظ يقع على المنزل الواحد والمسكن المفرد ويقع على مساكن القبيلة والطائفة الكبيرة وإن اتسعت وافترقت وتعددت مساكنها وديارها إذا ضمها إقليم واحد واجتمعت في حكم أو مذهب، وإذا تقرر هذا فوجه اختيار لفظ الجمع في الآية من سورة هود مناسبة ما اقترن من لفظ الصيحة، وهي عبارة هنا عن العذاب مطلقًا دون تقييد بصفة، وهو من الألفاظ الكلية، فإن لم يكن عامًا فانتشار مواقعه من حيث الكلية حاصلة.

وأما الرجفة الزلزلة، فلهذا اللفظ خصوص وهو جزئي، ومن المعلوم بالضرورة انحصار الألفاظ في الضربين فإن اللغة لا تختلف في ذلك، فالصيحة من حيث الكلية تطلق على ما كان من العذاب بالرجفة وغيرها، وإذا عبرنا بالرجفة لم يتناول

(١) فتح القدير، ص٤٨٤.

لفظها إلا ما كان عذابًا بها، فناسب عموم الصيحة جمع الديار مناسبة تركيب النظم، وناسب خصوص الرجفة إفراد الدار"[1].

المسألة رقم(مائة واثنتان وخمسون) قوله تعالى في قصة نوح وشعيب(ابلغكم رسالات ربّي)، وقال في هود وصالح :(رسالة ربِّي)، فأفرد؟.

يعلل ابن جماعة (٧٣٣هـ) ذلك بأن قصة نوح وشعيب تضمنتا أنواعا من التبليغات، وإن لم يذكر هنا مع طول مدة نوح فجمع لذلك، وقصة هود وصالح ليس كذلك فأفرد[2].

الآية (٩٣) من سورة الأعراف: قال تعالى ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

الآية (٦٨)من سورة الأعراف: قال تعالى ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾

الآية (٦٢)من السورة نفسها: قال تعالى ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

التحليل: في قوله: (رِسَالاتِ رَبِّي) في جميع القصص، إلا في قصة صالح فإن فيها:(رسالة)"٧٩" على الواحدة، لأنه سبحانه حكى عنهم بعد الإيمان بالله والتقوى أشياء أَمَروا قومهم بهافكأنه هنا أبلغهم عن مجموعة من التبليغات، بينما في قصة صالح، فإن فيها ذكر الناقة فصار كأنها رسالة واحدة وتبليغ واحد، والعلَّة في هذا الإفراد والجمع إنما هي علّة معنوية ليست نَحْوية.

مسالة رقم (مئتان واثنتان وثمانون) قوله تعالى:(يوم ترونها تذهلُ كل مرضعة)، ثم قال : (وترى الناس سُكارى)الآية؟

والقصد من السؤال هو: كيف قال عزوجل أولا(يوم ترونها) بلفظ الجمع، ثم ثانيًا (وترى) بلفظ المفرد؟

---

(١) راجع .درة التنزيل ١٤٣/٢.

(٢) كشف المعاني، ص١٨٠.

يقول ابن جماعة(٧٣٣هـ) أن الزلزلة عامة في وقت واحد فيدركها الكل إدراكًا واحدًا فقال(ترونها) ورؤية السكارى مختصة بكل إنسان بنفسه فيراهم هذا في وقت وهذا في وقت فقال: وترى أيها الرائي"(١).

الآية (٢) من سورة الحج: قال تعالى﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

يقول الزمخشري في هذه المسألة "فإن قُلْتَ: لم قيل أولًا ترون، ثم قيل: ترى على الإفراد؟ قُلْتُ: لأنّ الرؤية أوّلا عَلِقت بالزلزلة، فجعل الناس جميعًا رائين لها وهي مُعلَّقَة أخيرًا بكون الناس على حال السكر، فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيًا لسائرهم"(٢).

ذكرالقرطبي (ت٦٧١ هـ) أن المراد من قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ "الْهَاءُ فِي "تَرَوْنَهَا" عَائِدَةٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ عَلَى الزَّلْزَلَةِ، وَيُقَوِّي هذا وقوله عز وجل. "تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا". وَالرَّضَاعُ وَالْحَمْلُ إِنَّمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: الزَّلْزَلَةُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَفِيهِ: "أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ... " الْحَدِيثَ. وَهُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ"(٣).

ولم يسبق ابن جماعة أحد من علماء المتشابه اللفظي الحديث عن هذه المسألة، حيث أنه يعتبر ممن تفرد بالحديث عنها من علماء المتشابه.

وفَسَّر السمين :قوله:{ تَرَوْنَهَا} في هذا الضميرِ قولان، أظهرهما: أنه ضميرُ الزلزلةِ لأَنها المحدَّثُ عنها، ويؤيِّدُه أيضاً قولُه { تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ} والثاني: أنه ضميرُ الساعةِ. فعلى الأولِ يكونُ الذُّهولُ والوَضْعُ حقيقةً لأنه في الدنيا، وعلى الثاني يكونُ على سبيلِ التعظيم والتهويل، وأنها بهذه الحيثيةِ، إذ المرادُ بالساعةِ القيامةُ، وهو كقوله:

(١) انظر. كشف المعاني ص٢٦٠.
(٢) انظر. الكشاف ٦٨٩.
(٣) انظر.الجامع لأحكام القرآن.

{ يَوْماً يَجْعَلُ الولدان شِيباً} [المزمل: ١٧] قوله{ تَذْهَلُ} في محلِّ نصب على الحال من "ها" في "تَرَوْنَها" فإنَّ الرؤيَةَ هنا بَصَريةٌ، وهذا إنما يَجِيْءُ على غيرِ الوجهِ الأولِ. وأمَّا الوجهُ الأولُ وهو أنَّ " تَذْهَلُ " ناصِبٌ ل "يومَ تَرَوْنَها" فلا محلَّ للجملةِ من الإعرابِ لأنها مستأنفةٌ، أو يكونُ محلُّها النصبَ على الحال من الزلزلة، أو من الضمير في " عظيم"، وإنْ كان مذكراً، لأنَّه هو الزَّلْزَلَةُ في المعنى، أو من الساعة، وإن كانت مضافاً إليها، لأنها: إمَّا فاعلٌ أو مفعولٌ كما تقدَّم. وإذا جَعَلْناها حالاً فلا بُدَّ من ضميرٍ محذوفٍ تقديرُه: تَذْهَلُ فيها.

بينما فَسّر قوله: {وَتَرَى الناس سكارى} العامَّةُ على فتحِ التاءِ من «ترى» على خطابِ الواحد. وقرأ زيدُ بن علي بضمِّ التاءِ وكسرِ الراءِ، على أنَّ الفاعلَ ضميرُ الزلزلةِ أو الساعةِ. وعلى هذه القراءةِ فلا بُدَّ من مفعولٍ أولَ محذوفٍ ليَتِمَّ المعنى به أي: وتُرِي الزلزلةُ أو الساعةُ الخَلْقَ الناسَ سكارى. ويؤيِّد هذا قراءةُ أبي هريرة وأبي زرعة وأبي نهيك «ترى الناس سكارى». بضمِّ التاء وفتح الراء على ما لم يُسَمَّ فاعله، ونصب «الناسَ»، بَنَوْه من المتعدِّي لثلاثةٍ: فالأولُ قام مَقامَ الفاعلِ، وهو ضميرُ الخطابِ، و «الناسَ سُكارى» هما الأولُ والثاني.

ويجوز أن يكونَ متعدِّياً لاثنين فقط على معنى: وتُرِي الزلزلةُ أو الساعةُ/ [الناسَ] قوماً سكارى. فالناسَ هو الأول و «سكارى» هو الثاني.

وقرأ الزعفرانيُّ وعباسٌ في اختياره «وترى» كقراءة أبي هريرة إلاَّ أنهما رفعاً «الناسُ» على أنه مفعول لم يُسَمَّ فاعلُه. والتأنيثُ في الفعلِ على تأويلِهم بالجماعة(١).

مسألة رقم(ثلاثمائة وثمانية وأربعون) قوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) أفرد الذكور وجمع الإناث؟

يعلل ابن جماعه – رحمه الله– (٧٣٣هـ) أن إفراد الذكور لإرادة الجنس، وعلم من إضافة الجمع إلى المفرد أن المراد جنس الأعمام والأخوال، لا عمّ معين أو خال

(١) انظر. الدر المصون ٢٢٢/٨.

معين، فكان الإفراد مع إرادة الجنس أخف لفظا وافصح لما فيه من المقابلة بين الإفراد والجمع والذكور والإناث.

أما جمع الإناث لفظا فلتعذر الإتيان بمفرده لقيد الجنس، إذ لو قيل: بنت عمك أو بنات عماتك، وبنت خالتك أو بنات خالاتك لاحتمل إرادة بنت معينة أو عمة أوخال معين أو خالة معينة، والآية إنما سيقت لبيان المنة على رسول الله التوسعة عليه والإفراد يفوت به التصريح له بهذاالمعنى المقصود[1].

الآية (٥٠) من سور الأحزاب: قال تعالى ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

فقد ذكر السيوطي أن من بين ما يجمع بالألف والتاء "أحدهما: ما فيه تاء تأنيث مطلقًا سواء كان علمًا لمؤنث كفاطمة أو مذكّر كطلحة، أو اسم جنس كَتَمْرَة، أو صفة كَنَسّابة، أبدلت تاؤه في الموقف هاء أو لا؛ كبنت، وأختِ، ويستثنى من ذلك: شاة، وشفة، وأمَة فلا تجمع بالألف والتاء على الأصح واو سمّى بها، استغناءَ بتكسيرها على: شِياه، وشِفاه، وإماء"[2]، والجدير بالذكرأنَّ هذه المسألة من المسائل التي تفرد بها ابن جماعة في الحديث عنها ولم يسبقها فيه أحد في كتب المتشابه والتي سبق وأن ورد ذكرها في البحث.

وكذلك في المسألة رقم(ثلاثمائة واثنتان وثلاثون) قوله تعالى : { فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَالِكَ لآَيَاتٍ }، وقال تعالى بعد ذلك : {خَلَقَ اللهُ السَّموَات وَالأَرْضَ بِالحَقَّ إِنَّ فِي ذَالِكَ لآيَة لَلمُؤْمِنِيْنَ} جمع الآيات في الأولى، وأفرد في الثانية ؟.

(١) كشف المعاني، ص٣٠٠-٣٠١.
(٢) انظر. همع الهوامع ٧٩/٣.

يقول ابن جماعة " أن المراد هنا قصة إبكراهيم عليه السلام وما فيها من تفاصيل أحواله مع أبيه وقومه، وفي الثانية : المراد خلق السموات والأرض فقط لا تفاصيل ما فيها من الآيات وأيضًا : يحتمل أن المراد " بقوم يؤمنون " العموم لتنكيره، فيدخل فيه كل مؤمن من الصحابة وغيرهم، ومعناه : إنه آية لكل قوم مؤمنين ،والذي بعده بالتعريف للمتصفين بالإيمان حال نزول الآية وهم الصحابة "[1].

الآية ٢٤ العنكبوت ابتداء من الآية ١٥ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

الآية ٤٤ من السورة نفسها ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

يوافق ما ذهب إليه ابن جماعة كلام الخطيب الإسكافي(ت ٤٢٠هـ) والذي سبقه في الحديث عن هذه المسألة حين قال ولكن بشيء من التفصيل " إذا أخبرا الله تعالى عن المؤمنين في كتابه فهو متناول من كان في عصر النبي (وهم محدودون، وإذا قال (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنوم} فهؤلاء أقوام لا ينتاهون، فكلّ من يؤمن إلى يوم القيامة منهم داخل فيهم، وكلّ دلالة وأمارة آية، فجمعت لعدّته التي لم تتناه

(١) كشف المعاني، ص٢٨٩.

،ولمّا قال في خلق السموات والأرض: {لآية للمؤمنين} وهم جماعة واحدة محصور عددهم، والآية الواحدة تجمعهم باين الخبر عنهم الخبرَ عمّن وُجد وعمّن لم يوجد أكثرهم، فاختلفت بهم الدلالات، وجمعت لهم "الآيات" لانتشار أعدادهم وتباين مددهم، فاختلف الموضعان[1].

---

(1) انظر. درة التنزيل ٣/٢٩،٢٨.

المبحث الثالث: " اختلاف دلالة التذكير والتأنيث "

تُعد مراوحة الأسلوب القرآني بين التَّذكير والتَّأنيث نوعًا من أنواع التَّرابط النَّصِّي، بل تُعد أثرًا فاعلاً في تجلية المعنى، ومغايرة الأسلوب على هذا النَّحو طريقة من طرق العرب في كلامهم وأشعارهم، ففي مواضع كثيرة نجد العربيَّة لا تستعمل الأصل أو لا تضع العلامة التي ترجع إلى الاسم المحال إليه، ولكنّها تغاير فتحدث دورانًا في الكلام بين التَّذكير والتَّأنيث فنجد الإحالة بصيغة التَّذكير والمحال إليه مؤنثًا والعكس حسبما يقتضيه المعنى، وخير مثالٍ على ذلك: النَّظم القرآنيُّ، فقد ذَكّرَ الفعلَ في موطن وأنَّثه في موطن آخر شبيه به؛ مراعيًا في ذلك سياق النَّص.

فللأسلوب القرآني طريقته في مغايرة الإحالات بين التَّذكير والتأنيث وهذه المغايرة لا تخلو من فائدة أو غرض بلاغيِّ، وهو ما سأحاول عرضه وبيانه من خلال بعض المسائل التي تعرض لها ابن جماعة في كتابه.

ولقد تناول علماء اللغة موضوع التذكير والتأنيث، وبينوا أسراره وأغراضه في منظوم كلام العرب ومنثوره، وجهدهم في ذلك مدوّن في علم اللغة والنحو(١).

وعلى سبيل المثال لا الحصر قال ابن الحاجب "المذكر والمؤنث: المؤنث ما فيه علامة تأنيث لفظًا أو تقديرًا، والمذكر بخلافه؛ وعلامة التأنيث: التاء، والألف مقصورة" "وممدودة".

وقال الرضي: كل ما فيه علامة التأنيث، ظاهرة، أو مقدرة، سواء كان التأنيث حقيقيًا، أو لا : يسمَّى مؤنثًا"(٢).

أما دراستي في هذا المبحث فهو بسط ما ذكره ابن جماعة في كتابه من آيات المتشابهة اللفظي في القرآن الكريم من تذكير اللفظة القرآنية وتأنيثها في الآيات المتشابهة، فالسياق القرآني يختار تذكير اللفظة في آية، مع أنه من الممكن وضع

(١) انظر: الجمل في النحو للزجاجي: ٢٩٠- ٢٩٦، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام: ٢٨٦/٤ وما بعدها.

(٢) راجع شرح الرضي في الكافية ص٣٢١

لفظة مؤنثة مكان المذكّر، وكذلك العكس، وعلى هذا يجتهد علماء المتشابه في بيان أسرار هذا الاختلاف وإلى جانبهم "ابن جماعة".

وقد اجتهد علماء المتشابه رحمهم الله في هذا الصدد، وأبرزوا لنا صورة حسنة من عنايتهم بالمفردة القرآنية من حيث التذكير والتأنيث.

*وستكون الطريقة في بسط الآيات والأقوال مشابهة للفصل السابق، فأتحدث

أولًا: عن التذكير والتأنيث في الأسماء الظاهرة، ثم في الضمائر، بعد ذلك أتحدث عن الأفعال المسندة إلى ضمير المذكر والمؤنث.

*التذكير والتأنيث في الأسماء الظاهرة:-

أقصد بالأسماء ماورد من المتشابه في التذكير والتأنيث في الأسماء الظاهرة، أو الاسم الموصول أو اسم الإشارة، وسأتحدث عن ثلاث آيات متشابهات في هذه المسألة، وهي تمثل ما جاء من المتشابهة في هذا الخصوص، فلم يرد في القرآن الكريم من المتشابهة في هذه المسألة إلا في هذه المواضع الثلاثة.

مسألة رقم (مائة وسبعة وعشرون) قوله تعالى "إن هو إلا ذكرى للعالمين"، وفي يوسف: "ذكر للعالمين" مذكر منونا؟

يذكر ابن جماعة (٧٣٣هـ)أنه تقدم في هذه السورة:(فلا تقعد بعد الذكرى[١] فناسب :(إن هو إلا ذكرى للعالمين) [٢].

الآية (٩٠) من سورة الأنعام: قال تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

(١) الآية (٦٨) من سورة الأنعام

(٢) كشف المعاني، ص١٦٣.

الآية (١٠٤) من سورة يوسف: قال تعالى ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

ورود التَّذكير في آية يوسف، و (ص)، والتَّكوير على الأصل، فالتَّأنيث فرع له، يقول سيبويه: "وإنَّما كان المؤنث بهذه المنزلة، ولم يكن كالمذكر؛ لأنَّ الأشياء كلها أصلها التَّذكير ثم تختص بعد". وقال في موطن آخر: "وإنَّما يخرج التَّأنيث من التَّذكير".

يقول ابن كثير(ت٣١٠هـ) "القول في تأويل قوله :﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد(صلى الله عليه وسلم) :"قل" لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكّرهم بآياتي، أن تبسَل نفس بما كسبت، من مشركي قومك يا محمد:"لا أسألكم"، على تذكيري إياكم، والهدى الذي أدعوكم إليه، والقرآن الذي جئتكم به، عوضًا أعتاضه منكم عليه، وأجرًا آخذه منكم،وما ذلك مني إلا تذكير لكم، ولكل من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل، بَأسَ الله أن يَحُلّ بكم، وسَخَطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم وإنذارٌ لجميعكم بين يدي عذاب شديد، لتذكروا وتنزجروا.

وقد سبق ابن كثير ووضح قائلًا "ومعنى"الذكرى"، الذكرُ. و"الذكر" و"الذكرى" بمعنًى***. وقد يجوز أن يكون"ذكرى" في موضع نصب ورفع: فأما النصب، فعلى ما وصفت من تأويل: ولكن ليعرضوا عنهم ذكرى. وأما الرفع، فعلى تأويل: وما على الذين يتقون من حسابهم شيء بترك الإعراض، ولكن إعراضهم ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون"

وذكر ابن كثير أن المراد " قوله :﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾، يقول تعالى ذكره: ما هذا الذي أرسلك به ربك، يا محمد، من النبوة والرسالة ﴿إلا ذكر﴾، يقول: إلا عظة وتذكير للعالمين، ليتعظوا ويتذگّروا به.

يقصد بكلام ابن جماعة – رحمه الله- أنه قال جل وعلا (وَإِذَا رَأَيْتَ الذِّين يَخوضُون في ءاياتنا فَأَعْرِضْ عَنْهم حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ

الشيطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، وهذه الآية تسبق قوله (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلعالَمِين). فكانت كلمة الذكرى أليق بها.

مسألة رقم (ثلاثمائة وستة): قوله تعالى " لنحيي به بلدة ميتا"، وقال تعالى في سبأ (بلدة طيبة)، ذَكَّرَ الاول وأَنَّث الثاني؟

يقول ابن جماعة (٧٣٣هـ): أن التذكير تارة يكون باعتبار اللفظ وتارة باعتبار معناه كقوله تعالى : (السماء منفطر به)، وقال تعالى : (إذا السماء انفطرت). وأيضا فإن ما لا روح فيه يقال فيه ميت، وما فيه روح يقال له : ميتة"[١].

الآية(٤٩) من سورة الفرقان ﴿ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

الآية (١٥) من سورة سبأ: قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾.

ويوافق كلام ابن جماعة ماذهب إليه ابن كثير في تفسيره(ت٣١٠هـ)" يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح الملقحة ﴿بُشْرًا﴾: حياة أو من الحيا والغيث الذي هو منزله على عباده ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ يقول: وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورا،﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ يعني أرضا قَحِطة عذية لا تُنبت. وقال :﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾ ولم يقل ميتة، لأنه أريد بذلك لنحيي به موضعًا ومكانًا ميتًا ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ من خلقنا ﴿أَنْعَامًا﴾ من البهائم"[٢].

يتبيّن مما سبق أن قوله سبحانه {لنحيي به بلدة ميتا } [الفرقان:٤٥]، فـ{بلدة} لفظ مؤنث، وجاء وصفها بصيغة التذكير، فلم يقل: ميتة، والأصل أن توافق الصفة الموصوف تذكيراً وتأنيثاً، وقد وجهوا ذلك، فقالوا: إن لفظ {بلدة} يؤول بمعنى المكان، فيكون التذكير هنا اعتباراً للمعنى لا للفظ، أي: مكاناً ميتاً .

(١) كشف المعاني، ص٢٧٣.

(٢) انظر. تفسير ابن كثير

*التذكير والتأنيث في الضمائر:-

الحديث عن التذكير والتأنيث في الضمائر في الآيات المتشابهة يُعد أبرز وأكثر موضوعات هذا الفصل من حيث عدد الآيات المتشابهة ،وسنتحدث بإذن الله تعالى عن خمس مسائل ورد فيها تشابه لفظي، وهي تمثل كل ما جاء في كتاب الله تعالى من المتشابه في سألة تذكير الضمائر وتأنيثها.

مسألة رقم (مئتان وأربعة وثلاثون) قوله تعالى " وإن لكم في الأنعام لعبرة - ص٧٩ سُقيكم مما في بُطونِه". وفي المؤمنين : "ممَّا في بُطونها".

يذكر ابن جماعة (٧٣٣هـ) :أن المراد في آية النحل :البعض، هو الإناث خاصة، فرجع الضمير إلى البعض المقدر، ودليله تخصيص الآية"باللبن" وهو في الإناث خاصة، وآية سورة المؤمنين: عامة للجميع بدليل قوله تعالى:{ولكم فيها منافع}، فعمّ الذكر والأنثى كما عمهما لفظ الإنسان قبله[1].

الآية (٦٦)من سورة النحل: قال تعالى (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾.

الآية (٢١)من سورة المؤمنون: قال تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾.

ذهب الجوهري في الصحاح إلى أن « الأنعام » جمع :« نَعَم »، بفتح العين وسكونها، وأحسن منه قول من ذهب إلى أن « النَّعَم » بفتح العين، اسم جنس، والغالب في استعماله التذكير. يقولون :« هذا نَعَم وارد »، وأكثر ما يقع على الإبل وسُمّيَ بذلك لكون الإبل عند العرب أعظم نعمة. قال تعالى: ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾".

وأما "الأنعام " فهو اسم جمع، يستوي فيه المذكر والمؤنث، فذكّر الضمير وأُفرِد في الأول، نظرًا للفظ « الأنعام » ؛ إذ هو مفرد في اللفظ. وأنّث وجُمِع في الثاني، نظرًا

(١) كشف المعاني، ص٢٢٩.

لمعنى « الأنعام »؛ إذ هو في معنى الجمع. وهذا من أحسن ما أجيب به ؛ إذ به ينتظم المعنى انتظامًا حسنًا، وأحسن منه ما سنذكره في الفقرة الثانية.

فيقول الرضي " وأم اسم الجنس فيجوز اجراء ظاهره وضميره مجرى ظاهر المفرد المذكر، والمؤنث، وضميرهما، ولا يمتنع إجراء ضميره مجرى ضمير جمع التكسير، نحو: انقعر النخل، وانقعرت النخل، والنخل انقعر وانقعرت وانقعرن"(١).

وذكر العُكبري " قوله تعالى: (بُطُونِهِ) : فيما تعود الهاءُ عليه ستة أوجه:

أحدها– أَنَّ الأنعام تذكَّرُ وتؤنّث، فذكَّرَ الضمير على إحْدَى اللغتين.

والثاني– أَن الأنعام جِنْس، فعادَ الضمير إليه على المعنى.

والثالث- أنَّ واحد الأنعام نعم، والضميرُ عائدٌ على واحده، كما قال الشاعر:

مِثْلُ الفِرَاخِ نُتِّفَتْ حَوَاصِلُه

والرابع – أَنه عائد على المذكور، فتقديره: مما في بطون المذكور، كما قال الحطيئة:

لِزُغْبٍ كَأَوْلادِ القَطَا رَاثَ خَلْفُها *** على عَاجِزَاتِ النَّهضِ حُمرٍ حوَاصِلُهْ

والخامس – أَنه يعودُ على البَعْض الذي له لبن منها "(٢).

وقد سبق ابن جماعة لهذا التفسير الكرماني قائلا " أن الضمير في آية المؤمنون (في بطونِها) يعود إلى البعض وهو الإناث، لان اللبن لا يكون للكل، فصار تقدير الآية: وإن لكم في بعض الأنعام. بخلاف ما في المؤمنين، فإنه عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض، وذلك قوله:(وَلَكُم فيها مَنَافع كثيرة ومنها تأكلُون وَعَلَيها) (٢١،٢٢)، ثم يحتمل أن يكون المراد البعض، فأنث حَمْلًا على الأنعام.." (٣).

ترجيح الآراء: قوله عز وجل: {وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه} (النحل:٦٦)، فـ {الأنعام} لفظ مؤنث، وعاد عليه الضمير {بطونه} بلفظ التذكير،

(١) يشرح الكافية للرضيّ ٣٤٥/٣.
(٢) التبيان في إعراب القرآن ٨٠٠/٢.
(٣) انظر البرهاني للكرماني ص١٦٢

فذهبوا إلى أن {الأنعام} هنا بمعنى (النِّعَم)، وهو لفظ مذكر، فعاد عليه الضمير مذكراً. أو حمله على معنى الجمع، والجمع يستوي فيه التذكير والتأنيث.

كقوله تعالى: {وما كانت أمك بغيا} (مريم:٢٨)، جاء الخبر بصيغة التذكير{بغيا}، والمبتدأ {أمك} لفظه التأنيث، قالوا: إن الأصل في (بغي) بغوي، على وزن فعول، فلما التقت (واو) و(ياء)، وسُبقت إحداهما بالسكون، أُدغمت (الواو) في (الياء)، فقيل: بغي، كما تقول: امرأة صبور بغير هاء؛ لأنها بمعنى صابرة. فهذا حكم فعول إذا عُدِل عن فاعله، فإن عُدِل عن مفعوله جاء بالهاء، كما يقال: بقرة حلوبة بمعنى محلوبة.

*التذكير والتأنيث في الأفعال المسندة للضمائر:-

تحدث ابن جماعة عن موضعين، وهي تمثل ما في القرآن الكريم فيما يختص بإسناد الفعل لضمير المذكر والمؤنث، والمقصود بذلك إلحاق علامة التأنيث بالفعل.

مسألة (مئتان وتسعة وسبعون) قوله تعالى في سورة الأنبياء" فنفخنا فيها من روحنا "– ص٨٨- وفي التحريم : (فنفخنا فيه من روُحنا).

يفسر ابن جماعة (٧٣٣هـ) : إن لفظ التذكير عند العرب أخف من التأنيث، وها هنا لم يتكرر لفظ التأنيث كتكريره في التحريم فجاء فيها مؤنثا.

وفي التحريم تكرر لفظ التانيث بقوله تعالى:(ومريم) و (ابنة) و (أحصنت) و (فرجها) فناسب التذكير تخفيفا من زيادة تكرر التأنيث[١].

الآية(٩١) من سورة الأنبياء: قال تعالى ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

(١) كشف المعاني، ص٢٥٧.

الآية (١٢) من سورة التحريم: قال تعالى﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾.

يقول الرضيّ " فالأغلب في الظاهر الحقيقي المتصل برافعه: الحاق علامة التأنيث برافعه، نحو: ضربت هند، وضربت الهندان، وحكى سيبويه عن بعض العرب: قال فلانة، استغناء بالمؤنث الظاهر عن علامته، وأنكره المبرد؛ ولا وّجه لانكار ما حكى سيبويه مع ثقته وأمانته "[١].

وأوضح الرازي قائلًا " قلنا : حيث أنث أراد النفخ في ذاتها، وإن كان مبدأ النفخ من الفرج الذي هو مخرج الولد أوجيب درعها على اختلاف القولين، لأنه فرجة، وكل فرجة بين شيئين تسمى فرجا في اللغة، وهذا أبلغ في الثناء عليها لأنها إذا منعت جيب درعها مما لا يحل كانت لنفسها أمنع، وحيث ذكر فظاهر"[٢].. وهو ما قاله العكبري ايضا أن الهاء تعود إلى الفرج.

جاء في شرح ابن عقيل " أصلُ الاسم أن يكون مذكرًا، والتأنيثُ فَرْعٌ عن التذكير، ولكون التذكير هو الأصل اسْتَغْنَى الاسمُ للذكَّرُ عن علامةٍ تدلُّ على التذكير، ولكون التأنيث فَرْعًا عن التذكير افْتَقَرَ إلى علامة تدلُّ عليه – وهي : التاء، والألف للقصورة، أو المدودة- والتاء أكثر في الاستعمال ن الألف، ولذلك قُدِّرت في بعض الأسماء كعَيْن وكتِفٍ[٣].

ووافق كلام ابن جماعة كلام ابن الزبير " في الأنبياء قصد المولى- عز وجل- التشريف والمدح لمريم ابنة عمران وأبنها ،عليه السلام، بالذكر في قوله (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءايةً) [٤]، ولم يقع في آية التحريم ذكر ابنها، فلما اتسع المقصود هنا بذكرمن لم يذكر في التحريم، وقصد من التشريف ما هو أكثر، ناسبه التوسعة في عودة

(١) شرح الرضيّ ٣/ ٣٤٠.
(٢) مسائل القرآن، ص٢٢٩.
(٣) انظر. شرح ابن عقيل ٤/٩١.
(٤) الآية من سورة٩١الانبياء.

الضمير، وبما أن لفظ التذكير عند العرب أخف من التأنيث، كما ذكر ابن جماعة فأعيد الضمير إلى الذات المطهرة(بجملتها، فقيل): (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن روحِنَا).

أمَّا في آية التحريم، لم يقصد هنا من توسع المدح ما قصد في الأولى، بينما قصد بآية التحريم تخصيصها في ذاتها بعظيم إيمانها، وتصديقها، وإثباتها في القانتين، فالحامل على ذكرها هنا غير الحامل في سورة الأنبياء مع اتحاد الوصف الواقع به التمدح، مع تناظر الألفاظ (وتشاكلها)، وهي قوله تعالى:(وَالتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ) فاجتمع في هذا الموضع ما قصد من مدحها ومدح ابنها، عليه السلام، مع مضارعة الألفاظ وتشاكلها، ولم يقصد في التحريم غير ذكرها بالحال التي ناسبتها فيها امرأة فرعون، ولم يوسع الكلام بذكر ابنها، عليه السلام، كما ذكر في الأخرى، ولا هنا داعية تشاكل كما هناك، فلهذا ورد الضمير على ما ورد من الخصوص فقيل: "فيه"[(١)].

مسألة رقم (ستة وسبعون): قوله تعالى (فأنفخُ فيه فيكون طيرًا بإذن الله)، وفي المائدة (فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني)، ذكرها في البقرة وأنَّث في المائدة ،،،،،،،،،في لفظي فتكون فيكون".

ذهب ابن جماعة(٧٣٣هـ) في كتابه: " أن آية آل عمران من كلام المسيح عليه السلام في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة ولم تكن صورة بعد فحسن التذكير والإفراد.

وآية المائدة من كلام الله تعالى له يوم القيامة معددا نعمه عليه بعد ما مضت وكان قد اتفق ذلك منه مرات، فحسن التأنيث لجماعة ما صوّره من ذلك ونفخ فيه [(٢)].

الآية(٤٩) من سورة آل عمران: قال تعالى (وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

(١) انظر الكشاف وملاك التأويل لابن الزبير ص٣٥٢

(٢) كشف المعاني، ص١٢٩.

طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

الآية (١١٠) من سورة المائدة: قال تعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾.

ذكر الفراء (ت٢٠٧)"وقوله: {كهيئةِ الطيرِ فأنفخ فيهِ} يذهب إلى الطين، والمائدة(فتنفخ فيها) ذهب إلى الهيئة، فأنث لتأنيثها، وفي إحدى القراءتين (فأنفخها) وفي قراءة عبد الله (فأنفخها) بغير في ،وهو مما تقوله العرب: ربّ ليلة قد بِتّ فيها وبِتُّها، ويقال في الفعل أيضا:

ولقد أَبيت على الطَوَى وأظلُّه...............................[1].

تُلقى الصفات وإن اختلفت في الأسماء والأفاعيل. وقال الشاعر:

إذا قالت حذام فأنصتوها *** فإن القول ما قالت حِذام

فقوله: أنصتوها أي أنصتوا إليها

وقال الله تبارك وتعالى وهو أصدق قِيلا: (وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرون) [2] يريد: كالوا لهم[3].

يوضح الكرماني ما يريده ابن جماعة أن يقول في سبب اختلاف اللفظتين بين تذكيرٍ وتأنيث أن الضمير في آية آل عمران يعود إلى الطير، وقيل يعود إلى الطين، وقيل ايضا يعود إلى المهيأ أي في قوله تعالى(كهيئة الطير)، كما أن الإخبار في هذه

(١) هذا شطر بيت لعنترة. وعجزه: *حتى أنال به كريم المأكل*
(٢) آية رقم (٣) المطففين.
(٣) معاني القرآن ص٢١٥.

السورة قبل الفعل فَوَحَّدَهُ، فناسب التذكير والإفراد في قوله(فَأَنفُخُ فِيهِ)، وفي هذه الآية كان الكلام كلام عيسى لقومه لما أنعم الله عليه من معجزات يمكنه فعلها.

وفي آية المائدة الضمير يعود على الهيئة في قوله(كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها)، وهذا خطاب من الله له يوم القيامة وقد تقدم من عيسى – عليه السلام – الفعل مرات، والطير صالح للواحد وصالح للجميع[1].

مسألة رقم(أربعمائة وستون) قوله تعالى:(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ)٢٩الانسان وفي المدثر: (إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ)٥٤.

قال ابن جماعة: "إن المراد هنا هذه السورة أو الآيات، وفي المدثر: المراد القرآن، اكتفي ابن جماعة في تحليله لهذه المسألة على العبارة السابقة، والإشارة إلى أن هذه المسألة قد أوردها في المسائل الخاصة بسورة المدثروالتي ورد فيها "أن التذكرة: مصدر بمعنى التذكر، وليس مؤنثا، فرجع الضمير إلى مذكر في المعنى، وأتى بلفظ التذكرة لموافقته فواصل الآيات قبله[2].

الآية (٢٩) من سورة الإنسان ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾.

الآية (٥٤)من سورة المدثر﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾﴾.

وكلام ابن جماعة في هذه المسألة أفضل من قول الفراء (ت٢٠٧هـ)في هذا الموضع حيث يقول" يعني هذا القرآن، ولوقيل: "إنها تذكرةٌ "[3]. لكان صوابا، كما قال في عبس، فمن قال: (إنها) أراد السورة، ومن قال: (إنه) أراد القرآن"[4].

---

(١) انظر البرهان للكرماني ص٩٠.

(٢) انظر. كشف المعاني، ص٣٧١".

(٣) الآية (١١).

(٤) انظر. معاني القرآن ٢ /٢٠٦.

ترجيح الآراء: قوله عز وجل: {كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره} (عبس:١١-١٢)، فـ (التذكرة) مؤنث، وعاد الضمير عليه مذكراً، ولم يقل: ذكرها، قالوا: لأن معناه: فمن شاء ذكر هذا الشيء، ونحوه قوله سبحانه: {وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون * فلما جاء سليمان} (النمل:٣٥-٣٦)،ولم يقل: جاءت؛ لأن الكلام عائد على (الهدية).

المبحث الرابع: " اختلاف دلالة التعريف والتنكير"

يعد موضوع التعريف والتنكير من الموضوعات التي برز فيها جهد علماء المتشابه اللفظي رحمهم الله في حديثهم عن اللفظة المفردة في القرآن الكريم، ويتمثل جهدهم في بيان المغزي من تعريف المفردة القرآنية أو تنكيرها في الآيات المتشابهة.

قال ابن الحاجب: " المعرفة: ما وضع لشئ بعينه، وهي: المضمرات، والأعلام، والمبهمات، وما عُرِّف بالألف واللام أو بالنداء،- والمضاف إلى أحدها معنىً"[1]، "والنكرة ما وضع لشئ، لا بعينه"[2].

" والمراد بالمعرفة ما خص واحدا من الجنس، لا يتناول غيرَه، وذلك متعلق بمعرفة المخاطب دون المتكلم، إذ قد يذكر المتكلمُ ما هو معروف له، ولا يعرفه المخاطب، فيكون منكورًا...وقال أيضًا واعلم أنّ النكرة هي الأصل، والتعريف حادث؛ لأن الاسم نكرةٌ في أوّلِ أمره مبهمٌ في جنسه، ثم يدخل عليه مايُفْرِد بالتعريف، حتى يكون اللفظ لواحدٍ دون سائر جنسه"[3].

وقد نال موضوع التعريف والتنكير عناية علماء النحو أمثال سيبوية وابن جني والزجاجي وغيرهم[4]، كما حاز على عناية علماء البلاغة الأوائل وعلى رأسهم الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي كانت له وقفات وتأملات حسنه عن التعريف والتنكير في كتابه دلائل الإعجاز، تحت عنوان (الفروق في الخبر)، فقد ذكر فوائد وفرائد متنوعة لتعريف الخبر وتنكيره، كما فرّق بين الخبر المعرّف الألف واللام والخبر المعرف بالموصولية، وبسط القول بسطًا نفسيًا[5].

كما فصّل القول في التعريف بالموصول، وركّز حديثه على(الذي)، وأفرد الحديث عنها في فصل، وقال في مقدمته:(الذي)، وأفرد الحديث عنها في فصل، وقال

(١) انظر شرح الرضي ص٢٣٤.

(٢) راجع شرح الرضي في الشافية ص٢٧٩.

(٣) راجع شرح المفصل للزمخشري ٣٤٧/٣.

(٤) انظر :الكتاب لسيبويه:٥/٢ -٨،٣/٢٤١- ٢٤٢، سر صناعة الإعراب لابن جني:٣٣٢/١

(٥) انظر: دلائل الإعجاز: ١٧٧ – ٢٠١.

في مقدمته:(اعلم أن لك في (الذي) علمًا كثيرًا،وأسرارًا جَمّة، وخفايا إذا بَحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تُؤنس النفس، وتثلج الصدر، بما يُفضي بك إليه من اليقين، ويُؤديه إليك من حسن التبيين...) [1].

وجاء من بعده فدونوا ما ذكره الجرجاني، وقاموا بعملية الترتيب والشرح والزيادة[2]، ويندرج هذا الموضوع بصورته الاصطلاحية عند البلاغيين تحت باب (أحوال المسند إليه)، و(أحوال المسند)، فتحدثوا عن التعريف وصوره المختلفة، كالتعريف بالإضمار وبالعلمية وبالموصولية وبالإشاررة وبالألف واللام والإضافة، وبينوا أغراض كل صورة، كما تناولوا أغراض التنكير وفصّلوا القول فيها[3].

وبما أن للتعريف طرقا وأساليب مختلفة، فقد بين العلماء تلك الطرق والأساليب من خلال الآيات المتشابهة في ألفاظها، فتحدثوا عن التعريف بالألف واللام وإفادتها للعهد، ودلالتها على العموم واستغراق الجنس، وكذلك بعض الدلالات الأخرى كإفادة التشريف.

فقد اجتهدت في تنظيم وترتيب ماتحدث عنه ابن جماعه في مؤلَفه في هذا الموضوع، وسوف أتحدث أولًا عن التعريف بالألف واللام، وبعد ذلك التعريف بالموصول، كل ذلك على حسب مايُمليه عليه منهجه التحليلي لآيات المتشابه اللفظي، وأسأل الله العون والتوفيق.

أولا:التعريف بالألف واللام :-

والاسم المعرف بأل يُعد في نظر النَّحويِّن أقرب المعارف إلى النَّكرة، يقول ابن يعيش: "فالألف واللام أبهم المعارف وأقربها من النكرات؛ ولذلك نُعتت بالنكرة، كقولك: أني لأمر بالرجل غيرك فيمنعني وبالرجل مثلك فيعطيني؛ لأنَّك لا تقصد رجلاً بعينه [4].

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٩٩.

(٢) انظر: التبيان في علوم القرآن لابن الزملكاني: ٥٠-٥٤.

(٣) انظر: مفتاح العلوم: ١٧٨،٢١٢.

(٤) شرح المفصل: ٥ /٨٧.

وربما يظهر في بعض الأسلوب القرآني أنَّ الاسم المنكَّر بمنزلة المعرَّف وبالعكس خاصة إذا كانت اللاَّم للجنس، على أنَّ الاسم يكتسب قيمته للسِّياق الذي سيق فيه، وهذا ما بيَّنه عبد القاهر الجرجاني في ثنايا حديثه عن نظرية النَّظم من ذلك تنكير لفظ الحياة في قوله تعالى :﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة ٩٦] قال" :إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسَّك وجدت لهذا التَّنكير، وإن قيل: على حياة، ولم يقل: على الحياة حُسنًا وروعة ولطف موقع لا يقادر قدرته وتجدك تعدم ذلك مع التَّعريف، وتخرج عن الأريحيَّة والأنس إلى خلافهما.... [1].

مسألة رقم (ثلاثة وثلاثون): قوله تعالى:{ بغير الحقّ}، وقد قال في آل عمران: {بغير حق }فعرف هنا ونكر ذلك؟

قال ابن جماعة "أن آية البقرة : نزلت في قدماء اليهود بدليل قوله تعالى:(ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآياتِ اللهِ)، والمراد بـ"غير الحق" الموجب للقتل عندهم، بل قتلوهم ظلمًا وعدوانًا.

وآيات آل عمران(أوضح المحقق هذه الآيات وهم [2] في الموجودين زمن النبي(صلي الله عليه وسلم)، وبدليل قوله تعالى :(فبشرهم بعذاب أليم)، وبقوله تعالى:(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون)، وبدليل قوله تعالى في الثانية:(لن يضروكم إلا أذى)- الآية.

لأنهم كانوا حرصاء على قتل النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولذلك سمّوه، ولكن الله تعالى عصمه منهم فجاء منكرًا ليكون أعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم، لأن قوله تعالى:(بغير حق) بمعنى قوله ظلما وعدوانا، وهذا هو جواب من قال: مافائدة قوله: بغير الحق، أو: بغير حق والأنبياء لا يقتلن إلا بغير حق[3].

---

(١) دلائل الإعجاز، ص٢٨٨.
(٢) يقصد: الآية -١١٢،١١١،٢١.
(٣) كشف المعاني ص١٠٠

الآية(٦١)من سورة البقرة: قال تعالى﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

الآية(٢١)من سورة آل عمران: قال تعالى﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾.

الآية(١١٢)من سورة آل عمران: قال تعالى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

الذي يقصده ابن جماعة عن قوله في آية البقرة " والمراد بـ"غير الحق" الموجب للقتل عندهم، بل قتلوهم ظلمًا وعدوانًا". بأن في البقرة إشارة إلى الحق الذي أذن الله أن تقتل النفس به، وهو قوله:(وَلَا تقتُلوا النَّفس الَّتي حَرَّمَ الله إِلَّا بالحَق) فكان الأولى أن يُذكر معرَّفًا، لأنه من الله تعالى، بينما في آل عمران والنساء نكرة، أي بغير حق في معتقدهم ودينهم، فكان هذا بالتنكير أولى[1].

هذه المغايرة بين التَّعريف والتَّنكير ترتبط بالسِّياق اللُّغويِّ المصاحب لكل لفظة، وهذا ما انساق إليه ابن الزُّبير في تحليل الصِّيغتين؛ إذ ربط بين مواضع البقرة وآل عمران وسياق السُّور، فقال: "ولمَّا كانت الأولى في سورة البقرة إنَّما هي في سلفهم فمّن لم يشاهد أمر محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد وقع في الإفصاح فيها بكفرهم بعد تعريفهم بذكر آلاء ونعم وقد ورد فيها أنَّ بعض تلك المرتكبات، أو أكثرها قد عفي عنهم فيها، ولاشك أنَّ بعضهم قد سلَّم ممَّا وقع منه الأكثر من كفرهم.... فهم وإن وصفوا من الكفر والاعتداء بما وصفوا ليسوا في ارتكاب البُهت والمجاهرة

(١) انظر البرهان للكرماني ص٧٤.

بالباطل وموالاة التمرد والاعتداء وحال معاينة البراهين.... فناسب حال أولئك الذين لم يشاهدوه ما وقع التَّعبير به من قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة ٦١]؛ إذ ليس المعرَّف في قوة المنكَّر المرادف لقولك بغير سبب، وأيضًا فقد تقرر عندهم أنَّ مسوِّغ قتل النَّفس تقدم قتل النفس بغير الحق، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة ٤٥]، وتقرَّر عندهم رجم الزاني المحصن، وقد عرفنا ذلك من دينهم بالخبر الصَّحيح، وأنَّهم اعترفوا بذلك عند النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد إنكارهم.... وكيف ما كان فقد استقرَّ عندهم ما يسوغ القتل ويوجبه بعد الإيمان، وقد علموا أنَّ الأنبياء – عليهم السَّلام – مبرؤون من ذلك كلِّه، فقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي بغير وجه الحق المبيح للقتل، فالألف واللاَّم للعهد في المسوِّغ المتقرر في شريعتهم فقد افترق مقصد الآيتين.

وأمَّا الأولى من آيتي آل عمران فخاصَّة بالمتمادين منهم على الكفر، ولا تتناول الآية من أوَّلها إلى آخرها خلافه فهي كالآية الثَّانية فيما أعطته ودلَّت عليه من التَّمرد والتَّمادي على الضَّلال فناسبها التَّذكير كالتي بعدها وهما معًا من التَّمرد والتَّمادي على الضَّلال فناسبها التَّذكير كالتي بعدها وهما معًا بخلاف آية البقرة؛ إذ لم يتقدم في هاتين ما تقدم في تلك ولا حالة المذكورين في هاتين كحال من ذكر في تلك"[1].

واتَّجه البقاعيُّ اتجاهًا مغايرًا، حيث نظر إلى التَّنكير في آل عمران على أنَّه أبلغ من التَّعريف في البقرة، قال: "ولمَّا كان قتلهم إياهم بدون شبهة أصلاً بل لمحض الكفر والعناد؛ لأنَّ الأنبياء مبرؤون من أن يكون لأحد قبلهم حق دنيويّ أو أخرويّ، قال: بغير حق، أي لا صغير ولا كبير في نفس الأمر ولا في اعتقادهم، فهو أبلغ ممَّا في البقرة على عادة أفعال الحكماء في الابتداء بالأخفِّ فالأخف"[2].

ومهما يكن من شيء فمقصد هذه الآيات بيان جرائم بني إسرائيل، وكان قتل الأنبياء من أعظم هذه الجرائم؛ لذا كانت المبالغة في تنويع هذا القيد بغير الحق بين التَّعريف والتَّنكير. أمَّا التَّعريف فللإشارة إلى أنَّ قتلهم الأنبياء لم يكن بحق مشروع

(١) ملاك التأويل، ص ٣٠.
(٢) نظم الدرر: ٢ /٤٧.

معهود عندهم أو عند غيرهم، وأمَّا التَّنكير فللإيذان بأنَّ صنيعهم لم يكن بغير حق مطلقًا.

* وفي رأيي أنه في آية البقرة جاء معرفًا تشريفًا لهذا الحق الذي شرَّعه الله وقال به، بينما جاءت كلمة الحق نكرة في آل عمران والنساء لأنه حق ابتدعه اليهود فجاءت نكرة تحقيرًا لهذا الحق المزعوم الواهم، والله اعلم.

المسألة (الثلاثة والأربعون): قوله تعالى:{ رب اجعل هذا بلدا آمنا)، وفي إبراهيم:} هذا البلد آمنا).

ذكر ابن جماعة "أن البقرة دعى بها عند ترك إسماعيل وهاجر في الوادي قبل بناء مكة وسكنى جرهم فيها، وآية إبراهيم بعد عودة إليها وبناها"[١].

الآية(١٢٦)من سورة البقرة: قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾.

الآية(٣٥)من سورة إبراهيم: قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾.

في الآية الأولى (وَإِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا) لو نظرنا في الإعراب: الإشارة هذا إلى أي شيء؟ (هذا) هو يشير إلى شيء. كلمة (هذا) صارت المفعول الأول لفعل (اجعل) و(بلداً) المفعول الثاني و (آمنا) صفته، أي صيّره بلداً إذن لم يكن بلداً (اجعل بمعنى صيّر) إذن هو أشار إلى موضع المكان أو الوادي الذي وصفه في آية أخرى (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)) فاجعل هذا بلداً، ثم وصف البلد بأنه آمن فكلمة (آمنا (ستكون صفة للبلد. فإذن ما كان بلداً لأنه لو كان بلداً كيف يجعله؟ لم يكن فيه عناصر البلد. هذا كان

[١] انظر كشف المعاني ص١٠٦.

في أول السُكنى في بداياته: إسماعيل (عليه السلام) كان قد شبّ حديثاً عن الطوق وبدأ الناس يجتمعون حول إسماعيل وأمه والماء الذي ظهر فما كان بلداً فكأنه قال: اجعل هذا الموضع بلداً.

في الآية الثانية المكان صار بلداً وصار فيه ناس بل أكثر من ذلك جاء إليه من يعبد الأصنام وسكن مع هاجر ولذلك انظر إلى الآية الثانية (وَإِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا) صار بلداً. البلد صارت بدلاً من (هذا) المفعول الأول و(آمنًا) صارت المفعول الثاني يعني جعلتُ البلد آمنًا صار المفعول الثاني بعد أن كان صفة في الآية الأولى) .وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (معناه أن هناك في البلد من القبائل أو من الأعراب الذين سكنوا مع هاجر كانوا يعبدون الأصنام فلا يريد أن ذريته يتأثرون بهؤلاء.

فخلاصة الأمر إذن لما قال : اجعل هذا بلداً آمناً لم يكن قد تأسس البلد فلا بد أن يقول (بلد) وبعد أن أسس البلد وصار بلداً أشار إليه بالتعريف. الطلب في الآية الأولى أن يجعل هذا المكان غير ذي الزرع بلداً بصفة الأمن وفي الآية الثانية انصب الطلب على الأمن ودفع عبادة الأصنام .ليس هذا فقط ولكن انظر إلى رحمة الله سبحانه وتعالى في الآية الأولى أنه رب العالمين مؤمنهم وكافرهم يربُّهم ويرعاهم لكن يُثيب المحسن يوم القيامة ويعاقب المسيء. إبراهيم (عليه السلام) أراد الرزق للمؤمنين (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ) فبِمَ أُجيب؟ (قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) حتى الكافر (فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ). الله تعالى رحمته في الدنيا وكرمه شامل للمؤمنين ولغير المؤمنين لكن دلّهم على طريق الخير ودلهم على طريق الشر ثم يحاسبهم كل بحسب عمله فهذا سر استعمال النكرة مرة والمعرفة مرة أخرى في موضعين مختلفين والله أعلم. كلمة بلد الموضع الذي يسكن فيه جمع من الناس غير كلمة قرية ومدينة. يمكن للقرية أن تسمى بلداً أو المدينة تسمى بلداً أي المكان الذي يجتمع فيه الناس.

والذي يؤكد الكلام السابق ما قاله الزمخشري "فإن قُلْتُ: أي فرق بين قوله: (اجعل هذا بلدًا آمنًا) وبين قوله: (اجعل هذا البلد آمنًا)؟ قُلْتُ: قد سأل في الأول: أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني: أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف فاجعله آمنً.." [1].

ووثقه أكثر قول العُكبُري: " أي أن "آية البقرة كان قالها إبراهيم عندما أتى بالسيدة هاجر وابنها إسماعيل إلى الوادي الذي ليس به زرع ولا بشر فلم يصبح بلدًا كباقي البلاد ففي قوله: (اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا)، فكأن إبراهيم هنا أراد من ربه أن يجعل هذا الوادي الذي لازرع فيه ولا ماء بلدًا بعد بناء الكعبة ويمنحها الأمان كباقي البلدان، و(هَذَا) هنا اسم إشارة إلى قوله (بِوَادٍ غير ذِي زرْع) قبل الكعبة، فيكون"بلدًا" في هذه السورة المفعول الثاني، و"آمنًا" صفته أي صفة المفعول الثاني، وفي رأيي أيضًا أن كلمة (بَلَدًا) جاءت نكرة في آية البقرة لتناسب قوله (بِوَادٍ غير ذِي زرْع)، والله اعلم"[2].

بينما في سورة إبراهيم كان إبراهيم قد قالها عند عودته إلي الوادي بعد بناء الكعبة، وقوله في آية إبراهيم (اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنًا)، فقوله (هَذَا البَلَدَ) المفعول الأول، و "آمِنًا" المفعول الثاني.

مسألة رقم (ثمانية وخمسون) : قوله تعالى :(فلا جُناح عليكُم في ما فعلنَّ في أنْفُسِهِنَّ مِنْ معروفٍ).

الآية (٢٣٤)من سورة البقرة: قال تعالى﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴿٢٣٤﴾

(١) راجع الكشاف ص٥٥٣.
(٢) انظر. التبيان للعكبري، ص١١٣.

الآية (٢٤٠)من سورة البقرة: قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾

وعرفها في الآية رقم (٢٣٤) من نفس سورة البقرة وهي قوله تعالى : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) حيث ذكر" المعروف" في هذه الآية بالألف واللام.

أن المراد بالآية الأولى ما شرعه الله تعالى من الأحكام، ولذلك عرفه بالألف واللام وبالإلصاق.

وفيما فعلن : أى من التعرض للخطاب بالمعروف.

والمراد بالثانية: أفعالهن بأنفسهن من مباح مما يتخيرنه من تزين للخطاب، وترويج أو قعود وسفر أو غير ذلك مما لهن فعله، ولذلك نكره، وجاء فيه ب (من)." [١].

في الآية الأولى جاء قوله سبحانه :بالمعروف {معرفة وتعدى بحرف (الباء)، بينما في الآية الثانية جاء قوله تعالى من معروف {نكرة وتعدى بحرف (من)، فما وجه الاختلاف بين الآيتين؟ وهل من فائدة أوجبت اختصاص كل موضع بما اختص به؟

وقد أجاب بعض العلماء عن ذلك بأجوبة منها :

أن مجيء قوله: بالمعروف معرفة، جاء مناسباً لقوله في الآية، (فإذا بلغن أجلهن)، أي: باستيفائهن أربعة أشهر وعشرة أيام، والمراد يخرجن عند ذلك من تمام الأجل المحدد لعدتهن، فهذا كله بما تقتضيه (إذا) بتحديد أمدٍ محدود معلوم القدر، معروف الغاية، يتقيد به خروج المتوفى عنها زوجها، فناسبه التعريف في قوله سبحانه} :فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف {أي: فلا جناح عليهن أن يفعلن المعروف من موجب الشرع وهو الزواج هنا.

---

(١) كشف المعاني، ص١١٦

أما قوله سبحانه في الآية الأخرى} :فإن خرجن {فلم يذكر بلوغ الأجل، وليس التقييد الحاصل من أداة الشرط (إن) في قوله} :فإن خرجن {مثلَ التقييد الحاصل من الظرف المستقبل (إذا) في الآية الأولى؛ إذ ليست)إن) ك (إذا)، ألا ترى أنك تقول: أقوم إذا قام زيد، فيقتضي هذا أن قيامك مرتبط بقيامه، لا يتقدم عليه ولا يتأخر، بل يعقبه متصلاً به، وأما إذا قلت :أقوم إن قام زيد، فغاية ما يقتضي هذا أن قيامك بعد قيامه، وقد يكون عقبه، وقد يتأخر عنه، فيحصل من (إن) التقييد بالاستقبال من غير اقتضاء تعقيب أو مباعدة، وحصل من ظاهر لفظ الآية إبهام من جهتين:

إحداهما: عدم ذكر بلوغ الأجل .

الثانية: ما تقتضيه (إن) من فعل قد يعقبه فعل آخر متصل به، وقد يتأخر عنه؛ فلأجل هذا ناسبه التنكير في قوله: {من معروف}.

يقول الزركشي في البرهان "وأما قوله تعالى في سورة البقرة: {بِالْمَعْروفِ}، وقوله أيضًا: {مِنْ مَعْروفٍ) فهو من إعادة النكرة معرفة، لأن (من معروف) وإن كان في التلاوة متأخرا عن (بالمعروف)، فهو في الإنزال متقدم عليه." [1].

وجاء في البرهان في الآية الأولى (فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالمعروفِ)، وفي الآية الثانية (مِن معْروفٍ)، لأن تقدير الأول (فيما فعلن بأمر الله وهو المعروف)، وتقدير الثاني(فيما فعلن في أنفسهن فعلًا) من أفعالهن معروفًا، أي:جاز فعله شرعًا." [2].

ويتضح المغزى من هذه المسألة والسبب وراء اختلاف اللفظتين أكثر بما قاله أبو مسلم حاكيًا عن الخطيب عندما قال " إنما جاء المعروف الأول معرَّف اللفظ لأن المعنى: بالوجه المعروف من الشر لهن، وهو الوجه الذي دل الله عليه وأبانه، والثاني: كان وجهًا من الوجوه التي لهن أن يأتينه، فأخرج مخرج النكرة لذلك.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٤ /١٠١.

(٢) راجع البرهاني للكرماني ص ٨٦، والكشاف ص١٤٠.

كما أن ذلك يُفهم من صدر آية: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالمعروفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).أي: لا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهن فعلًا هو بأمر الله وهو ما أباحه لهن من التزويج بعد انقضاء العدة فصار المعروف هنا محددًا مشهورًا، وفي الآية الثانية تخييرٌ لهن بين أمرين مشروعين هما: القعود، والزواج. وهما مشروعان. فلم يكن المعروف الثاني إلا وجهًا من الوجوه المشروعة غير محدد، فلهذا خرج مخرج النكرة.

وفي نهاية القول: يتضح أنه كان هناك خياران في الآية الأولى وكلهما مشروعين والأخذ بهما معروف، وفي الآية الثانية أُخِذَ بخيار واحد من كلاهما وهو مشروع أيضًا فكن المعروف الثاني وجهًا من الوجوه المشروعة لكنه غير محدد، ولهذا خرج مخرج النكرة، والله اعلم.

مسألة رقم (مائة وثمانية وستون) قوله تعالى :"فاستعذ بالله إنه سميع عليم"، وفي حم السجدة :"إنه هو السميع العليم"، بلام التعريف.

يقول ابن جماعة أن آية الأعراف نزلت أولا، وآية السجدة نزلت ثانيا، فحسن التعريف أي: هو السميع العليم الذي تقدم ذكره أولا عند نزوغ الشيطان[1].

الآية(٢٠٠)من سورة الأعراف: قال تعالى﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾.

الآية(٣٦) من سورة فصلت: قال تعالى﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

قال صاحب الدرة في الفرق بينهما ما نصه : قوله تعالى :وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم (٧:٢٠٠) وقال في سورة حم السجدة (فصلت) وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم

[1] كشف المعاني، ص١٨٩.

(٤١:٣٦) للسائل أن يسأل فيقول : لأي معنى جاء في الآية من سورة الأعراف " سميع عليم " على لفظ النكرة، وفي سورة حم السجدة معرفتين بالألف واللام مؤكدتين بـ "هو" ؟

(والجواب) أن يقال: إن الأول وقع في فاصلة ما قبلها من الفواصل أفعال جماعة أو أسماء مأخوذة من الأفعال من نحو قوله تعالى {الله عما يشركون} (٧:١٩) وبعده يخلقون، وينصرون، ويبصرون، والجاهلين، فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الأسماء المؤدية معنى الفعل أعني النكرة، وكأن المعنى :استعذ بالله إنه يسمع استعاذتك ويعلم استجارتك، والتي في سورة حم السجدة قبلها فواصل يسلك بها طريق الأسماء، وهي ما في قوله تعالى { ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم} :(٤١:٣٥:٣٤)(٣٥) فقوله { ولي حميم} ليس من الأسماء التي يراد بها الأفعال.

وكذلك قوله : إلا ذو حظ عظيم ليس في الحظ معنى فعل، فأخرج " سميع عليم " بعد الفواصل التي هي على سنن الأسماء على لفظ يبعد عن اللفظ الذي يؤدي معنى الفعل، فكأنه قال : إنه هو الذي لا يخفى عليه (ص٤٥٣) مسموع ولا معلوم، فليس القصد الإخبار عن الفعل كما كان في الأولى أنه يسمع الدعاء ويعلم الإخلاص، فهذا فرق ما بين المكانين اهـ. فتأمله فإنه دقيق جدا.

الآية في سورة فصلت متصلة بقوله قبلها: (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذينَ صبرُوا وما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حظٍّ عَظيم)(الآية٣٥)، فكان مؤكدًا بالتكرار والنفي والإثبات، فبالغ في قوله:(إِنَّهُ هُو السَّميعُ العَليمُ)، وذلك بزيادة (هو) وبالألف واللام، ولم يكن في آية الأعراف هذا النوع من الاتصال، فأتى على القياس: المخبر عنه معرفة، والخبر نكرة[١].

---

(١) انظر البرهان للكرماني، ٢٢٢/١.

مسألة رقم(ثلاثة وثمانون) قوله تعالى:(وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدْ اللهِ العَزِيزِ الحكيم) معرفا. وفي الأنفال:(مِنْ الأنفال: (مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزً حَكِيْمً) منونا؟

قال ابن جماعة "أن آية الأنفال نزلت في قتال بدر أو لا، وآية آل عمران نزلت في وقعة أحد ثانيا، فبين أولا: أن النصر من عنده لا بغيره من كثرة عَدَدٍ أو عُدَدٍ، ولذلك علله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره، وأحال في الثانية على الأولى بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند الله العزيز الحكيم الذي تقدم إعلامكم أن النصر من عنده، فناسب التعريف بعد التنكير[1].

الآية(١٢٦) من آل عمران﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

الآية(١٠) من الأنفال ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

أشار السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) قائلًا " وهنا جاء بالصفتين تابعتين في قوله: {العزيز الحكيم} وجاء بهما في جملةٍ مستأنفةٍ في الأنفال في قوله { إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الآية: ١٠] لأنه لمَّا خاطبهم هنا حَسُن تعجيلُ بِشارتهم بأنه عزيزٌ حكيم أي: لا يغالَبُ وأنَّ أفعالَه كلها متقنةٌ حكمةٌ وصوابٌ[2].

وسبق الخطيب الإسكافي(ت٤٢٠هـ) ابن جماعة في هذا قائلًا " القصدُ إعلام المخاطبين أن النصر ليس من قبل الملائكة، ولا من جهة العَدد والعُدّة وفضل القوة، ولكنه من عند القادر الذي لا يغلَب ولا يمنع عما يريد فِعله، والحكيم الذي يضع النصر موضعه.

والآية التي في الأنفال إنما هي في قصة يوم بدرٍ، وبيّن الله تعالى ذلك بلفظ { جعله} كالعلة لِكون النصر بيده، فكأنه قال في المعنى :النصر ليس إلّا من ند الله، لأنه العزيز الذي لا يمنع عمّا يريد فِعله، الحكيم الذي يضع النصر في موضعه،

---

(١) كشف المعاني، ص١٣٣.

(٢) انظر. الدر المصون ٣/٣٩٠.

ففصّل ذلك في خبرين على الأصل الواجب في توفية كلِّ معنىً حقّه من البيان، والآية التي في سورة آل عمران هي في قصة يوم أحد، وهي بعد يوم بدرٍ.

وكان هذا البيان قد جعل خبرًا عن النصر في اليوم الأول، فاقتصر – مِن ذكر مثله- في اليوم الثاني على خبرٍ واحدٍ، يجري عليه معنى الخبرِ الثاني مَجرى الوصف؛ لاختصار المعنى عن البسط؛ اعتمادًا على ما فُصِّل في الخبر الأول، فكان الاختصار بالثاني أليق، وكان الثاني له أجمل، فخصّ كل موضع بما رأيتَ لِما ذكرتُ " [1] ويتبيّن ممّا سبق ذكره أن ابن جماعة تأثر بالخطيب قبله، ولكنه اختصر كلامه اختصارًا شديدًا، مما قد يجعله مبهمًا بعض الشيء.

مسألة رقم(مئتان وخمسة وتسعون): قوله تعالى:(فبعدًا للقوم الظالمين " معرفًا، وقال بعده : " فبعدًا لقومٍ لا يؤمنون" منكرًا؟.

يعلل ابن جماعة أن القرن الأول معروف أنهم قوم هود لقوله تعالى:}مِنْ بعدهم قرنًا{، وأول قرن بعد نوح:قوم هود، وقوله تعالى: { قرونا آخرين} غير معروفين بأعيانهم فجاء بلفظ التنكير بقوله تعالى : (لقوم لا يؤمنون)لأن عدم الإيمان هي الصفة العامة لجميعهم[2].

الآية(٤١)من سورة المؤمنين: قال تعالى﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾.

الآية(٤٤)من سورة المؤمنين: قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾.

بدايةً التنكير هنا معنوي وليس تنكير لفظي، وتوضيحًا لكلام ابن جماعة-رحمه الله – فإن آية المؤمنين في قوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصِّيْحَةُ بِالحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا

(١) انظر درة التنزيل ١ /٣٩٣.

(٢) انظر كشف المعاني، ص٢٦٧.

لِلقَوْمِ الظَّلِمِينَ)، جاء قوله (لِلقَوْمِ الظَّلِمِينَ)معرَّفًا لأنه لقوم صالح فَعَرَّفَهُم بدليل قوله(فَأَخَذَتۡهُمُ الصِّيْحَةُ).

أَتْبَعَهُا قوله تعالى (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ)، وقوله(قرونًا) يقصد به قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما بني إسرائيل، أي أنهم غير محددين بعينهم لذلك جاءت الآية الثانية بعدها نكرة في قوله(لِقَوْمٍ لا يؤْمِنونَ)، وجاءت بلفظ (لايؤمنون خصيصًا لأن الكفر صفة عامة لجميعهم[1].

---

(1) انظر الكشاف ص٧٠٨، والبرهان للكرماني١٤٨.

الفصل الثاني

" اختلاف دلالة الحروف"

المبحث الأول : اختلاف دلالة حروف العطف.

المبحث الثاني: اختلاف دلالة حروف الجر.

الحروف في كلام العرب على نوعين، حروف المباني، وهي التي يقوم على أساسها بناء الكلمة، وهي الحروف الهجائية، وسميت بذلك لأن منها بناء الكلمة، وحروف المعاني وهي عبارة عن حروف تجري في كلام العرب، وتعطي دلالات مختلفة، فمنها مايفيد العطف، ومنها ما يفيد الجر، ومنها يفيد النفي، وكذلك الشرط وهكذا[١]، ولكل من النوعين أهميته.

وعن أهمية هذا الموضوع يقول الشيخ العلامة محمود شاكر في مقدمة كتاب الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة(ت١٤٠٤):(وحروف المعاني التي يتناولها هذا القسم الأول من جمهرة علم القرآن العظيم، أصعب أبواب هذه الجمهرة:لكثرتها، وتداخل معانيهان فقلّ ان تخلو آية من القرآن العظيم من حرف من حروف المعاني.

أما المشقة العظيمة، فهي في وجوه اختلاف مواقع هذه الحروف من جمل، ثم اختلاف معانيها باختلاف مواقعها، ثم ملاحظة الفروق الدقيقة التي يقتضيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثرة في معاني الآيات، وهذا وحده أساس علم جليل من علوم القرآن العظيم) [٢].

وحديثي في هذا الفصل عن حروف المعاني التي لها صلة وثيقة بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فآيات كثيرة من المتشابه لافرق بينها إلا في حروف المعاني، كحروف العطف أو الجر...وهذه الحروف يُفْهَم بها المعنى المراد، ويدرك بها ما في اللغة من روعة وبيان، وجمال في العبارة والأسلوب.

وقد كان اهتمام النحويين بهذه الحروف واضحًا، فقد أفردوا لها مؤلفات خاصة، لما لها من أثر في دلالة الكلام وربط أجزائه ووضوح معناه، ومن أبرز

(١) انظر: حروف المعاني للدكتور: عبد الحي حسن كمال: ١٩، ٢٥.
(٢) مقدمة (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) القسم الأول/ الجزء الأول للشيخ محمد عضيمة.

المؤلفين: الزجاجي(ت٣٤٠) [١]، والرماني(ت٣٨٦) [٢]، والهروي(ت٤١٥) [٣]، والمرادي(ت٧٤٩) [٤].

أما البلاغيون فلم يصل اهتمامهم بهذه الحروف إلى أن يفردوا لها دراسات مستقلة، كما صنع علما النحو، وأمر آخر يجب التنبيه عليه وهو أن ماذكروه من مسائل يعد من باب الحديث العرضي الذي يمليه المقام، ومن أراد العاملة بين النحويين والبلاغيين، وأخرجه في كتابين قيّمين، ومما يشار إليه في هذا المقام كتاب الدكتور محمد الأمين الخضري(من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم)، اعتنى فيه المؤلف بدراسة أنواع حروف الجر في كتاب الله تعالى[٥].

وإذا نظرت إلى جهد علماء المتشابه في هذا الموضوع وجدت لهم وقفات وتأملات في غاية الأهمية، حيث تظهر أسرار الإعجاز القرآني في أعلى صورها، وقد كان لحروف العطف النصيب الأوفر، فأغلب الآيات المتشابهة التي تحدثوا عنها يكون الإختلاف فيها لحرف العطف،يأتي بعد ذلك حروف الجر، ثم تأتي حروف أخرى نذكرها في موضعها، والآيات التي سأتحدث عنها تمثل كل ما جاء في كتاب الله تعالى من المتشابه في هذا الموضوع، ولقد أثاب ابن جماعة – رحمة الله- في الحديث عن المراد من اختلاف الحروف في كثير من آي القرآن.

أولًا: (حرفا التنفيس "السين وسوف"):

مسألة(مائة وأربعة وأربعون) قوله تعالى:(فسوف يأتيهم أبناءُ)، وفي الشعراء :(فسيأتيهم)؟

يقول ابن جماعة " مع قصد التنويع في الفصاحة، فإن المراد بآية الأنعام الدلالة على نبوة النبي من الآيات والمعجزات.

(١) انظر: كتاب: حروف المعاني للزجاجي، تحقيق: د. علي الحمد.
(٢) انظر: كتاب: معاني الحروف للرماني، تحقيق: د. عبد الفتاح سبكي.
(٣) انظر: كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي.
(٤) انظر: كتاب: الجني الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: د. فخر قباوة، ومحمد فاضل.
(٥) صادق عبدالله محمد الشثري: "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة بلاغية"(رسالة دكتوراه).

والمراد "بالحق": القرآن، ولكن لم يصرح به، وفي الشعراء صرح بالقرآن بقوله: (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن) فعلم أن المراد بالحق: (القرآن)، فناسب: (فسيأتيهم) تعظيمًا لشأن القرآن، لأن السين أقرب من سوف"[١].

الآية(٦)الشعراء: قال تعالى مُعْرِضِينَ ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾

الآية (٥)الأنعام: قال تعالى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾

بدايةً تدل صيغة (يَفْعَل) على الاستقبال القريب، وتعتمد هذه الصيغة على استخدام الفعل المضارع مقترنًا ب(حرف السين) مُشَكِّلًا صيغة (سَيَفْعَل)" [٢]، " وحرف السين إضافة إلى (سوف) حرف تنفيس، وهو يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال وينزل منه منزلة الجزء، ولهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به، ومعنى قول المعربين فيها (حرف تنفيس) حرف توسيع، وذلك أنها تنقل المضارع من الزمن الضيق – وهو الحال- إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال"[٣].، وكلاهما لا يدخل إلا على المضارع المثبت، ويكون وضعهما لتخليص المصارع من الحال إلى الاستقبال، فالفعل "يأتيهم" مضارعًا في اللفظ، مستقبلًا في الزمن.

وقد جاء في الصاحبي أن " سَوْفَ تكون للتأخير والتنفيس والأناةَ"[٤].

يقول ابن هشام عن حرف السين " وليس مقتطعًا من " سوف " خلافًا للكوفيين، ولا مُدَّةُ الاستقبال معه أَضْيَقُ منها مع " سوف " خلافا للبصريين، ومعنى قول المعربين فيها " حرف تنفيس " حرْف توسيع؛ وذلك أنها نقلت المضارع من الزمن الضيِّق – وهو الحال- إلى الزمن الواسع، وهو الاستقبال، وأوضح من عبارتهم قولُ الزمخشري وغيره : "حرف استقبال.

---

(١) كشف المعاني، ص١٧٤.

(٢) انظر اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص ٢٤٥.

(٣) مغني اللبيب: ١٨٤/١.

(٤) ابن فارسي ص١١١.

وزعم بعضهم أنها قد تأتي للاستمرار لا للاستقبال، ذكر ذلك في قوله تعالى: {سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ}، واستدل عليه بقوله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ } مُدَّعيًا أن ذلك إنما نَزَّل بعد قولهم : { مَا وَلَّاهُمْ }، قال: "فجاءت السين إعلامًا بالاستمرار لا بالاستقبال"[1].

يقول السيوطي: أن " (السين وسوف) كلاهما (للتنفيس) أي تخليص المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمان الواسع، وهو الاستقبال، (قال البصرية : وزمانه مع السين أضْيق) منه (مع سوف) نظرًا إلى أن كثرة الحروف تفيد مبالغةً في المعنى.

والكوفيون أنكروا ذلك. وردة ابن مالك تبعًا منهما على المعنى الواحد في الوقت الواحد، قال تعالى : (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء : ١٤٦]، (أُوْلَائِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) [النّساء : ١٦٢]........قال الشاعر:

وما حالةٌ إلاَّ سَيُصْرَفُ حالُها إلى حالةٍ أخْرى، وسوف تَزولُ[2].

وبالقياس على الماضي، فإنّ الماضي والمستقبل متقابلان، فكما أن الماضي لا يُقْصَدُ به إلا مطلق المُضِيّ دون تعرّض لِقُرْبٍ أو بُعْد فكذلك المستقبل. (قلت) وهو ممنوع، فإن الماضي أيضًا فرّقوا فيه، وقالوا : إن "قد " تقربه من الحال.

(قيل : والاستمرار) ذكره بعضهم في (سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ) [البقرة :١٤٢]، مُدّعِيًا أنْ ذلك إنما نزل بعد قوله : (مَاوَلَّاهُم) "البقرة:١٤٢" فجاءت السين إعلامًا بالاستمرار، لا بالاستقبال، (وتختص سوف خلافًا للسيرافيّ بدخول اللام) نحو : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ) [االضحى : ٥]، (و) : بجواز (فَصْلِها بالفعل مُلْغّى) نحو : (البحر:الوافر)

(١) مغني اللبيب١/٣٤٣،٣٤٢.

(٢) تخريج البيت: الشاهد: البيت للثكل برشد طريف بن أبي وهب العبسى، قصيدة يرثي ابنه، تعاقب السين وسوف على المعنى الواحد في هذا البيت، ممَّا يدلُّ عندهم على أنَّ السين مقتطعة من سوف.

١٣٤٧- وما أدْرِي وسوف إخَالُ أدْرِي***................................[1].

والأمران مُمْتنعان في السين، وجّزهما السّيرافيّ فيها أيْضًا، (وسَوْ) بحذف الفاء (وسِي) بحذفها، وقلْب الواو ياء مبالغة في التخفيف، (وسف): بحذف الوَسَط (لغات) حكاها الكوفيّون قال الشاعر:

١٣٤٨- فإن أهْلِك فَسَوْ تَجِدون فَقْدِي ***................................[2].

(وقيل) : إنَّ هذا الحذف بوجوهه (ضرورةٌ) خاص بالشعر لا لغة، (وليس السّين مقتطعةً منها) أي من سوف، بل هي أصلٌ برأسها (على الأصَحّ)، لأن الأصل عدم الاقتطاع، وقيل : إنّها فَرعُها، ومقتطعة منها، ورَجّحهُ ابن مالك، ورُدَّ بأنها لو كانت فرعصا لها لساوَتْها في المُدَّة، ولكانت أقلّ استعمالًا منها. وأجيب عن الأول بالتزامه كما تقدّم، وعن الثّاني بأنْ الفَرْعَ قد يفوق الأصل : كنَعْم، وبِئْس فإنّهما فَرْعًا محرّك العين، وهما أكثر اسْتعمالًا"[3].

يقول الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

" يقول تعالى ذكره: فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله، وأعرضوا عنه ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول: فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون منه، وذلك وعيد من الله لهم أنه محلّ بهم عقابه على تماديهم في كفرهم، وتمرّدهم على ربهم".

ترجيح الآراء: واختار ابن هشام الأنصاري رحمه الله مصطلحَ الاستقبال: لأنَّه يَنقل المضارع من الزمن الضيِّق، وهو الحال، إلى الزَّمن الواسع، وهو الاستقبال،

(١) تخريج البيت: شطر البيت لزهير بن ربيعة الملقب بأبي سُلمى وعجزه:............ أقوم آل حصن أم نساء
يقول: ما أدري أرجال آل حصن أم نساء، والقوم: الرجال دون النساء، ثم قال: وسوف أخال أدري: أي سأبحث عن حقيقة أمرهم حتى أتبينها، وإنما يهزأ بهم ويتوعدهم، وآل حصن هؤلاء حي من كلب، هجاهم زهير لأنهم أهانوا جوار رجل من غطفان نزل بجوارهم، وكان زهير نزالًا في غطفان.

(٢) تخريج البيت: صدر بيت من الوافر، وعجزه: وإن أسلم يطب لكم المعاش، البيت لعدي بن زيد، والشاهد «سو» بحذف الفاء لغة في «سوف». [الهمع/ ٢/ ٧٢، والدرر/ ٢/ ٨٩]

(٣) همع الهوامع ٤٩٢/٢.

ولعلَّ التعبير بالاستقبال أوضح عند صاحب المغني من التعبير بالتَّنفيس؛ لأنَّ فيه إحالة مباشرة على معنى الاستقبال الذي تُؤدِّيه كلٌّ من السين و"سوف". قال رحمه الله: "قولهم في السين وسوف: حرف تنفيس، والأحسن منه: حرف استقبال؛ لأنَّه أوضح...، وهو تعبيرٌ عزاه ابن هشام إلى الزمخشري، بينما ذهب الشيخ الدماميني في شرحه للمغني إلى أنَّ النُّحاة في إطلاقهم هذه التسمية إنَّما اقتدوا بإمام النحاة سيبويه، وذكر ابن خالويه أنَّ معناهما - أي: السين وسوف - تأكيد الاستقبال

ذهب البصريُّون وابن هشام إلى أنَّ السين ليست مُقتطعة من "سوف"، بل هي حرف مستقلٌّ، فكلٌّ من السين وسوف أصل قائم بنفسه، في حين ذهب الكوفيون إلى أنَّها مقتطعة من "سوف" ومحذوفة منها؛ وذلك لمَّا رأوا أنَّها تدل على ما تدل عليه "سوف" من التخليص للاستقبال، وأنَّها كبعض لفظها.

وإذا كان ابن هشام قد سار على نهج البصريين في القول بأصالَة السين: فإنَّه خالفَهم في قولهم بتفاوت مدَّة التسويف بينهما، فليست مدَّة الاستقبال مع السين أضيق منها مع "سوف"

يتبين مما سبق أن ابن جماعة كان دقيقا في وصفه بأن السين أقرب من سوف، وذلك ما ذهب إليه (ابن هشام) عندما قال بأنها قد تأتي للاستمرار لا للاستقبال، ويوافقه (السيوطي) ايضا عندما قال " وبالقياس على الماضي، فإن الماضي والمستقبل متقابلان، فكما أن الماضي لا يُقْصَد به إلا مطلق المُضِيّ دون تعرض لِقُرْبٍ أو بُعْد فكذلك المستقبل. (قلت) وهو ممنوع، فإن الماضي أيضًا فرّقوا فيه، وقالوا: إن "قد" تقربه من الحال.

المبحث الأول: اختلاف دلالة حروف العطف:

أولا: (الواو والفاء):

تُعد الآيات المتشابهة التي ورد الاختلاف فيها بين الواو والفاء أكثر من غيرها سواء في حروف العطف نفسها، أوحروف الجر، أو الحروف الأخرى التي سنذكرها في آخر الفصل، ولهذا بدأنا بها لكثرتها وعزارتها.

مسألة (مئتان وتسعة وثمانون)قوله تعالى:(فكأين من قرية أهلكناها)- ص٩٠ بالفاء وقال تعالى: (أهلكناها) ثم قال: (وكأيّ من قرية أمليت لها) بالواو: وقال: (أمليت لها)؟.

وقال ابن جماعة "أن "الفاء" في الأولى: بدل من قوله تعالى: (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرْ) فهو كالتفسير للنكرة، و"الواو" في الثانية: عطف على الجمل قبلها، ولمّا قال قبل الأولى: فأمليت للكافرين، ثم أغنى ذكر الإملاء فيما بعد، ولأن الإهلاك هو كان بعد الإملاء المذكور.

ولمّا تقدّم في الثانية: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ) ناسب (أَمْلَيْتُ لها) أي لم أعجل عليهم عند استعجالهم العذاب."[١].

الآية (٤٥) من سورة الحج: قال تعالى﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾.

الآية (٤٨) من سورة الحج: قال تعالى﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴿٤٨﴾﴾.

وقد قال ابن حيَّان "وأمَّا (كَأَيِّن) فَزَعَمُوا: أنها مركبة من كافِ التشبيه، ومن (أَيِّ) قيل الاستفهامية، وَحُكِيتُ فصارت كيزيد مُسمَّى بِهِ، يُحْكَى، وَيُحْكَمُ على موضعه بالإعراب، وقال ابن عصفور: الكاف فيها زائدة لا تتعلق بشئ وأجاز ابن

---

[١] انظر. كشف المعاني، ص ٢٦٣.

خروف: أن تكون مركبة من كاف التي هي اسم، ومن (أَين) اسم على وزن فَيْعِل، وَلَمْ يُسْتَعْمَلَ هذا الاسم مفردًا بل مركبًا مع كاف التشبيه،

وهومبني على السكون من حيث اسْتُعْمِلَ في معنى (كَمْ)، وقال بَعْضُ أصحابنا: ويحتمل أن تكونَ بسيطة، انتهى. وهذا الذي كنت أَذْهَبُ إليه قبل أَنْ أُقفَ على قول هذا القائل.

(وَكَأَيِّن) الذي يَظْهَرُ من استعمال كلام العرب أَنَّها خبرية، تَدُلُّ على التكثير، وتميزها يكثُرُ جره بِمِنْ قال الله تعالى: (وَكَأَيِّن مِن نَّبِيِّ) (وَكَأَيِّن من قَرْيَةٍ)....." [1].

قال ابن فارس " "كَأَيِّنْ" يكون بمعنى "كَمْ" قال الله جلَّ ثناؤه: (وكَأَيِّنْ من قَرْية عَتَتْ عن أمرِ ربّها. وفيها لغتان: " كَأَيِّنْ" بالهمز والتشديد. و "كَأْيِنْ" وقد قُرئ بهما، قال الشاعر:

وكأْيِنْ أرينا الموتَ من ذي تحيَّةٍ *** إذا ما ازدَرانا أو أصَرَّ لِمَأْثَمِ [2].

وسمعت بعض أهل العربية يقول: ما أعلم كلمةً يثبتُ فيها التنوين خطًّا غير هذه." [3].

" (كأين) اسم (ككمْ) في المعنى (مركّبٌ من كاف التشبيه و) أي الاستفهاميّة المنوَّنة، وحكيت. ولهذا جاز الوقف عليها بالنون، لأنّ التنوين لمّا دخل في التركيب أشبه النّون الأصليّة ولهذا رسم في المصحف نونًا. ومن وقف عليها بحذفه اعتبر حكمه في الأصل، وهو: الحذف في الوقف.

(وقيل): الكاف فيها هي (الزائدة). قال ابن عصفور: ألا ترى أنك لا تريد بها معنى تشبيه قال: وهي مع ذلك لازمة كلزوم "ما" الزّائدة في "لاسيما"، وغير متعلقة بشئ كسائر حروف الجرّ الزوائد، وأي مجرور بها.

---

(١) انظر. ارتشاف الضرب، ص٧٩٠.

(٢) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٢.

(٣) راجع. الصاحبي ص١١٧.

(وإفادتها للاستفهام نادر) والغالب وقوعها خبرية بمعنى: كثيرة نحو: (وَكَأَيِّن مِن دَآبَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا)(العنكبوت/٦٠)،.... (ومنْ ثَمَّ) أي من أجل أنَّ إفادتها للاستفهام نادرٌ(أنكره الجمهور) فقالو: لا تقع استفهاميّة البتة.

(ولا يخبر عنها) إذا وقعت مبتدأ(إلّا بجملة فعلية) مصدّرة بماض أو مضارع نحو: (وَكَأَيِّن مِن نَبِيٍ قُتِلَ)(آل عمران/١٤٦)، (وَكَأَين مِنْ ءَايَةٍ فشي السَّمَاواتِ وَالأرضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا)(يوسف/١٠٥).

تعقيب: المقصود بقول ابن جماعة في هذه المسألة " أن "الفاء" في قوله (فَكَأَيْنَ مِن قَرْيَةٍ)، هي بدل من قوله (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرْ)، وذلك في الآية التي قبلها في قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)، ففسَّر المقصود بالنكير.

ويقول ايضًا ولمَّا تقدَّم في الثانية أي في قوله تعالى (أَمْلَيْتُ لَهَا)، تقدَّمها قوله (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ) قبلها، ناسب قوله(وَكَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ المَصِيرُ)، أي لم اتعجل لهم بالعذاب عند استعجالهم له، والله أعلم.

"معنى كأين وكذا كمعنى الخبرية، ويقتضيان مميزا منصوبا، والأكثر جره بمن بعد كأيّن. وتنفرد من كذا بلزوم التصدير وانها قد يستفهم بها. وقد يقال كيْءٍ وكاءٍ وكأيٍ، وقد ورد كذا مفردا ومكرر بلا واو. وكنى بعضهم بالمفرد المميز بجمع عن ثلاثة وبابه، وبالمفرد المفسر بمفرد عن مائة وبابه، وبالمكرر دون عطف عن أحد وعشرين وبابه[1].

مسألة(مئتان واثنتان وتسعون) قوله تعالى: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الآيات، عطف الأولين بثم، والثلاثة الأخر بالفاء.

قال ابن جماعة "أن الإنسان: آدم، والمجعول: بنوه بعده، والمراد الجنس، لأن آدم عليه السلام لم يكن نطفة قط، ثم ذكر خلقه بعده من النطفة كما ذكر"[2].

---

(١) شرح التسهيل، ٢/٤٢٢.

(٢) انظر. كشف المعاني، ص٢٦٦.

الآيات من (١٢-١٧) سورة المؤمنون: قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

يقول ابن عصفور الإشبيلي" وأما "ثم" فللجمع والترتيب والمهلة. فإذا قلت : "قام زيدٌ ثمَّ عمروٌ". فالقائم أوّلًا "زيدٌ"، و "عمرٌو" بعده بمهلة. وزعم بعضهم أنَّها بمنزلة الواو لا تُرتب. واستدل على ذلك بقوله تعالى: (خَلَقكُم مِن نفسٍ واحدةٍ ثُمَّ جَعلَ منها زوجها) ومعلوم أنَّ جعل زوج آدم منه إنّما كان قَبلَ خَلقِنا؛ وبقوله تعالى: (ولقد خَلقناكُم ثُمَّ صوَّرناكم ثُمَّ قلنا للملائكة اسْجُدوا لآدَم). ومعلوم أنّ " أمرَ الملائكة بالسجودِ لآدَم إنَّما كان قبل خَلقِنا وتصويرِنا. فدلَّ ذلك على أن "ثُمَّ" بمنزلة الواو. ولا حجة في شيء من ذلك.

أما قوله تعالى: { ثُمَّ جَعلَ منها زوجَها }. فالفعل الذي هو "جَعَلَ" معطوف على ما في "واحدة" من معنى الفعل، كأنه قال: من نفس وحِّدتُ، أي: أفردَتْ، ثمَّ جَعَلَ منها زَوجها. ومعلوم أنَّ " جعَلَ زوجها منها" إنّما كان بعد إفرادها. وأما قوله تعالى: {ثم قلنا للملائكة اسجُدوا لآدام}.فمعطوف على " خلقناكم "، إلا أنَّ الكلام محمول على حذف مضاف لفهم المعنى، كأنه قال: ولقد خَلَقناكم ثُمَّ صوَّرنا أباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدام.

ومعلوم أنَّ أمر الملائكة بالسجود إنّما كان بعد خَلقه وتصويره. ومما يدلّ على فساد مذهبهم أنَّ "ثُمَّ" لو كانت بمنزلة الواو، لجاز: "اختصَم زيدٌ ثُمَّ عمرو"، كما يجوز : "اختصَمَ زيدٌ وعمروٌ"، بالواو. فامتناع ذلك دليل على أنها ليست بمنزلة الواو." [1].

---

(١) شرح جمل الزجاجي،١/١٨٥،١٨٤.

وأمّا عن الإتيان بالفاء في قوله تعالى﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ فقد قال ابن هشام " وقيل: تقع الفاءُ تارةً بمعنى " ثُمَّ "، فالفاءات في "فخلقنا العلقة"، وفي "فخلقنا المضغة"، وفي "فكسونا"، بمعنى "ثُمَّ"؛ لتراخي معطوفاتها، وتارة بمعنى الواو، كقوله:

.... *** بين الدَّخُول فَحَوْمَل [١].

وزعم الأصمعي أن الصواب روايته بالواو؛ لأنه لا يجوز "جلست بين زيد فعمرو"، وأجيب

بأن التقدير: بين مواضع الدَّخُول فمواضع حَوْمَلِ، كما يجوز "جلستُ بين العلماء فالزهاد"[٢].

وَأَوْضح ابن مالك الفرق بين الحرفين قائلًا:

وَالفَاء لِلتَرْتِيبِ بِاتِّصالِ *** وَ "ثُمَّ " لِلتَرْتِيبِ بِانفِصالِ

أي: تدلُّ الفاء على تَأَخُّرِ المعطوفِ عن المعطوفِ عليه مُتَّصِلًا به، و "ثم" على تأَخُّرِهِ عنه منفصلًا، أي: مُتَرَاخِيًا عنه، نحو: " جاء زيد فعمرو"، ومنه قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى)، و" جاء زيد ثم عمرو" ومنه قولُه تعالى: (وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ).

وأردف قائلًا :

وَاخْصُصْ بِفَاء عَطْفَ ما ليس صِلَهْ *** عَلَى الَّذِي اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصلة

---

(١) تخريج البيت: البيت لامريء القيس، وصدره ما أثبتُّه بين حاصرتين، وهو مطلع معلقته، وذكر الأصمعي أن الرواية: بين الدخول وحومل، والسقط: مثلث السين، وهو ما تساقط من الرمل، واللّوى: ما التوى من هذا الرمل، وسِقط اللوى: حيث يَسْتَرِقّ الرمل، والشاهد فيه: ما ذهب إليه الجرمي من أن الفاء لا تفيد الترتيب في البقاع ولا الامطار، فمراد الشاعر وقوع الفعل في تلك المواضع، وترتيب اللفظ واحدا بعد آخر بالفاء ترتيب لفظي، وانظر شرح الشواهد للبغدادي٤/٢١، وشرح السيوطي١/٤٦٣، والخزانة٤/٣٩٧، والعيني ٤/٤١٤، والجني الداني /٦٤، والكتاب٢/٢٩٨، أوضح المسالك٣/٤٠

(٢) مغني اللبيب،٢/ ٤٨٣.

اختصَّتِ الفاء بأنها تَعْطف مالا يَصْلُحُ أن يكون صلة – لخلوه عن ضمير الموصول- على مايصلح أن يكون صلة- لاشتماله على الضمير- نحو:"الذي يَطِيرُ فَيَغْضَبُ زَيْدٌ الذبَابُ"، ولو قلت:" ويغضب زيد" أو "ثم يغضب زيد" لم يجز؛ لأن الفاء تدل على السببية، فَاسْتُغْنِيَ بها عن الرابط، ولوقلت : "الذي يطيرُ ويغضبُ منه زَيْد الذبابُ" جاز : لأنك أَتَيْتَ بالضمير الرابط"[١].

يقول الصافي(١٣٧٦ هـ) يوجد في الآية تفاوت لحروف العطف فيقول " كلنا يعلم أن لكل حرف من حروف العطف معنى، مثال ذلك أنّ " ثُمّ " للتراخي، " والفاء" للتعقيب، و " أو" للتساوي، إلخ ولكن ثمة اعتبارات أخرى يجب أن ندركها، وأن نعطيها دورها في تقرير تلك الفوارق بين الحروف، من ذلك الاتصال الوثيق بين فترتي المعطوف والمعطوف عليه، وإن طالت مدة كل منهما.

ومن ذلك، الفارق العقلي بين ركني العطف، وإن تقاربت مدتهما، فالاستبعاد العقلي أنزل مدة العطف منزلة التراخي في الزمن، واستبدل حرف العطف الفاء بحرف العطف " ثم" ولهذا البحث لطائف واعتبارات دقيقة حرية بالدراسة لو كانت خطة الكتاب تسمح بذلك"[٢].

ويقول الشوكاني(ت١٢٥٠هـ): ومَعْنى ﴿ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أيْ أنَّهُ سُبْحانَهُ أحالَ النُّطْفَةَ البَيْضاءَ عَلَقَةً حَمْراءَ ﴿فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أيْ قِطْعَةَ لَحْمٍ غَيْرَ مُخَلَّقَةٍ ﴿فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظامًا﴾ أيْ جَعَلَها اللَّهُ سُبْحانَهُ مُتَصَلِّبَةً لِتَكُونَ عَمُودًا لِلْبَدَنِ عَلى أشْكالٍ مَخْصُوصَةٍ ﴿فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْمًا﴾ أيْ أنْبَتَ اللَّهُ سُبْحانَهُ عَلى كُلِّ عَظْمٍ لَحْمًا عَلى المِقْدارِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ ويُناسِبُهُ ﴿ثُمَّ أنْشَأْناهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ أيْ نَفَخْنا فِيهِ الرُّوحَ بَعْدَ أنْ كانَ جَمادًا، وقِيلَ: أخْرَجْناهُ إلى الدُّنْيا، وقِيلَ: هو نَباتُ الشَّعْرِ، وقِيلَ: خُرُوجُ الأسْنانِ، وقِيلَ: تَكْمِيلُ القُوى المَخْلُوقَةِ فِيهِ، ولا مانِعَ مِن إرادَةِ الجَمِيعِ،

---

(١) شرح ابن عقيل ٢٢٨/٣.

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه،١٦٣/٩.

والمَجِيءُ بِثُمَّ لِكَمالِ التَّفاوُتِ بَيْنَ الخَلْقَيْنِ ﴿فَتَبارَكَ اللَّهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ﴾ أيِ اسْتَحَقَّ التَّعْظِيمَ والثَّناءَ..." [١].

يقول محيي الدين درويش (١٤٠٣ هـ) المخالفة في حروف العطف: في حروف العطف المتتابعة في هذه الآيات أسرار لطيفة المأخذ دقيقة المعنى، فقد ذكر تعالى تفاصيل حال المخلوق في تنقله فبدأ بالخلق الاول وهو خلق آدم من طين، ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي وحيث صار إلى التقدير الذي يتبع بعضه بعضا من غير تراخ عطفه بالفاء، ولما انتهى إلى جعله ذكرا أو أنثى وهو آخر الخلق عطفه بثم، ونحن نعلم أن الزمن الذي تصير فيه النطفة علقة طويل ولكن الحالتين متصلتان فأحيانا ينظر إلى طول الزمان فيعطف بثم وأحيانا ينظر إلى اتصال الحالين ثانيهما بأولهما من غير فاصل بينهما بغيرهما فيعطف بالفاء، ومثل هذا تزوج محمد فولد له.

وشيء آخر، وهو أن صيرورة التراب نطفة أمر مستبعد في ظاهر الحال ومثل ذلك صيرورة النطفة علقة لاختلاف إحداهما عن الاخرى اختلافا ظاهرا ولكن صيرورة العلقة مضغة لا غرابة فيه لتقاربهما فلهذا الوجه عطف في قوله تعالى »يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ «بثم، وفي الآية التي نحن بصددها لوحظت أطوار الخلق وتباعد الأوقات بين كل طورين. وفي حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ما خلاصته: اختلاف العواطف بالفاء وثم لتفاوت الاستحالات يعني ان بعضها مستبعد حصوله مما قبله وهو المعطوف بثم فجعل الاستبعاد عقلا أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي لأن حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جدا وكذا جعل النطفة البيضاء ماء أحمر بخلاف جعل الدم لحما مشابها له في اللون والصورة وكذا تصليبها حتى تصير عظما لأنه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد وكذا مد لحم المضغة عليه

---

(١) انظر. فتح القدير، ص٩٧٩.

ليستره وذلك يقتضي عطف الجميع بثم إن نظر لآخر المدة وأولها، ويقتضي العطف بالفاء ان نظر لآخرها فقط[1].

الخلاصة: يُريد ابن جماعة أن يقول بأن ما قبل "ثُمَّ"، ليس من جنس ما بعدَها وذلك على العكس من الآيات الثلاثة التي بعدها التي عطفها بالفاء لتجانسها، حيث يقصد بالإنسان (آدم عليه السلام) فهي تفيد التراخي، وما عطف بالفاء يقصد به الخلق الذين يأتون بعده وهذا ما يؤكده (ابن عصفور)، و (ابن هشام) وغيره من العلماء ممن سبق ذكرهم.

مسألة (ثلاثمائة وسبعة وأربعون) قوله تعالى:(أولم يهد) بالواو، و(مِنْ قَبْلِهِم) وفي طه "بالفاء".

ذكر ابن جماعة "أن آية طه جاءت بعد ذكر موسى وفرعون، والسامري وهلاكهم، وذكر آدم وحواء، فناسب"قبل" العامة لما تقدم من الزمان، وآية السجدة: خالية من ذللك، فأتى بـ(مِنْ)المقربة للزمان[2].

الآية(٢٦) من سورة السجدة، قوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾.

الآية(١٢٨) من سورة طه، قوله تعالى﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾.

إعراب الآية الأولى: ﴿أَ﴾ استفهامية، ﴿وَ﴾ حرف زائد، ﴿لَمْ﴾ حرف نفي، ﴿يَهْدِ﴾ فعل مضارع من الثلاثي مجرد، من مادّة)هدي(، غائب، مذكر، مفرد، مجزوم .﴿لَ﴾ حرف جر، ﴿هُمْ﴾ ضمير، غائب، مذكر، جمع، ﴿كَمْ﴾ اسم منصوب.

﴿أَهْلَكْ﴾ فعل ماض مزيد الرباعي باب (أَفْعَلَ)، من مادّة)هلك(، متكلم،جمع، ﴿نَا﴾ ضمير، متكلم، جمع﴿مِن﴾ حرف جر﴿قَبْلِ﴾ اسم، من مادّة) قبل(، مجرور،

(١) إعراب القرآن وبيانه

(٢) كشف المعاني، ص٣٠٠.

﴿هِم﴾ ضمير، غائب، مذكر، جمع، ﴿مِّنَ﴾ حرف جر، ﴿آلْ﴾، ﴿قُرُونِ﴾ اسم، من مادّة (قرن)، مذكر، جمع، مجرور.

إعراب الآية الثاني: ﴿أَفَلَمْ﴾ الهمزة للاستفهام التوبيخي والفاء حرف عطف ولم حرف جازم ﴿يَهْدِ﴾ مضارع مجزوم بلم وفاعله المصدر المفهوم من أهلكنا ﴿لَهُمْ﴾ متعلقان بيهد ﴿كَمْ﴾ هي الخبرية في محل نصب مفعول به مقدم لأهلكنا ﴿أَهْلَكْنا﴾ ماض وفاعله ﴿قَبْلَهُمْ﴾ ظرف زمان والهاء مضاف إليه وجملة ﴿أَهْلَكْنا﴾ يجوز إعرابها فاعلا ليهد ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ متعلقان بصفة لتمييز محذوف لكم الخبرية.

عندما ننظر في آيات السجدة نجد قوله عز وجل ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾.

كلها عطف لكن لأنه جاءت الهمزة وفيها معنى هذا الإنكار عليهم إنهم لم يستعملوا عقولهم، لم يهتدوا، لم ينظروا فيم أهدي إليهم من معانٍ فجاء العطف.

أما عندما ننظر في سورة طه (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (١٢٨)، (طه) قصة عن الآخرة نقلها القرآن إلى الواقع الحالي كأنها وقعت لأن المستقبل في عين الله سبحانه وتعالى ماضي. نجد (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٧)

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (١٢٨).

بناء على كل هذا لأن الفاء للترتيب ترتب شيئاً على شيء، هي للعطف أيضاً لكنها تفيد الترتيب والمباشرة عندما تقول: جاء زيد فخالد أي جاء مباشرة بعده وترتب مجيء هذا على مجيء هذا. فيها معنى الترتيب أي بعد كل هذا الكلام (أفلم يهد لهم) الفاء مرتّبة وفيها شيء من التعليل أيضاً كأنها تبيّن عِلّة ما بعدها أنه هذا الذي ذكرناه ألا يكون مُذكِّراً لكم؟ ينبني على هذا الذي قلناه ما نقوله الآن. أفلم فيها معنى العطف لكن الدلالة فيها إضافة. الفاء فيها معنى العطف وإضافة الترتيب أما الواو فلا تقتضي ترتيباً وإنما مجرد عطف. تقول مثلاً: جاء زيد وخالد ممكن أن يكونا جاءا سوية معاً أو يكون خالد جاء قبل زيد المهم جاء فلان وفلان، تقول سأل عنك فلان وفلان قد يكونا سألا سوية أو كل واحد لوحده تحتمل الاثنين. أما الفاء فهي للترتيب تقول: سأل عنك زيد فخالد، أي سأل زيد وبعد ذلك بقليل سأل خالد. كذلك الفرق بين الفاء و(ثم)، يقولون (ثم) للتراخي والترتيب. أما الفاء فترتيب مباشر والواو ليس فيها ترتيب.

الترتيب في سورة طه مقصود لذاته: الفاء في سورة طه لأنه ينبني على ذلك، يترتب على هذا الكلام، تقول فلان قال كذا وقال فلان كذا فيكون كذا وكذا يعني ينبني على هذه الأقوال هذا الشيء أنت تبني شيئاً على ما قبله، الآن نقول يترتب على هذا إجراء هذا الأمر كذا وكذا أي ينبني عليه. فالفاء هنا ترتيب على هذا المثال الذي ذكرناه، هذا لا يحرك مشاعركم بحيث تهتدون وبحيث تنظرون نظراً في القلب.

إن المراد بالفاء هنا الترتيب كما في همع الهوامع " (وتختصّ) الفاء (بعطف مفصَّل على مُجْمل) كالأمثلة السابقة في الترتيب الذّكريّ، (و) بعطف (جملة شرطها العائد، خلت منه) صفة أو صلة، أو خبرًا لما فيهامن الرّبط حو : "الذي يطيرُ، فيَغْضَبُ زيدٌ الذباب"، " مررت برجل يَبكي فيَضحَك عمرو، خالد يقوم فيقعد عمرو". (قيل : وترد للغاية) بمعنى إلى، وجعل منه قوله[1]:

---

(١) انظر. همع الهوامع ١٦٢/٣.

.... *** بين الدّخول فحومل

يقول ابن هشام " والثاني من أَوْجُه الفاء: أن تكون رابطة للجواب، وذلك حيث لا يصلح لأن يكون شرطًا، وهو منحصرٌ في ست مسائل: منها " أن تقترن بحرف له الصدر[1]، كقوله:

فإن أهلِك فَذي خَنَقٍ لظاه عليَّ يكاد يلتهبُ التهابًا[2].

وعلّل الألوسي أنّ المراد من الآية الأولى " ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الهَمْزَةُ لِلْإنْكارِ، والواوُ لِلْعَطْفِ عَلى مَنَوِيٍّ يَقْتَضِيهِ المَقامُ، ويُناسِبُ المَعْطُوفَ مَعْنًى عَلى ما اخْتارَهُ غَيْرُواحِدٍ، وفِعْلُ الهِدايَةِ إمّا مِن قَبِيلِ: فُلانٌ يُعْطِي، في أنَّ المُرادَ إيقاعُ نَفْسِ الفِعْلِ بِلا مُلاحَظَةِ المَفْعُولِ، وإمّا بِمَعْنى التَّبْيِينِ، والمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ، والفاعِلُ ضَمِيرٌ عائِدٌ إلى ما في الذِّهْنِ، ويُفَسِّرُهُ قَوْلُهُ تَعالى :﴿كَمْ أهْلَكْنا مِن قَبْلِهِمْ مِن القُرُونِ﴾ وكَمْ في مَحَلِّ نَصْبٍ (بِأهْلَكْنا) أيْ أغفَلُوا، ولَمْ يَفْعَلِ الهِدايَةَ لَهُمْ، أوْ ولَمْ يُبَيِّنْ لَهم مَآلَ أمْرِهِمْ أوْ طَرِيقَ الحَقِّ كَثْرَةُ مَن أهْلَكْنا، أوْ كَثْرَةُ إهْلاكِ مَن أهْلَكْنا مِنَ القُرُونِ الماضِيَةِ مِثْلِ عادٍ، وثَمُودَ، وقَوْمِ لُوطٍ "[3].

تعقيب: أرَدَ ابن جماعة أنَّ آية طه جاءت بالفاء من غير"مِن"، ذلك لأن الفاء للتعقيب والاتصال بالأول، فطال الكلام بعدها، فحسن الحذف، بينما في آية السجدة جاءت بـ"الواو"، وبعده "مِن"، لأن الواو تدل على الاستئناف، أي لم يكون هناك اتصال بالأول، ولا إطالة في الكلام لذلك كان إثباتها في آية طه مستثقل.

مسألة رقم (مئتان واثنتان وخمسون) قوله تعالى (فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه) وقال في السجدة (ثم أعرض عنها) هنا بالفاء (وثم) "بثم" ؟

---

(١) انظر. مغني اللبيب ٤٨٩/٢.

(٢) البيت لربيعة ابن مقزوم الضبي، ديوان الحماسة آخر بيت في شرح المرزوقي ٥٤٥/١.

(٣) انظر. روح المعاني ١١٥/٢١.

يقول ابن جماعة " الإعراض: إما مصادمة ورد بالصدر من غير مهلة، وإما أن يكون عن مهلة ورويّة، فلما تقدم في الكهف: (وَيُجَادِلُ الذينَ كَفَرُوا بِالبَاطِلِ)، ناسب ذلك "الفاء" المؤذنة بالتعقيب بالإعراض منهم عند مجادلتهم ودحضهم بالحق" ولم يتقدم مثل ذلك في السجدة، بل قال: (وَأَمَّا الذينَ فَسَقُوا) أي استمروا على فسقهم فناسب ذلك"ثمَّ" المؤذنة بالتراخي." [1].

الآية(٥٧)من سورة الكهف، قال تعالى﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾.

الآية (٢٢) من سورة السجدة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾.

في آية السجدة جاءت "ثّمَّ" في قوله (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ) للاستبعاد والمعنى: أنّ الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادًا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة:

لا يكشف الغمام إلا ابن حرّة *** يرى غمزات الموت ثم يزورها [2].

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدّتها[3]، حيث تقدَّم "ثُمَّ" قوله(ومن أظلم ممن ذُكِّرَ بآيات ربه ثُمَّ أعْرَضَ عَنْهَا)، فههنا تدل على الإعراض عقب التذكير وإعطائهم مهلة ورويّة وففي موضع استهزاء واستمرار لفسقهم قائلين: (ما أنتم إلا بشر مثلنا)، (ولو شاء الله لأنزل ملائكة)، وما أشبه ذلك.

---

(١) انظر. كشف المعاني، ص٢٤١.

(٢) البيت لجعفر ابْن علبة بِضَم فَسُكُون يَنْتَهِي نسبه إِلَى كَعْب بن الْحَارِث شَاعِر مقل غزل فَارس مَذْكُور فِي قومه، وَكَانَ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وَقتل فِي قصاص اخْتلف فِي سَببه النَّاس، ديوان الحماسة ص٣٢.

(٣) انظر الكشاف ص٨٤٥، والبرهان للكرماني.

لكن السياق مختلف في آية الكهف فالحديث هنا مستمر في الإبلاغ عن فسقهم وإعراضهم ولم يأتي من الآيات قبلها ما فعله أو ماحدث بالتحديدغير أنهم أعراض فحسب، فناسب "الفاء" المؤذنة بالتعقيب بالإعراض منهم عند مجادلتهم ودحضهم بالحق"، والله أعلم.

قد تأتي الفاء العاطفة وتفيد التعقيب يقول ابن هشام " الأمر الثاني: التعقيب، وهو في كل شيء بِحَسَبِه، ألا ترى أنه يقال: " تَزَوَّجَ فلانٌ فوُلِدَ لَهُ " إذا لم يكن بينهما إلا مُدَّةُ الحملِ، وإن كانت مُدَّة متطاولة، و "دخلتُ البصرةَ فبغدادَ " إذا لم تُقِمْ في البصرة ولا بين البلدين، وقال الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزلَ مِنَ السَّمآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً}، وقيل : الفاء في هذه الآية للسَّبيبة، وفاء السَّببية لا تستلزم التعقيب، بدليل صحة قولك : "إنْ يُسْلِمْ فهو يدخلُ الجنة "، ومعلومٌ ما بينهما من المُهْلَة "[1].

ويقول الإشموني " (وَالفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ بِاتِّصَالِ) أي بلا مُهلة، وهو المعبر عنه بالتعقيب، نحو: "أَمَاتَه فأَقْبَرَهُ " وكثيرًا ما تقتضي أيضًا التسبُّب إن كان المعطوفُ جملةً، نحو : "فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ، (وَثمَّ لِلترْتيبِ بِانفِصالِ) أي بمُهْلَةٍ وتراخٍ، نحو : "فَأقبَرَهُ ثمَّ إذا شَاءَ أَنْشَرَهُ " وَقَد توضع موضع الفاء كقوله[2] (البحر: المتقارب)

٨١٤ – كَهَزِّ الرُّدَيِنيِّ تَحْتَ العَجاجِ *** جَرَى في الأَنَابِيبِ ثمَّ اضْطَرَبْ "[3].

مسألة رقم (ثلاثمائة وأربعة وأربعون) قوله تعالى(كل يجري إلى أجل مسمى)، وفي فاطر والزمر: (كل يجري لأجل مسمى)؟

---

(١) مغنى اللبيب ٢/ ٤٨١.

(٢) شرح الأشموني ٢ /٤١٧.

(٣) البيت لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه ٢٩٢، وشرح التصريح٢/١٤٠، وشرح شواهد المغني٣٥٨، والمعاني الكبير١/٥٨، والمقاصد النحوية٤/ ١٣١، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٣/٣٦٣، والجنى الداني٤٣٧، وشرح الأشموني٢/٤١٧، وشرح عمدة الحافظ٦١٢، ومغني البيب١١٩.

يقول ابن جماعة: أنَّه لما تقدم هنا ذكر البعث والنشور بقوله تعالى: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ) الآية وبعدها: (وَاخْشَوْا يَوْمًا) ناسب مجئ (إِلَى) الدالة على انتهاء الغاية،لأن القيامة غاية جريان ذلك، وفاطر والزمر تقدمها ذكر نعم الله تعالى بما خلق لمصالح الخلق، فناسب المجئ "باللام" بمعنى: لأجل، والله أعلم[1].

الآية (٢٩) من سورة لقمان، قال تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾.

الآية (١٣) من سورة فاطر، قال تعالى ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾، وآيتان قبلها تتحدثان عن نعم الله.

وكذلك الآية (٥) من سورة الزمر، قوله تعالى﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾.

وكذا الآية (٢) من سورة الرعد، قال تعالى﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾.

علّل الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ذلك قائلًا " فإن قُلْتَ: يجري لأجل مسمى، ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين! قُلْتُ: كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن، ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأنّ قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه، وقولك: يجري لأجل مسمى تريد يجري لإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه(ذلك) الذي وصف من عجائب قدرته، وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون

(١) راجع كشف المعاني،ص٢٩٧.

فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته وأنّ من دونه باطل الإلهية(١).

وقد قال الأنصاري في مغني اللبيب عن اللام العامله للجر" فالعاملةُ للجر مكسورة مع كُل ظاهر، نحو:لِزيدٍ، ولعمروٍ، إلّا مع المستغاث المباشر ل "ياء" فمفتوحةٌ نحو "يااللّهِ"، وأمّا قراءة بعضهم "الحمد لله" بضمها فهو عارِض للإتباع، ومفتوحة، مع كلُ مضمرٍ نحو: لنا، ولكم، ولهم، إلا مع ياء المتكلم فمكسورة، وإذا قيل: "يالَك ويالي" احتما كُلٌّ منهما أن يكون مستغاثًا به، وأن يكون مستغاثًا من أجله، وقد أجازهما ابن جني في قوله:

فيا شوقُ ما أبقى، ويا لي من النوى

{ويا دمعُ ما أَجْرَى ويا قلبُ ما أَصْبَي} (٢).

وأَوْجَبَ ابنُ عصفور في "يا لي" أن يكون مستغاثًا من أجله؛ لأنه لو كان مستغاثًا به لكان التقدير: يا أدعو لي، وذلك غير جائز في غير باب "ظننت"، و"فقدت"، و"عدمت"، وهذا لازم له، لا لابن جني، لما سأذكره بَعْدُ"(٣).

ومن العرب من يفتح اللام الداخلة على الفعل، ويقرأ: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.

ولهذه اللام اثنان وعشرون معنى، والمعنى المراد الحديث عنه هنا هو (موافقة "إلى"): " نحو قوله تعالى: {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}، {كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى}، {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}"(٤).

---

(١) الكشاف، ص٨٤٠.

(٢) البيت للمتنبي. وقوله: (ويالي) يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون أراد اللام المكسورة التي تكون في المستغاث من أجله. كأنه قال: يا قوم أعجبوا لي من النوى. وقوله: (ما أجرى، وما أصبا، وما أبقى) كله على إرادة الكاف، كأنه أراد: ما أبقاك وما أجراك فحذف للعلم به.

(٣) الجمل لابن عصفور، ص١٤٩.

(٤) انظر. مغنى اللبيب ١٦٩/٢.

وأمّا قول الأنصاري عن "إلى" فيقول أن لها ثمانية معانٍ وفي قوله {كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}، فإنها جاءت بمعنى انتهاء الغاية الزمانية، والمعية، والتّبين، ومرادفة اللام، وموافقة في، والابتداء، وموافقة عند، والتوكيد، وانتهاء الغاية الزمانية نحو: {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِيامَ إِلَى الليلِ} والمكانية نحو: {مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَا}، وإذا دلّت قرينة على دخول ما بعدها نحو: "قرأت القرآن من أوله إلى آخره"، أو خروجه، نحو: { ثُمَّ أَتِمُّوا الصِيامَ إِلَى الليلِ}، ونحو:{فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} عُمشل بها، وإِلَّا فقيل: يدخل إنْ كان من الجنس، وقيل: مطلقًا، وقيل: لا يدخل مطلقًا، وهو الصحيح؛ لأنَّ الأكثر مع القرينة عدم الدخول؛ فيجب الحمل عليه عند الترد[١].

المسألةرقم (مئتان وثمانون) قوله تعالى(وأنا ربّكم فاعبدون وتقطعوا)، وفي المؤمنين:(فاتقون فتقطعوا)؟

قال ابن جماعة "وأمّا "الواو"، و"الفاء". فلأن ماقبل"الواو" لا يتعلق بما بعدها، وماقبل"الفاء" متعلق به ما بعدها لأن ذكر الرسل يقتضي التبليغ ولم يسمعوا، فكأنه قيل: بلَغهم الرسل دين الحق فتقطعوا أمرهم، ولذلك قيل هنا: (كُلٌ إليْنَا رَاجِعُوْنَ) [٢] اوفي المؤمنين: (كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِم) [٣] أي من الخلاف بينهم فرحون"[٤].

الآية(٩٢،٩٣) من سورة الانبياء، قال تعالى﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

الآية(٥٢،٥٣)من سورة المؤمنين،قال تعالى﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول سيبويه " اعلم أنّ الواو ينتصب ما بعدها في غير الواجب من حيث انتصب ما بعد الفاء، وأنها قد تُشرِك بين الأول والآخر كما تُشرِك الفاء، وأنَّها

---

(١) انظر. فتح الرحمن.
(٢) الآية ٩٣ الانبياء.
(٣) الآية ٥٣المؤمنون.
(٤) راجع. كشف المعاني ص٢٥٨

يُستقبَحَ فيها أن تُشرِك بين الأوّل والآخر كما تُشرِك الفاء، وأنَّها يُستقبَحَ فيها أن تُشرِك بين الأول والآخِر كما استُقبح ذلك في الفاء، وأنَّها يجيء ما بعدها مرتفعًا منقطِعا من الأوّل كما جاء ما بعد الفاء، واعلم أنّ الواو وإنْ جرت هذا المجرى فإنَّ معناها ومعنى الفاء مختلفان ألا ترى قول(البحر:البسيط)

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتِيَ مِثْلَهُ *** عارٌ عليك إذا فَعلتَ عَظيمُ [١].

فلو دخلت الفاءُ ههنا لأفْسدتِ المعنى، وإنَّما أراد لا يَجتمعنَّ النهيُ والإتيانُ، فصار تأْتِيَ على إضمار أَنْ، ومما يدُّلك أيضًا على أنّض الفاء ليست كالواو قولُك : مررتُ بزيدٍ وعمرو، ومررتُ بزيدٍ فعمرو، تريد أن تُعْلِم [بالفاء] أنَّ الآخِر مُرَّ به بعد الأوّل"[٢].

قال ابن عصفور عن الواو" قلت : وهذا عندنا خطأ، وإنما فُهم أنَّ زلزال الأرضِ قبل إخراجها اثقالَها من طريق المعنى. والذي يدل على أنَّ الواو ليست بمنزلة الفاء أنّها لو كانت بمنزلتها لم يجز : "اختصمَ زيدٌ وعمروٌ "، كما لايجوز " اختصمَ زيدٌ فعمرو "، ومما يدلّ أيضًا على أن الواو لا تُرتِّب قول أميّة بن أبي الصلت [المتقارب]:

فَمِلَّتُنا أنّنا المُسْلِمُونَ *** على دِينِ صِدِّيقنا والنَّبِي [٣].

ولو كانت أيضًا للترتيب لقدّم النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) على الصِّديق لشرفه"[٤].

كما قال عن الفاء " وأما الفاء ففيها خلاف، فمذهب البصريين أنها للترتيب في كل موضع، والفراء موافق لهم في أنّها للترتيب إلّا في الفعلين الذين أحدهما سبب

---

(١) تخريج البيت: البيت لأبي الأسود الدوؤلي، هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، ورد في(البغدادي: خِزانة الأدب، ج ٨، ص ٥٦٧- الشاهد ٦٧١، فقد أوردها كاملة، كما أوردها "شرح شواهد المُغْني" للسُّيوطي- ج٢، ص٥٧٠-٥٧٢.

(٢) الكتاب٣/ ٤١.

(٣) تخريج البيت: البيت للصلتان العبدي في الكامل ص١١٠١؛والشعر والشعراءص٥٠٧؛ولم أقع عليه في ديوان أمية بن أبي الصلت، والشاهد فيه قوله: "صديقنا والنبي" حيث لم تأت (الواو) للترتيب اللغة: الملّة (بكسر الميم): الشريعة أو الدين: صدّيقنا: أبو بكر الصدّيق، أوّل خليفة للمسلمين بعد وفاة النبي محمد (ص) ، المعنى: ندين بدين الإسلام، دين نبيّنا محمد (ص) وصديقه وخليفته أب بكر.

(٤) شرح الجمل١ /١٨٠.

الآخر ويؤولان لمعنى واحد، فإنها لا تكون عنده إ ذالك مُرتبة، وذلك نحو قولك : " أعطيتَني فأحسنَت إليَّ "، و"أحسنَت إليَّ فأعطيتَنِي "، يجوز أن يتقدم عنده الإحسان على الإعطاء وغن كان الإحسانُ إنّما وقع بعد الإعطاء، لأن الإعطاء سبب الإحسان، وهو إحسانٌ في المعنى "[١].

يقول المبرد " اعلم أنَّ الواو في الخبر بمنزلة الفاء، وكذلك كلُّ موضع يُعطف فيه ما بعدها على ما قبلها فيدخل فيما دخل فيه. وذلك قولك : أَنت تأتيني وتكرمُني، وأنا أزورك، وأُعْطِيك، ولم آتك وأُكرمْك، وهل يذهب زيد، ويجيءُ عمرو؟ إذا استفهمت عنها جميعا، وكذلك : أَين يذهب عمرو، وينطلقُ عبد الله ؟ ولا تضربَنّ زيدًا، وتشتمْ عمرًا ؛ لأَنَّ النهي عنهما جميعًا"[٢]. وهو بذلك يخالف ماقاله ابن جماعة.

قال تعالى في سورة الأنبياء(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَا أَنَا فَاعْبُدُونِ* وقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانث وَلَدًا سُبْحَنَهُ) (٢٥،٢٦)، يذكر لنبيه ﷺ أحوال الأمم مع الرسل مع مشاهدة الآيات له ﷺ تذكيرًا بالصبر على قومه، (فعلى) هذا المنهج جرى الوارد من قوله: (وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم) أي نهناهم على السؤال، وأوضحنا (لهم) أمر من تقدمهم وعاقبة الاستجابة لمن تمسك بهدي المذكورين، وهم مع ذلك على عنادهم وافتراقهم، وكأن الكلام وارد مورد التعجب من أمرهم، ولم يشبه شدة الوعيد ليبقى رجاؤه، عليه السلام، في استجابتهم، فلم يخل معنى الكلام مع الإخبار بتفرقهم عن بعض إبقاء تأنيس مناسبًا لما تقدمه، ولهذا لم يقع بعد الآية تسجيل بتصميم على الكفر ولا إمعان في طرف التخويف الوارد في آية المؤمنين من قوله:(كُلُّ حِزْبِ بِمَا لَدَيْهِم فَرِحُونَ)، إلى قوله: (بَل لَا يَشْعُرُونِ)(المؤمنون:٥٦) كما في آية الأنبياء آنفًا.

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص١٨٢.

(٢) انظر. المقتضب ٢ /٢٤.

أمَّا قوله في المؤمنون:(فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم).تقَّدمها قوله لقد خوطيبتم بما قيل للرسل في قوله: (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) [1]، وملة الكل ملة واحدة، ولم تؤمروا بما لا تطيقونه، فتقطعتم. إلَّا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كما جرى في سورة الانبياء فقيل:(فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم) أي فتفرقوا وما أجدي عليهم القرآن شيئًا، فهذه الآية أشد في التخويف والترهيب من الأخرى، وكل يناسب ما قبله. ولو وردت إحدهما موضع الأخرى لما ناسب، والله أعلم[2].

مسألة(ثلاثمائة وتسعون) قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء)، ثم تقتضي الترتيب، فظاهره أن تسوية السماء بعد والأرض وأقواتها وبركاتها، وقد قال تعالى في النازعات: (والأرض بعد ذلك دحاها)؟

قال ابن جماعة " أن "ثم" قد تأتي لترتيب الأخبار لا لترتيب الوقائع المخبر عنه، فيكون تقديره: ثم يخبركم أنه: (اسْتَوَى إلى السَّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ)، ونحوه قوله تعالى في سورة الانعام: (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ)(الاية ١٥٤) الانعام قبل قوله تعالى: (وَهَذَاكِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارِكٌ) وهو كثير في القرآن وكلام العرب، ومنه البيت المشهور وهو أن: "[3].

من ساد ثم ساد أبوه *** ثم قد سَاد بعد ذلك جده

الآية (١١) من سورة (فصلت)، قال تعالى﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾.

الآية (٣٠) من سورة النازعات، قال تعالى﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾.

يقول الأشموني " وأما نحو : " هُوَ الَّذي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ جعل مِنها زَوْجَها "، " ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ آتيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا ". وقوله(البحر : الخفيف)

---

(١) المؤمنون الآية:٥١

(٢) انظر. ملاك التأويل لابن الزبير، ص٣٥٥.

(٣) راجع كشف المعاني، ص٣٢٦.

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ *** ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذالِكَ جَدُّهُ [١].

فقيل : ثم فيه لترتيب الإخبار، لا لترتيب الحكم، وأنه يقال : بلغني ما صَنَعْتَ اليوم، ثم ما صنعت أمْسِ أعْجَبُ، أي :ثم أخبرك أن الذي صنعته أمسْ أعْجَبُ، وقيل : إن ثم بمعنى الواو، وقيل غير ذلك، وأجاب ابن عصفور عن البيت بأن المراد أن الجد أتاه السُّؤدد من قِبَلِ الأب، والأب من قبل الإبن"[٢].

قال ابن فارس" "ثُمَّ" يكون لِتَراخِي الثاني عن الأول: " جاء زيد ثمّ عمرو". وتكون "ثم" بمعنى " واو العطف" قال الله جلّ ذِكرهُ: (فإِلينا مرْجعُهم ثم اللهُ شهيدٌ على ما يفعلون) أي وهو شهيد.

وتكون بمعنى التعجّب كقوله جلّ ثناؤه: (ثم يَطْمَعُ أنْ أزيد) و (ثمَّ الذين كفروا بربهم يعدلون) وأنشد قطرب أن "ثمّ" بمعنى " الواو":

سألت ربيعةَ: مَن خيرُها *** أبًا ثم أمًّا؟ فقالت: لِمَهْ؟

ومنه قوله جل ثناؤه: (ثمّ إن علينا بَيانه) فأمّا قوله جل وعز: (ولقد خلقناكم ثم صوَّرناكم) فقال قوم معناها: (وصوّرناكم) وقال آخرون: المعنى "ابتدأنا خلقكم" لأنه جلّ ثناؤه ابتدأ خلق آدم عليه السلام من تُراب، ثم صَوَّره. وابتدأ خلق الإنسان من نُطْفَة ثم صوّره. قالوا: فـ"ثمّ" على بابها. قال الله جلّ ثناؤه: (يُولُّوكم الأدبار ثم لا يُنصرون)

و"ثمّ" تكون زائدة. قال الله جلّ ثناؤه: (وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا، حتّى إذا ضاقت عليهم الأرُ بما رَحُبَتْ)إلى قوله جلّ ثناؤه: (ثم تاب عليهم) معناه: (حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ تابَ عليهم) وقوله جلّ ثناؤه: (خلقكم من طين ثم قضى أجلًا) وقد كان قضى الأجل، فمعناه:"أخبِرُكُم أنّي خلقتُه من طين، ثم أخبركم أنّي قضيتُ

---

(١) تخريج: البيت لأبي نواس، وهو أول أبيات سبعة لأبي نواس يمدح بها العباس بن عبد الله بن أبي جعفر، ورواية البيت كما في ديوانه وغيره هكذا، والغرض من البيت التمثيل بأن (ثم) في البيت للترتيب الذكري لا الزمان ويقال له الترتيب الإخباري وترتيب اللفظ أيضا.

(٢) معاني القرآن للأشموني ٢ /٤١٨.

الأجَل" كما تقول: "كلمتك اليومَ ثم قد كلمتُك أمس" أي إني أخبرك بذاك ثم أُخبركَ بهذا[1].

علَّل الزمخشري هذا الاختلاف قائلًا: "فإن قُلْت: لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمهما في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين؟ قُلْتُ:قد خلق جرم الأرض أولًا غير مدحوة، ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى:(والأرض بعد ذلك دحاها) فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة قرارًا ومهادًا لأهلك وائتي ياسماء مقببة سقفًا لهم، ومعنى الإتيان: الحصول والوقوع كما نقول أتى عمله مرضيًا وجاء مقبولًا، ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير

من كون الأرض قرارًا للسماء وكون السماء سقفًا للأرض، وتنصره قراءة من قرأ آتيًا وآتينا من المؤاتاة وهي الموافقة أي لتؤات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقًا أمري ومشيئتي ولا تمتنعا"[2].

ذكر النحاس في آية النازعات "القراءة على نصب الأرض، على معنى: ودحا الأرض بعد ذلك، وفسّر هذا المضمر فقال دحاها، كما نقول: ضربت زيدً وعمرًا أكرمته، وقد قرئت والأرضُ بعد ذلك دحاها على الرفع بالابتداء، والنصب أجودُ، لأنك تعطف بفعل على فعل أحسن، فيكون على معنى بناها، وفعَل وفَعَل ودَحَا الأرض بعد ذلك"[3].

مسألة رقم (ثلاثمائة وسبعون) قوله تعالى: (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين). ثم قال تعالى : (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) ما وجه دخول اللام؟.

---

(١) انظر. الصاحبي، ص١٠٦.

(٢) راجع الكشاف ص٩٦٥.

(٣) راجع معاني القرآن للنحاس ٤ /٢٨٠.

يعلّل ابن جماعة "أن متعلق (أمرت) الثاني غير الأول لاختلاف جهتيهما: فالأول: امره بالإخلاص في العبادة، والثاني: أمره بذلك لأجل أن يكون أول المسلمين بمكة[١].

الآية(١١) من سورة الزمر﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾

الآية (١٢)من السورة نفسها ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾

أمَّا عن "اللام" فقد ذكر المالقي " أنها قد تأتي بمعنى "من أجل" نحو: جِئْتُكَ للإحسانِ ورعيتُك لرعي، قال الشاعر[٢]: (البحر:الطويل)

فَجِئْتُ وَقدْ نَضَتْ لِنَومٍ ثِيابَها *** لَدى السِّتْرِ إلَّا لِبْسةَ المُتَفَضِّلِ

أي: من أجل نو، قال الشاعر[٣]:

تَسمعُ لِلْجَرْعِ إذَا اسْتُحيرا *** لِلْماءِ في أجوافِها خَرِيَرا

أي من أجل الجرع، ويُقال لهذه اللام لام العلة ولام السبب، وهي في كلام العرب كثيرة، وهي الداخلة على"كي" التي بمعنى "أنْ" والتي "كي" بمعناها وهي بمعنى "كي" التي تُقدّر"أنْ" بعدها كما تقدم في بابها[٤].

ولكن ابن هشام أطلق على هذه (اللام) اللام الزائدة "وهي الداخلة في خبر المبتدأ نحو قوله:

أُمُّ الحُلَيْس لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ ***............................ [٥].

---

(١) كشف المعاني، ص٣١٥.

(٢) البيت لامريء القيس شاعر امرئ القيس الكندي الشهير بـالملك الضليل، وهو في ديوانه١٤، وشرح القصائد٥١، والشذور ٢٢٨، والأشموني

(٣) البيت للعجاج، وهو في ديوانه٢٥، وروايته فيه:
تَسْمعُ للماءِ إذا استُحيِرا للجَرْعِ في أجوافِها خريرا
وهو في أدب الكاتب ٤١٤، يصف إبلًا وردت الماء، والجرع: بلع الماء، واستحيرا: أدخلته في أجوافها

(٤) رصف المباني /ص٢٤٧.

(٥) صدر البيت منسوب إلى عنترة بن عروس مولى بني ثقيف. وقيل: لرؤبة بن العجاج، وعجزه: ترضى من اللحم بعظم الرقبة، اللغة: الحليس: تصغير «حلس» كساء رقيق يوضع تحت البرذعة، وأم الحليس، كنية الأتان -أنثى الحمير-أطلقها الراجز على امرأة تشبها لها بالأتان «شهربة» كبيرة طاعنة في السنّ. وقوله من اللحم: «من» هنا بمعنى البدل كما في قوله تعالى: لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً [الزخرف: ٦٠] أي:

وقيل: الأصل: لهي عجوز.

وفي خبر"أَنّ" المفتوحة كقراءة سعيد بن جبير: { إِلَّا أَنَّهُم لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} بفتح الهمزة، وفي خبر" لكن" في قوله: (البحر: البسيط)

[يلومونني في حُب ليلى عواذلي] *** ولكنني من حُبّها لَعَميدُ [1].

وليس دخول اللام مقيسًا بعد "أنّ" المفتوحة، خلافًا للمبرد، ولا بعد " لكنّ" خلافًا للكوفيين، ولا اللام بعدهما لام ابتداء، خلافًا له ولهم.

وقيل اللامان للابتداء، على أنَّ الأصل " ولكن إنني"، فحذفت همزة "إن" للتخفيف، ونو"لكن" لذلك؛ لِثِقَلِ اجتماعِ الأمثال، وعلى أنّ "ما" في قوله:

[أمسى أبانُ ذليلًا بعد عِزَّتِهِ] *** وما أبانُ لَمِن أعلاجِ سُودان

استفهام، وتَمَّ الكلام عند "أبان"، ثم ابتدأ: لمن أعلاج، أي: بتقدير لهو من أعلاج.

وقيل: هي لام زيدت في خبر"ما" النافية، وهذا المعنى عكس المعنى على القولين السابقين[2].

وأمّا عن الكوفيون فقد أطلقوا عليها "لام الجحد" فقد ذهب الكوفيونَ إلى أنّ لامَ الجحودِ هي الناصبةُ بنفسِها، ويجوزُ إظهارُ "أَنْ" بعدها للتوكيد، نحو " ما كان زيدٌ لأن يدخلَ دارَكَ، وما كان عمروٌ لأنْ يأكلَ طعامَكَ". ويجوز تقديم مفعولِ الفعل المنصوب بلام الجحدِ عليها، نحو "كان زيدٌ دارَك ليدخلَ، وما كان عمروٌ طعامَك

بدلكم. والشاهد في البيت: لعجوز: حيث زاد اللام في خبر المبتدأ، والأصل أن تكون على المبتدأ. شرح المفصل ج ٣/ ١٣٠، وج ٧/ ٥٧، والخزانة ج ١٠/ ٣٢٣، وشرح أبيات المغني ج ٤/ ٣٤٥، واللسان (شهرب)، والهمع/ ج ١/ ١٤٠

(١) قد استشهد بهذا البيت ابن يعيش في شرح المفصل "ص١١٢١ و ١١٣٥" ورضي الدين في شرح كافية ابن الحاجب "٢/ ٣٣٢" وشرحه البغدادي في الخزانة "٤/ ٣٤٣" وابن هشام في مغني اللبيب "رقم ٣٨٦" والأشموني "رقم ٢٦٥" وابن عقيل "رقم ٩٩"وينص أكثر هؤلاء العلماء على أن هذا الشاهد لا يعلم قائله ولا تعرف له تتمة ولا سوابق أو لواحق.

(٢) انظر. مغنى اللبيب ٣/ ٢٦٥.

ليأكلَ". وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل"أن" مقدرة بعدها، ولا يجوزُ إظهارُها، ولا يجوزُ تقديم مفعول الفعل المنصوب بلام الجحدِ عليها"[1].

وقال ابن عصفور عنها " وتكون أيضًا زائدة بين المضاف والمضاف إليه في باب النداء وباب "لا"، نحو قولهم: "يابؤسَ للحربِ"، و "لا أَبا لك". فاللام من قولهم "للحرب" و"لك" زائدة بين المضاف والمضاف إليه، والتقدير: يابؤسَالحرب، ولا أباكَ، وسنبيّن الدليل على ذلك والسبب في أَن أُقحِمَت هذه اللام بين المضاف والمضاف إليه في بابه إن شاء الله تعالى.

وتكون بمعنى"كي"، نحو:"جئتُ لِيقوم زيد"، أي :كي يقوم زيد، وللجَحْدِ، وهي التي تقدَّها حرف نفي و" كانَ زيدٌ ليقومَ"، وإنّما سُمِيت لام الجحد لأنّها إذا تقدمها"كان" أَو متصرّف منها، لم يكن بدٌّ من تقديمِ النفي، والنفي هو الجحد، فلا يجوز أن تقول: "كان زيدٌ لِيقومَ|، بل لا بدَّ من تقديم النفي على"كان".

وإنما جعلنا لا "كي" ولا الجحود من قبيل حروف الجرّ لأنَّ الفعل بعدها نصوب بإضمار"أَنْ" و"أَنْ" وما بعدها تتقدَّر بالمصدر، واللام إذن في الحقيقة إنّما هي جارة لـ"أنْ" وما بعدها"[2].

كما ذكر الزجاج(ت ٣١١هـ) أيضا ذلك قائلا أن المراد من الآية " إنّي أمرت بتوحيد الله، وأُمِرَ الخلقُ كلُّهم بذلك، وَأَلَّا يُتَّخذَ من دُونِهِ وَليًا ولا يجعل له أنْدادًا"[3].

قال الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) أَمَرَ اللَّهُ - سُبْحانَهُ - رَسُولَهُ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ - أنْ يُخْبِرَهم بِما أُمِرَ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ والإخْلاصِ فَقالَ :﴿قُلْ إنِّي أُمِرْتُ أنْ أعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أيْ: أعْبُدُهُ عِبادَةً خالِصَةً مِنَ الشِّرْكِ والرِّياءِ وغَيْرِ ذَلِكَ.

---

(١) انظر. الإنصاف في مسائل الخلاف، ص٤٧٤.

(٢) انظر. شرح جمل ال زجاجي١/ ٥٣٨.

(٣) انظر. معاني القرآن ٤ /٣٤٨.

قالَ مُقاتِلٌ: إنَّ كُفّارَ قُرَيْشٍ قالُوا لِلنَّبِيِّ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ -: ما يَحْمِلُكَ عَلى الَّذِي أتَيْتَنا بِهِ، ألا تَنْظُرُ إلى مِلَّةِ أبِيكَ وجَدِّكَ وساداتِ قَوْمِكَ يَعْبُدُونَ اللّاتَ والعُزّى فَتَأْخُذُ بِها ؟ فَأنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ، وقَدْ تَقَدَّمَ بَيانُ مَعْنى الآيَةِ في أوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ.

وقال عن قوله تعالى: ﴿وأُمِرْتُ لِأنْ أكُونَ أوَّلَ المُسْلِمِينَ﴾ أيْ: مِن هَذِهِ الأُمَّةِ، وكَذَلِكَ كانَ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ - فَإنَّهُ أوَّلُ مَن خالَفَ دِينَ آبائِهِ ودَعا إلى التَّوْحِيدِ، واللّامُ لِلتَّعْلِيلِ أيْ: وأمَرْتُ بِما أمَرْتُ بِهِ لِأجْلِ أنْ أكُونَ، وقِيلَ: إنَّها مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، والأوَّلُ أوْلى"(١).

وسبق ابن جماعة الخطيب الإسكافي متسائلًا: لأي معنى عدّى {أمرت} الأول بـ" أن"، وعدّى {أمرت} الثاني باللام فقال: {وأمرت لأن أكون} وما فائدة اللام؟ ولو قال: أمرت أن أكون أول المسلمين فكان الكلا مستغينًا عن اللام؟

والجواب أن يقال: إن القصد في الأمر الثاني عبر القصد في الأمر الأول: وذلك أن الأول يتعدىّ إلى العبادة، والثاني معناه: وأمرت أن أعبدا الله لأن أكون أول المسلمين، أي: إنما أمرت بإخلاص العبادة لله تعالى، وبعثت رسولا لأن أكون أول من يبدأ بطاعة الله تعالى وعبادته على الإخلاص المطلوب، فاللام ليست مقحمَةعلى ماذهب إليه كثير من النحويين، وإنما معناه ماذكرنا من أن الأمربالعبادة لأجل أن يفعل لولا ما أمر به، ثم يحمل الناس على مثله، وهذا واضح فاعرفه"(٢).

وكان للآلوسي(ت ١٢٧٠هـ) رأي آخر في هذه اللام " ﴿وأُمِرْتُ لأنْ أكُونَ أوَّلَ المُسْلِمِينَ﴾ أيْ وأُمِرْتُ بِذَلِكَ لِأجْلِ أنْ أكُونَ مُقَدَّمَ المُسْلِمِينَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، لِأنَّ إحْرازَ قَصَبِ السَّبْقِ في الدِّينِ بِالإخْلاصِ فِيهِ، وإخْلاصُهُ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ - أتَمُّ مِن إخْلاصِ كُلِّ مُخْلِصٍ، فالمُرادُ بِالأوَّلِيَّةِ الأوَّلِيَّةُ في الشَّرَفِ والرُّتْبَةِ، والعَطْفُ لِمُغايَرَةِ الثّانِي الأوَّلَ بِتَقْيِيدِهِ بِالعِلَّةِ، والإشْعارُ بِأنَّ العِبادَةَ المَذْكُورَةَ كَما تَقْتَضِي الأمْرَ بِها لِذاتِها تَقْتَضِيهِ لِما يَلْزَمُها مِنَ السَّبْقِ في الدِّينِ، وإلى حَذْفِ مُتَعَلِّقِ الأمْرِ، وكَوْنِ اللّامِ تَعْلِيلِيَّةً ذَهَبَ البَصْرِيُّونَ في هَذِهِ الآيَةِ ونَحْوِها، وذَهَبَ غَيْرُهم إلى أنَّها زائِدَةٌ، واسْتُدِلَّ

---

(١) انظر. فتح القدير، ص١٢٧٨.

(٢) انظر. درة التنزيل ٣/١١١١.

لَهُ بِتَرْكِها في قَوْلِهِ تَعالى :﴿وأُمِرْتُ أنْ أكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ﴾، و﴿وأُمِرْتُ أنْ أكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾، و﴿أُمِرْتُ أنْ أكُونَ أوَّلَ مَن أسْلَمَ﴾ وكُلُّ ذَلِكَ مُحْتَمِلٌ لِتَقْدِيرِ اللّامِ. فَلا تَغْفُلْ. ولا تُزادُ إلّا مَعَ إنَّ لَفْظًا أوْ تَقْدِيرًا دُونَ الِاسْمِ الصَّرِيحِ، وذَلِكَ لِأنَّ الأصْلَ في المَفْعُولِ بِهِ أنْ يَكُونَ اسْمًا صَرِيحًا. فَكَأنَّها زِيدَتْ عِوَضًا مِن تَرْكِ الأصْلِ إلى ما يَقُومُ مَقامَهُ كَما يُعَوِّضُ السِّينَ في اسْطاعَ عِوَضًا مِن تَرْكِ الأصْلِ الَّذِي هو أطْوَعَ. وهَذِهِ الزِّيادَةُ وإنْ كانَتْ شاذَّةً قِياسًا إلّا أنَّها لَمّا كَثُرَتِ اسْتِعْمالًا جازَ اسْتِعْمالُها في القُرْآنِ. والكَلامِ الفَصِيحِ. ومِثْلُ هَذا يُقالُ في زِيادَتِها مَعَ فِعْلِ الإرادَةِ نَحْوَ: أرَدْتُ لِأنْ أفْعَلَ. وجَعَلَ الزَّمَخْشَرِيُّ وجْهَ زِيادَتِها مَعَهُ أنَّها لَمّا كانَ فِيها مَعْنى الإرادَةِ زِيدَتْ تَأْكِيدًا لَها. وجَعَلَ وجْهًا في زِيادَتِها مَعَ فِعْلِ الأمْرِ أيْضًا لا سِيَّما والطَّلَبُ والإرادَةُ عِنْدَهم مِن بابٍ واحِدَةٍ. وفي المَعْنى أوْجُهٌ: أنْ أكُونَ أوَّلَ مَن أسْلَمَ في زَمانِي. ومِن قَوْمِي. أيْ إسْلامًا عَلى وفْقِ الأمْرِ. وأنْ أكُونَ أوَّلَ الَّذِينَ دَعَوْتُهم إلى الإسْلامِ إسْلامًا. وأنْ أكُونَ أوَّلَ مَن دَعا نَفْسَهُ إلى ما دَعا إلَيْهِ غَيْرَهُ لِأكُونَ مُقْتَدًى بِي قَوْلِي وفِعْلِي جَمِيعًا ولا تَكُونُ صِفَتِي صِفَةَ المُلُوكِ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِما لا يَفْعَلُونَ. وأنْ أفْعَلَ ما أسْتَحِقُّ بِهِ الأوَّلِيَّةَ والشَّرَفَ مِن أعْمالِ السّابِقِينَ دِلالَةً عَلى السَّبَبِ. وهي الأعْمالُ الَّتِي يُسْتَحَقُّ بِها الشَّرَفُ بِالمُسَبَّبِ. وهو الأوَّلِيَّةُ. والشَّرَفُ المَذْكُورُ في النَّظْمِ الجَلِيلِ. ذَكَرَ ذَلِكَ الزَّمَخْشَرِيُّ. وفي الكَشْفِ: المُخْتارُ مِنَ الأوْجُهِ الأرْبَعَةِ الوَجْهُ الثّانِي. فَإنَّهُ المُكَرَّرُ الشّائِعُ في القُرْآنِ الكَرِيمِ. وفِيهِ سائِرُ المَعانِي الأُخَرُ مِن مُوافَقَةِ القَوْلِ الفِعْلَ. ولُزُومِ أوَّلِيَّةِ الشَّرَفِ مِن أوَّلِيَّةِ التَّأْسِيسِ مَعَ أنَّهُ لَيْسَ فِيهِ أنَّهُ أمْرٌ بِأنْ يَكُونَ أشْرَفَ وأسْبَقَ فافْهَمْ(١).

مسألة(ثلاثمائة وستة وتسعون) قوله تعالى: (إن كان من عند الله ثم كفرتم به) وفي الأحقاف: (وكفرتم به).

ذكر ابن جماعة " أنه يجوز أن يكون "ثُمَّ" هنا للاستبعاد من الكفر مع العلم بكونه من عند الله فإن التخلف عن الإيمان بعد ظهور كونه من عند الله مستبعد عند العقلاء. ولذلك قال تعالى(مَنْ أضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيْدٍ)، وهو كقوله

(١) انظر. روح ال معاني٢٣/٢٥٠.

تعالى:(ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُوْنَ) و"الواو" في الأحقاف واو العطف بمعنى الجمع، وجواب الشرط مقدر تقديره: إن اجتمع كونه من عند الله وكفرتم به وشهادة الشاهد وإيمانه ألستم بكفركم ظلمة ودلّ عليه أن الله لا يهدي القوم الظالمين." [١].

الآية(٥٢) من سورة فصلت، قال تعالى﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾

الآية (١٠)من سورة الأحقاف، قال تعالى﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

لقد سبق الحديث عن "ثم " التي تفيد الاستبعاد، وأما عن قوله﴿ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ ﴾ يقول الأشموني :

" (فاعْطِفْ بِوَاوٍ لاحقًا أَوْ سابِقًا *** في الحُكْمِ أَوْ مُصَاحِبًا مُوافقًا)

فالأول نحو: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ" والثاني نحو : "كَذالِكَ يُوحَى إلَيْكَ وَعَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكَ " والثالث نحو : "فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ " وهذا معنى قولهم : الواو لمطلق الجمع"[٢].

" فإن قلت : ما الفرق بين واو الجمع وواو العطف ؟ وهل هما إلا شيء واحد ؟ قلت : واو الجمع في الأصل للعطف لكنه خص ببعض أحواله وذلك أن المعطوف قد يكون قبل المعطوف عليه في الوجود، وقد يكون بعده، وقد يكون معه.. فخص واو الجمع بما يكون بمعنى "مع " فهو باعتبار أصل معنى العطف احتاج إلى تقدير مصدر منتزع من الاول وباعتبار اختصاصه العارض بحال المعية صار كأنه قسم للعطف المطلق "[٣].

(١) راجع كشف المعاني، ص٣١١،٣١٢.
(٢) شرح الأشموني ٢ /٤١٦.
(٣) انظر. الخزان ٦٣١/٣.

ويقول المبرد " فمعنى الواو الجمع بين الشيئين، ونصبها على إضمار (أَن) ؛ كما كان في الفاء وتنصب في كلِّ موضع تنصب فيه الفاءُ ؛ ألا ترى أنَّ قولك : زُرني وأَزورَك، إنَّما هو لتكن منك زيارة، وزيارة منّي "[1].

وقال الزمخشري في آية فصلت "(أرأيتم) أخبروني (إن كان) القرآن (من عند الله) يعنى أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور، وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفصحوا، فما أنكرتم أن يكون حقًا وقد كفرتم به، فأخبروني من أضلّ منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله تعالى:(ممن هو في شقاق بعيد) موضوع موضع منكم بيانًا لحالهم وصفتهم."

كما قال عن آية الأحقاف "جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى:(إن الله لا يهد القوم الظالمين)" [2].

مسألة(ثلاثة وعشرون) قوله تعالى:{وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا } في الأعراف:{فكلا} بالفاء؟.

ذكر ابن جماعة " قيل إن السكني في البقرة: للإقامة، وفي الأعراف اتخاذ المسكن. فلما نسب القول إليه تعالى:{وقلنا ياآدم} ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل، ولذلك قال فيه:(رغدا)، وقال:{حيث شئتما}لأنه أعم، وفي الأعراف :{ويا آدم}، فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكني

---

(١) انظر. المقتضب ٢ /٢٥.

(٢) انظر. الكشاف، ص٩٧٢.

المأمور باتخاذها، لأن الأكل بعد الاتخاذ، و{من حيث}لايعطي عموم معنى {حيث شئتما}."[1].

الآية (٣٥) من سورة البقرة، قال تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

الآية (١٩) من سورة الأعراف، قال تعالى ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

الإعراب: جملة " كلا منها" لا محلّ لها معطوفة على جملة جواب النداء.

ذكر ابن حيّان أنّ : " (الواو) للجمع تَقَعُ في مواضع الفاء، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ، وليس ذلك على الإطلاق، إذ تَدْخُلُ الفاءُ في وضع لا تَدْخُل فيه الواو، وذلك فيما كان الأوَّل سببًا للثاني على المعنيين نحو : لا تَدْنُ من الأسد فَيَأْكُلكَ لا يجوز " وَيأْكُلَك بالواو " والعكس : لاَ تَأْكُلْ السمكَ وَتَشْرَبَ اللبن، لا يجوز فَتَشْرَبَ (بالفاء)، وكذلك في التشبيه الذي قُصدَ به النفي، أو (بقد) عِنْدَ مَنْ أجازَ ذلك، ويحتاج إلى سماع من العرب، ومثال ذلك في الأمر[2].

فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُو إِنَّ أَنْدَى ***....................[3]. [الوافر]

ترجيح الآراء: قوله اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا بالواو وفي الأعراف فكلا بالفاء اسكن في الآيتين ليس بأمر بالسكون الذي هو ضد الحركة وإنما الذي في البقرة من السكون الذي معناه

الإقامة وذلك يستدعي زمانا ممتدا فلم يصلح إلا بالواو لأن المعنى اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة لأن الفاء للتعقيب والترتيب والذي في الأعراف من السكنى الذي معناها

---

(١) راجع كشف المعاني، ص٩٦

(٢) انظر. ارتشاف الضرب/ ص١٦٦٨

(٣) يروى للأعشى، ويروى للحطيئة. ونسب إلى الفرزدق، ونسب إلى غيرهم، وعجزه: لصوت أن ينادي داعيان. سيبويه/ ١/ ٢٢٦، والإنصاف/ ٥٣١، وشرح المفصل/ ٧/ ٣٣، وشرح المغني/ ٦/ ٢٢٩، والشذور

اتخاذ الموضع مسكنا لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله اخرج منها مذموما وخاطب آدم فقال يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة أي اتخذاها لأنفسكما مسكنا فكلا من حيث شئتما فكانت الفاء أولى لأن اتخاذ المسكن لايستدعي زمانا ممتدا ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه بل يقع الأكل عقيبه.

ذكر الخطيب الإسكافي أن " عطف كُلا على اسكن بالفاء في سورة الأعراف وعطفها عليه في سورة البقرة بالواو.

والأصل في ذلك أن كل فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء، وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء، فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو كقوله تعالى) :وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا] (البقرة: ٥٨) [فعطف (كُلوا) على (ادخلوا) بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقا بدخولها، فكأنه قال: إن دخلتموها أكلتم منها، فالدخول موصل إلى الأكل، والأكل متعلق وجوده بوجوده. يبين ذلك قوله تعالى في مثل هذه من سورة الأعراف :)وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ أُسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَة وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ] (الأعراف: ١٦١) فعطف (كُلوا) على قوله (اسكنوا) بالواو دون الفاء لأن اسكنوا من السكنى وهي المقام مع طول لبث. والأكل لا يختص وجوده بوجوده، لأن من يدخل بستانا قد يأكل منه وإن كان مجتازا، فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء، وعلى هذا قوله تعالى في الآية التي بدأت بذكرها):وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا.

وبقي أن نبين المراد بالفاء في قوله تعالى: { فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا} [من سورة الأعراف:١٩١] مع عطفه على قوله (اسكن) وهو أن اسكن يقال لمن دخل مكانا، فيراد به: الزم المكان الذي دخلته ولا تنتقل منه، ويقال أيضا لمن مبالغة في الإعذار وتأكيد للإنذار وتحققا لمعنى قوله عز وجل: (..وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ] (البقرة: ٣٥[1].

(١) انظر. درة التنزيل ١/٢٢٢.

مسألة رقم (أربعون) قوله تعالى:{ولن يتمنوه أبدا}، وفي الجمعة:{ولا يتمنونه أبدا}؟

يقول ابن جماعة " لما كانت دعواهم أن الدار الآخرة لهم خاصة : أكد نفى ذلك بـ (لن) لأنها أبلغ في النفي من (لا) لظهورها في الاستغراق، وفي الجمعة : ادعوا ولاية الله، ولايلزم من الولاية لله اختصاصهم بثواب الله وجنته فأتى بـ (لا) النافية للولاية، وكلاهما مؤكد بالتأبيد، لكن في البقرة أبلغ"[1].

الآية (٩٥) من سورة البقرة، قال تعالى﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾

الآية (٧) من سورة الجمعة، قال تعالى﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

وضّح المالقي آراء العلماء ووضح كل رأي، ومرجحًا الصواب منها ومعللًا ذلك، ويُفند الآراء الأخرى مع الدليل، ووجهة النظر قائلًا " أعلم أن (لن) حرف ينفي الأفعال المضارعة، ويخلصها للاستقبال،.... وهي حرف ناصب للفعل الذي بعده بنفسها على مذهب سيبويه وأكثر النحويين، وهي عند الخليل حرف مركب من (لا) النافية، و (أنّ) الناصبة، فأصلها عنده: (لا، و أنَّ) ثم خففت همزة (أنَّ) بالتسهيل بالحذف فصار: لا أن، ثم حذفت الألف، لإلتقاء الساكنين،....، وأصلها عند الفراء: لا النافية، أبدلُ من ألفها نون؛ لأن الألف والنون في البدل أخوان،....، والصحيح ن هذه المذاهب: مذهب سيبويه ومن تبعه؛ لأن التركيب فرع عن البساطة، فلا يُدَّعى إلا بدليل قاطع ويُرَدُّ مذهب الخليل بأنها لو كانت مركبة من (لا أن) لم يجز أن يتقدم معمول معمولها عليها في نحو: زيدًا لن أضرب، وجواز ذلك وأمثاله ذليل على عدم التركيب[2].

والوجه الثاني أنها لو كانت مركبة من (لا أن) لكانت (لا) داخلة على مصدر مقدر من (أ،) والفعل، فيكون المعنى في قولك مثلًا: لن يقوم زيد لا قيام زيد، فتدل

(١) راجع كشف المعاني، ص١٠٣

(٢) انظر. رصف المعاني، ص٢٨٥

(لا) على المعرفة من غير تكرير، ولا بد لها إذا دخلت على المعارف أو ما في تقديرها من التكرير مع أن البتدأ لا يكون له خبر، والمبتدأ لابد له من الخبر، ولم يسمع هنا، ولا في الكلام ما ينوب منابه كخبر مبتدأ (لولا) عند بعضهم فبطل القول بالتركيب"[1].

ذهب الزمخشري في مفصله: إلى أنها تفيد تأبيد النّفي فقال: "أعلم أن (لَنْ) معناها النفي، وهي موضوعة لنفي المستقبل، وهي أبلغ في نفيه من (لا)؛ لأنّ (لا) تنفي (يَفْعَلُ) إذا أُريد به المستقبل، و(لَنْ) تنفي فعلًا مستقبلًا قد دخل عليه السين وسوف، وتقع جوابًا لقول القائل: (سيقوم زيدًا)، و(سوف يقوم زيد). والسين تفيدان التنفيس في الزمان، فلذلك يقع نفيه على التأبيد وطُولِ المُدة، نحو قوله تعالى:(وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدَا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيِهِم)، وكذلك قول الشاعر[من البسيط]

ولن يُراجِعَ قَلْبِي حُبَّها أبدًا *** زَكِنْتُ من بُغْضهم مثل الذي زكنوا [2].

على الرغم من أن هذين العالمين(الزمخشري، والمالقي) قد جمعا في كتابيهما كثيرًا من آراء البلاغين والنحاة، فإن كل واحد منهما قد كانت له آراء انفرد بها، وكانت له اجتهادات أَثْرَتْ كتابه.

---

(1) انظر. المرجع السابق /ص ٢٨٧

(2) التخريج: البيت لقنعب بن أم صاحب في أدب الكاتب ص٢٤،٣٧٣؛ ولسان العرب ١٩٨/١٣(زكن) ؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص٨٢٥؛ وإصلاح المنطق ص٢٥٤. اللغة والمعنى: زكنت: لجأت وخالطت، ظننت ظنًا كاد يكون يقينًا، لن تعود محبتها إلى قلبي أبدًا، فقد أضمرت لهم بعضا كالذي أضمروه لي.

الإعراب: "ولن": الواو: بحسب ما قبلها، "لن": حرف نصب. "يراجع": فعل مضارع منصوب بالفتحة. "قلبي": فاعل مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، والياء: ضمير متصل مبنى في محل جر مضاف إليه. "حبها": مفعول به منصوب بالفتحة، وهو مضاف، و"ها": ضمير متصل مبنى في محل جر مضاف إليه. "أبدًا": ظرف زمان لاستغراق المستقبل منصوب بالفتحة متعلق بالفعل "يراجع". "زكنت": فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل: "من بغضهم": جار ومجرور متعلّقان بالفعل قبلهما، و"هم": ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. "مثل": مفعول به منصوب بالفتحة، وهو مضاف. "الذي" اسم موصول مبني في محل جر مضاف إليه. "زكنوا": فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، وجملة "لن يراجع قلبي": بحسب الواو. وجملة "زكنت": استئنافية لا محل لها من الإعراب، وجملة "زكنوا": صلة الموصول لا محل لها من الإعراب أيضًا.

والشاهد فيه قوله: "لن يراجع.... أبدًا" حيث وقع نفي الفعل بـ "لن" على التأبيد، وذكره "أبدًا للتوكيد.

ولكن الزمخشري في كشافه بجانب ما جمع فيه من آراء: كانت له هذه الاختيارات التي انفرد بها مما يدل على عبقريته الفذة، وثقافته الواسعة، فمن هذه الاجتهادات ما وصل إليه عن إفادة (لن) تأبيد النفي وتأكيده: حينما قال المشهور بين العلماء أن (لن) حرف نفي بنصب المضارع، ويخلصه للاستقبال، هذا مذهب الجمهور، ولكن انفراد الزمخشري بالقول بأن (لن) تفيد تأبيد النفي وتأكيد، قال في قوله تعالى{... لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا له...} "... (لن) أخت (لا) في نفي المستقبل؛ إلا أن (لن) تنفيه نفيًا مؤكدًا، وتأكيده ههنا: الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل منافي لأحوالهم، كأنه قال:محال أن يخلقوا..."

وقال: " فإن قلت: ما حقيقة (لن) في باب النفي؟ قلت (لا)، و(لن) أختان في نفي المستقبل إلا أن في (لن) توكيدًا، وتشديدًا، تقول لصاحبك: لا أقيم غدًا، فأن أنكر عليك قلت: لن أقيم غدًا".

فقد ذكر في هذين النصين أن (لن) تفيد تأبيد النفي وتأكيد[١].

مسألة رقم (أربعمائة واثنتا عشر) قوله تعالى: (ومغفرة من ربهم) مافائدة بعد وصف إضافة النعم عليهم، والمغفرة سابقة لتلك النعم؟

يقول ابن جماعة " أن "الواو" لا توجب الترتيب في الإخبار، وإفاضة النعم لا يلزم منه الستر، فذكر سبحانه أنه مع ذلك ستر ذنوبهم ولم يفضحهم بها. الله أعلم "[٢].

الآية (١٥) من سورة القتال (محمد) : ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾.

(١) راجع همع الهوامع ج٢، والمفصل للزمخشري ج٥

(٢) كشف المعاني،ص٣٣٩.

يقول ابن هشام " مما تنفرد به الواو المفردة عَطْفُ ما لا يُسْتَغْنَى عنه كـ " اختصم زيدٌ وعمروٌ "، و "اشترك زيد وعمرو "، وهذا من أقوى الأدلة على عدم إفادتها الترتيب، ومن ذلك : "جلستُ بين زيدٍ وعمروٍ " ؛ولهذا كان الأصمعي يقول : الصواب:

...............*** بين الدَّخول وَحَوْمَلِ

لا " فحومل "، وأجيب بأن التقدير: بين نواحي الدَّخول، فهو كقولك : " جلستُ بين الزيدين فالعمرين "، أو بأنّ الدّخول مشتمل على أماكن "[١].

وهذا ما يؤكده ابن عادل في تفسيره : " قوله : (وَمَغْفِرَة) فيه وجهان : أحدهما : أنه عطف على ذلك المقدر لا بِقِيْدِ كونه في الجنة، أي ولهم مغفرة ؛ لأَنَّ المغفرة تكون قبل دخول الجنة ؛ أوبقيد ذلك. ولا بدّ من حذف مضاف حينئذ أي وبِنَعِيم مَغْفِرَةٍ ؛ لأنه ناشيءُ عَن المغفرة وهو الجنة. والثاني : أن يجعل خبرها مقدرًا على ولَهُمْ مغفرة، والجملة مستأنفة، والفرق بين الوجهين أن الوجه الذي قبل هذا فيه الإخبار بـ "لَهُمْ " الملفوظ به عن شيئين، ذلك المحذوف ومغفرة، وفي الوجه الآخر الخبر جار آخر حذف للدَّلالَةِ عَلَيْه "[٢].

مسألة رقم(مائة وخمسة وثمانون) قوله تعالى: (وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولهُ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إلى عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادةِ.

وقال بعد ذلك (فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولهُ والمُؤمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إلى عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ)؟

فقال في الأول: (ثُمَّ تُرَدُونَ)، وفي الثانية: (وَسَتُرَدُونَ)، وقال في الثانية: (وَالمُؤمنُونَ).

---

(١) مغني اللبيب ١/ ٣٦٢.

(٢) انظر. اللباب

ذهب ابن جماعة إلى " أن الأولى في المنافقين بدليل:((قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُم) وكانوا يخفون من النفاق ما لايعلمه إلا الله تعالى ورسوله بإعلامه إياه.

والآية الثانية: في المؤمنين، بدليل قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) وأعمالهم ظاهرة فيما بينهم من الصلاة والزكاة والحج وأعمال البر فلذلك زاد قوله: (وَالمُؤمِنُوْنَ).

وأما (ثُمَّ) في الأولى: فلأنها وعيد، فبين أنه لكرمه لم يؤاخذ هم في الدنيا، فأتى بـ(ثُمَّ) المؤذنة بالتراخي.

والثانية: وعد، فأتى "بالواو والسين" المؤذنات بقرب الجزاء والثواب وبعد العقاب فالمنافقون: يؤخر جزاؤهم عن نفاقهم إلى موتهم، فناسب (ثُمَّ).

والمؤمنون: يثابون على العمل الصالح في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلنَجْزِيَنَّهُمْ أجْرَهُمْ) [1].

الآية (٩٤) التوبة : ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾.

الآية (١٠٥) من نفس السورة : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾.

أمَّا عن (السِّين) فقد ذكر المالقي في كتابه (رصف المعاني) " التي تكونُ في غير بناء الكلمة، هي الداخلةُ على المضارع تخلّصُه للاستقبال، وتسمَّى حرف تنفيسٍ لأنَّها تنفِّسُ في الزمان فيصيرُ الفعلُ المضارع مستقبلًا بعداحتماله للحال والاستقبال، وذلك نحو قولك: ستخرجُ وستذهبُ، والمعنى: أنَّك تفعلُ ذلك فيما يُسْتَقْبَلُ من الزمان، قال الله تعالى : (وَسيعْلَمُ الذين ظَلموا أيَّ مُنْقلبٍ ينقلبون"، يعني: يومَ القيامة، قال الشاعر[2]:

---

(١) راجع. كشف المعاني، ص١٩٩.

(٢) التخريج: البيت لطرفة ابن العبد وهو في ديوانه (٣٠) ، صدره: كَريمٌ يُرَوِّي نَفْسَه في حَياتِهِ.

.... *** سَتَعْلَمُ إِنْ مِتْنا صَدى أيُّنا الصدى

ولا يجوزُ أنْ يكونَ الفعلُ مع وجودها حالًا. فأمَّا قول الشاعر:

فَلَمْ أَنْكُلْ وَلَمْ أَجْبُنْ وَلَكِنْ *** سَأَسْعَى الآن إذْ بَلَغَتْ أَناهَا

فأدخل "الآن" على الفعل الذي فيه السينُ وهي مخلصةٌ للحال، وإنما ذلك لتقريب المستقبل من الحال، لا أنَّ الفعل حالٌ، والعربُ تجري الأقرب من الشئ مُجْراه وتعامِلُه معاملته ولذلك في كلامها مواضعُ كثيرةٌ.

وزعم الكوفيون أنَّ هذه السين ليست حرفًا قائمًا بنفسه، وإنَّما هي مقتطعة من سوف، كما قالوا: "سَوْ" فاقتطعوها من "سَوْف"، وأنشدوا قول الشاعر:

فَإنْ أهْلِكْ فَسَوْ تَجدونَ وَحْدِي *** وَإنْ أَسْلَمْ يَطِبْ لَكم المَعَاشُ [١].

واحتجّ/ بعضُهم بأنّ العربَ تقولُ: ايم الله في : "ايمن الله" وايمُ اللهِ" فكذلك يقولون في سوف: سَوْ تارة وَسفَ أخرى.

والصحيحُ أنَّ السين حرفُ استقبال قائمٌ بنفسه مختصّ بالفعل المضارع كجزء منه، ولذلك لم يكُنْ عاملًا، فلا يصحُّ أنْ يفصل بينه [وبين فعله]، ولا يُقال فيه:إنَّه مقتطعٌ من "سوف"[٢].

وممّا يؤكد كلام ابن جماعة عن (ثُمَّ) ما جاء في شرح الأشموني فيقول" وأما نحو: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ جَعَلَ مِنها زَوْجَهَا ". ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ آتيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا " وقوله[٣]:

٨١٥ – إنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ *** ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَالكَ جَدُّه

(١) البيت لعدي بن زيد، والشاهد «سو» بحذف الفاء لغة في «سوف». [الهمع/ ٢/ ٧٢، والدرر/ ٢/ ٨٩.

(٢) انظر المغني١/١٤٧، انظر رصف المعاني/ص٤٢٠/٤٢١.

(٣) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ، وهو من سبعة أبيات دح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر، وهو عم هارون الرشيد، وانظر البيت: شرح الرضي٣٤١/٢، همع الهوامع٢٣٦/٥،رصف المعاني/١٧٤، ولم يذكره السيوطي فهو ممن لا يحتج بشعره؛ لأنه بعد عصر الاحتجاج

فقيل : ثم فيه لترتيب الإخبار، لا لترتيب الحكم، وأنه يقال : بلغني ما صنعتَ اليوم، ثم ما صنعت أمْسِ أعْجَبُ، أي : ثم أخبرك أن الذي صنعته أمْس أعْجَبُ، وقيل : إن ثم بمعنى الواو، وقيل غير ذلك، وأجاب ابن عصفور عن البيت بأن المراد أن الجد أتاه السُّؤدد من قِبَل الأب، والأب من قِبَل الأبن "[1].

ويقول ايضا " (والفعل من بعد الجزا) وهو أن تاخذ أداة الشرط جوابها (إِنْ يقترن بالفاء أو الواو...) أي حقيق ؛ فالجزم بالعطف، والرفع على الاستئناف، والنصب بأن مضمرة وجوبا وهو قليل، قرأ عاصم وابن عامر " يُحَاسِبْكم بهِ اللهُ فَيَغْفِر " بالرفع، وباقيهم بالجزم، وابن عباس بالنصب، وقريء بهن " من يُضْلِلِ الله فَلَا هَادي لهُ وَيذَرُهُم فِي طُغْيَانِهِم " "وإن تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الفقراء فَهُوَ خَيْرٌ لكُم وَنُكَفر "[2].

يقول النحاس " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ هذا من رؤية العين لا غير لأنه لم يتعدّ إلا إلى مفعول واحد "[3].

يعلل محي الدين درويش " (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) جملة اعملوا مقول القول والفاء الفصيحة والسين بالنظر للمجازاة لا للعلم لأن العلم حاصل غير متقيد بزمان والله فاعل يرى وعملكم مفعوله ورسوله والمؤمنون معطوفان على الله. (وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ) عطف على سيرى والى عالم جارومجرور متعلقان بتردون والغيب مضاف اليه والشهادة معطوف على الغيب (فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الفاء عاطفة وبما متعلقان بينبئكم وجملة كنتم تعملون صلة ما. (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) عطف نسق على ما تقدم أي وآخرون اعترفوا ومرجون صفته ولأمر الله متعلقان بمرجون يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم[4].

---

(1) شرح الأشموني ٢ /٤١٨.

(2) المرجع السابق٣/٥٩١٩.

(3) انظر. إعراب القرآن للنحاس، ص٣٨٢.

(4) ارجع. إعراب القرآن وبيانه

يقول الطبري " قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ :﴿وقل﴾، يا محمد، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك = ﴿اعملوا﴾، لله بما يرضيه، من طاعته، وأداء فرائضه = ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله﴾، يقول: فسيرى الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون، في الدنيا =﴿وستردون﴾، يوم القيامة، إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها)١ = (﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾، يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون،)٢ (وما منه خالصًا، وما منه رياءً، وما منه طاعةً، وما منه لله معصية، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته[1].

حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، قال: هذا وعيدٌ ".

مسألة رقم (مئتان واثنتا عشر) قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيْرُوا فِي الأَرْضِ) هنا، وفي الحج.

وفي مواضع أخر: (أَوَلَمْ يَسِيْرُوا فِي الأَرْضِ) بالواو.

ذهب ابن جماعة " أن كل موضع يكون ماقبله سببا لما بعده كان بالفاء للسببية، وإن لم يكن سببا لما بعده كان بالواو العاطفة، لأنها تعطف جملة على جملة، بيان ذلك:

لما تقدم في يوسف عليه السلام: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلَكَ إلاَّ رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) قال: (أفَلَمْ يَسِيْرُوا فِي الأَرْضِ) فينظروا ويسمعوا أخبار الرسل وما جرى على من كذبهم. ولذلك في الحج لما تقدم: (وكَأَيِّنْ مَنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) قال: (أَفَلَمْ يَسِيْرُوا فِي الأَرْضِ) فيتدبروا أحوال الماضين منهم[2].

---

(١) انظر. تفسير الطبري

(٢) كشف المعاني، ص٢١٦.

الآية (١٠٩) يوسف ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾.

الآية(٩) من سورة الروم﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿٩﴾.

وفي الآيتين الاستفهام يفيد التوبيخ والتقريع، وأمّا عن الألف المفردة يقول ابن هشام " أنها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قُدِّمَت على العاطف، تنبيهًا على أصالتها في التصدير، نحو (أَوَلَمْ يَنظُرُوا)، (أَفَلَمْ يَسِيروا)، (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِ).." [١].

يقول البقاعي " ولمّا كانَ الاعْتِبارُ بِأحْوالِ مَن سَلَفَ لِلنَّجاةِ مِمّا حَلَّ بِهِمْ أهُمَّ المُهِمّ، اعْتَرَضَ بِالحَثِّ عَلَيْهِ بَيْنَ الغايَةِ ومُتَعَلِّقِها، فَقالَ :﴿أفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أيْ يُوقِعُ السَّيْرَ هَؤُلاءِ المُكَذِّبُونَ ﴿فِي الأرْضِ﴾ أيْ في هَذا الجِنْسِ الصّادِقِ بِالقَلِيلِ والكَثِيرِ[٢].

يقول ابن عطية " وذكر ابن عطيَّة شيئاً من معنى قوله :﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأرض فَيَنظُرُواْ﴾ فقال: ويتضمن قوله (أفَلَمْ يَسِيرُوا) إلى من قبلهم، أنَّ الرُّسل الذين بعثهم الله تعالى من أهل القرى دعوهم، فلم يؤمنوا حتى نزلت به المَثُلاث، فصبروا في حيّز من يعتبر بعاقبته؛ فلهذا المضمَّن حسن أن تدخل (حتَّى) في قوله: (حتَّى إذَا، ال أبو حيان: ولم يتلخَّص لنا من كلامه شيء يكون ما بعد " حتَّى" غاية لهُ؛ لأنَّه علَّق الغاية بما ادَّعى أنَّه فهم ذلك من قوله» :أفَلَمْ يَسِيرُوا«. قال شهاب الدِّين: قول " دَعوهُمْ فَلم يُؤمِنُوا " هو المُغَيَّا[٣].

---

(١) انظر. مغني اللبيب ١/٨٤،٨٣.

(٢) نظم الدرر١٠/٢٥٠.

(٣) انظر المحرر الوجيز.

مسألة رقم(مائة واثنتان وثمانون) قوله تعالى: (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا).

قال بعده: (وَلَاتُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدَّنيَا)، فالآية الأولى: بالفاء، وتكرار(وَلَا) وباللام في (لِيُعَذِّبَهُمْ) وبلفظ (الحَيَاةِ)، والآية الثانية: بالواو، وسقوط (لَا)، و(أَنْ) موضع اللام؟.

ذكر ابن جماعة " أن الآية الأولى: ظاهرة في قوم أحياء، والثانية: في قوم أموات، وأما الفاء في الأولى: فلأن ما قبلها أفعال مضارعة تتضمن معنى الشرط كأنه قيل: إن اتصفوا بهذه الصفات من الكسل في الصلاة، وكراهية النفقات فلاتعجبك أموالهم، والآية الثانية: تقدمها أفعال ماضية، وبعد موتهم، فلا تصلح للشرط فناسب مجيئها بالواو.

وأما قوله تعالى: (وَلاَأَوْلاَدُهُمْ) فلما تقدم من التوكيد في قوله: (إلاَّ وَهُمْ)، وفي قوله تعالى: (وَلاَيَأْتُوْنَ) إلى (وَلاَيُنْفِقُوْنَ إلاّ)، فناسب التوكيد في قوله تعالى: (وَلاَأَوْلاَدُهُمْ) بخلاف الآية الثانية.

وأما (اللام) في الأولى، و(أَنْ) في الثانية فلأن مفعول الإرادة في الأول محذوف، واللام للتعليل تقديره: إنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ ما هم فيه من الأموال والأولاد لأجل تعذيبهم في حياتهم بما يصيبهم من فقد ذلك، ولذلك قال: (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُوْنَ) ومفعول الإرادة في الآية الثانية أَنْ يُعَذبَهُمْ لأن الأفعال المتقدمة عليه ماضية ولا تصلح للشرط ولذلك قال: (وَماتُوا وَهُمْ فَاسِقُوْنَ) وأما: (الدُّنيَا) في الثانية فلأنها صفة للحياة فأكتفي بذكر الموصوف أولا عن إعادته ثانيا[1].

الآية (٥٥) التوبة ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾

الآية (٨٥) من السورة نفسها ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

---

[1] انظر. كشف المعاني ١٩٥.

يقول المبرد " اعلم أَنَّ (أَنْ) والفِعْل بمنزلة المصدر، وهي تقع على الأفعال المضارعة فتنصبها، وهي صِلاتها، ولا تقع مع الفعل حالا؛ لأَنهالما لا يقع في الحال، ولكن لما يُستقبل.....ويقول ايضا واعلم أنَّ هذه لا تلحق بعد كل ٍ فِعْل، إِنَّما تَلْحَقُ / إذا كانت لما لم يقع بعد ما يكون توقُّعًا لا يقينًا؛ لأَنَّ اليقين ثابت، وذلك قولك : أَرجو أن تقوم يافتى، وأَخاف أَن تذهبَ يا فتى، كما قال : عزَّ وجلَّ : (نّخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرةٌ) [١].

يقول السيوطي " وإذا عطف ما بعد الفاء والواو على ما يصحّ عليه العطف من الفعل قبلها لم يكن معنى العطف كمعنى النصب، فإذا قلت : ما تأتينا فتحدثنا بالرفع على معنى العطف على : تأتينا، فكلّ واحدٍ من الفعلين مقصودٌ نفيه، وكأن أداة النفي منطوقٌ بها بعد الفاء، فإذا قلت : ما تأتينا فتحدثنا بالنصب كان انتفاء الحديث مسبّبًا عن انتفاء الإتيان. وفي التنزيل : (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُم فَيَعْتَذِرُونَ) [المرسلات :٣٦] "[٢].

جاء في شرح الجمل " وزاد بعض النحويين في معاني لام الإضافة أن تكون للعاقبة والمآل، نحو قوله تعالى: (فَالتَقَطَهُ آلُ فرعونَ ليكونَ لهم عدوًّا وحَزَنًا)، ألا ترى أَنَّ معنى " كي " يضعف هنا، لأنَّ الالتقاط لم يكن لذلك بل ليكون لهم كالولد، لكن الالتقاط كانت عاقبته إلى أَن كانَ لهم عدوًّا وحَزَنًا، والجواب : إنّ اللام هنا لام "كي "، وتكون من إقامة المُسبّب مقام السبب، لأنَّ السبب الذي التقطوه له أَن يكون لهم كالولد فكان ذلك سببًا لأنْ كان عدوًا، فحُذِف السبب وأقيم المسبّب مقامه "[٣].

يقول الفراء " قوله :﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ معناه: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا. هذا

---
(١) انظر المقتضب ٢/٢٩.
(٢) همع الهوامع ٢/٣١٤.
(٣) شرح الجمل للزجاجي ١/٥٣٨.

معناه، ولكنه أخِّر ومعناه التقديم - والله أعلم - لأنه إنما أراد: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فالحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة[١].

يقول ابن كثير " قوْلُهُ :﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: بِزَكَاتِهَا، وَالنَّفَقَةِ مِنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ، تَقْدِيرُهُ: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ، (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ) [٢] وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ قَوْلَ الْحَسَنِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الْقَوِي الْحَسَنُ[٢].

يقول السمين الحلبي " قوله تعالى{ وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ }: قيل: هذه تأكيد للآية السابقة. وقال الفارسي» :ليست للتأكيد لأن تِيْكَ في قوم، وهذه في آخرين، وقد تغاير لفظاً الاثنتين فههنا «ولا »بالواو لمناسبة عطفِ نهيٍ على نهيٍ قبلَه في قوله «:ولا تُصَلِّ، ولا تَقُمْ، ولا تُعْجبك »، فناسب ذلك الواو، وهناك بالفاءِ لمناسبةِ تعقيبِ قولِه: ولا يُنْفِقون إلا وهم كارهون«، أي: للإنفاقِ فهم مُعْجَبون بكثرة الأموالِ والأولادِ فنهاه عن الإعجاب بفاء التعقيب. وهنا »وأولادهم «دون »لا «لأنه نهيٌ عن الإعجاب بهما مجتمعين، وهناك بزيادةِ »لا «لأنه نهيٌ عن كل واحد واحد فَدَلَّ مجموعُ الاثنين على النهي بهما مجتمعَيْن ومنفردين. وهنا »أنْ يُعَذِّبهم «وهناك »ليُعَذِّبهم«، فأتى باللام مُشْعِرةً بالغلبة، ومفعولُ الإرادةِ محذوفٌ، أي: إنما يريد الله اختبارَهم بالأموال والأولاد، وأتى ب »أن «لأنَّ مَصَبَّ الإرادة التعذيبُ، أي: إنما يريد الله تعذيبَهم. فقد اختلف متعلَّقُ الإرادة في الآيتين. هذا هو الظاهر وإن كان يُحتمل أن تكونَ اللامُ زائدة، وأن تكونَ »أَنْ «على حذف لام علة. وهناك »في الحياة الدنيا «وهنا سقطت »الحياة«، تنبيهاً على خِسِّيَّة الدنيا، وأنها لا تستحق أن تُسَمَّى حياة، لا سيما وقد ذُكِرَت بعد ذِكر موتِ المنافقين فناسَبَ ألاَّ تُسَمَّى حياة[٣].

(١) انظر. معاني القرآن للفراء ٤٤٢/١.

(٢) انظر. تفسير ابن كثير

(٣) انظر. الدر ال مصون٩٤/٦.

المبحث الثاني: " اختلاف دلالة حروف الجر"

مسألة رقم(ثلاثمائة وسبعة وستون) قوله تعالى: (إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فأعبد الله) وقال تعالى بعده : (إنَّا أنزلنا إليك الكتاب للناس بالحقِ).

قال ابن جماعة : حيث قصد تعميمه وتبليغه وانتهاؤه إلى عامة الأمة قال: (إليك). وحيث قصد تشريفه وتخصيصه به قيل: (عَلَيْكَ)، وقد تقدم ذلك في آل عمران وحيث اعتب ذلك حيث وقع وجد لذلك، وذلك لأن (عَلَى) مشعر بالعلو فناسب أول من جاءه من العلو وهو النبي (صلى الله عليه وسلم).

و(إلى) مشعرة بالنهاية، فناسب ماقصد به هو وأمته لان (إلى) لاتختص بجهة معينة، ووصوله إلى الأمة كذلك لا يحتص بجهة معينة[1].

الآية (٢) من سورة الزمر﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴿٢﴾

الآية (٤١) من السورة نفسها ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

الإعراب : الجار" للناس" متعلق بأنزلنا، الجار" بالحق " متعلق بحال من فاعل " أنزلنا "، والجملة الشرطية معطوفة على جملة " إنا أنزلنا " ، "من" اسم شرط مبتدأ، والجار " فلنفسه" متعلق بخبر محذوف لمبتدأ محذوف، أي: فاهتداؤه كائن لنفسه، الجار "عليها " متعلق بحال من فاعل " يضل "، وجملة " وما أنت عليهم بوكيل" معطوفة على جواب الشرط، والباء زائدة في خبر " ما "، الجار" عليهم "متعلق بـ" وكيل ".

---

(١) كشف المعاني،ص٣١٢-٣١٣.

قال أبو القاسم الزجاجي : " إلى تكون لمنتهى غاية، كقول القائل : إنما أنا إليك أي أنت غايتي " [1] وبذلك يوافق ابن جماعة.

وقال المالقي : " واعلم أن (إلى) وغيرها من حروف الجر التي تذكر في هذا الكتاب في أبوابها لا بد لها مما تتعلق به، أي مما هو متضمن لها، ومستدع لها لطلب الفائدة واستقامة الكلام"[2].

وقال السيوطي : "إلى حرف جر له معان أشهرها انتهاء الغاية، زمانًا نحو "أتموا الصيام إلى الليل " أو مكانًا نحو "إلى المسجد الأقصى " وغيرهما نحو : "والأمر إليك أي منته إليك، ولم يذكر لها الأكثرون غير هذا المعنى "[3].

وأمّا عن "إلى" والاختصاص: مما ذكره ابن هشام من معاني (إلى) مرادفة اللام، نحو (والأمر إليك) ".

وقال ابن فارس: (وربما قامت "إلى " مقام اللام. قال الشماخ:

فالحق ببجلة ناسبهم وكن معهم *** حتى يعيروك مجدا غير موطود

واترك تراث خفاف أنهم هلكوا *** وأنت حيٌّ إلى رعل ومطرود [4].

يقول : اترك تراث خفاف لرعل ومطرود، وخفاف ورعد ومطرود بنو أب واحد" [5].

وذهب ابن هشام " (إلى) للانتهاء مطلقًا، فتعم الزمان والمكان نحو : سِرْتُ إلى البصرة، وَسِرْتُ إلى نصف الليل، وَمَذْهَبُ سيبويه، والمحققين إلى أَنَّ (إلى) تنتهي لابتداء الغاية وإما أَنْ تكونَ آخرًا، أو غير آخر ففيه تفصيل، واختلاف وذلك أَنَّ مَا بَعْدَ (إلى)، إمَّا أَنْ تَدُلَّ قرينة على دخوله فيما قبلها نحو قولك : اشْتَرَيْتُ الشقة إلى

(١) معاني الحروف للزجاجي / ص٦٥.

(٢) انظر. رصف المباني / ص١٦٧،١٦٨.

(٣) راجع. الإتقان للسيوطي. ج١.

(٤) ديوان الشماخ: ١٢٢، والشماخ هو ابن ضرار الغطفاني، شاعر مخضرم، مات سنة٢٢هـ،وبجلة: اسم قبيلة وهي بجيلة أيضا. وخفافٌ ورعل ومطرود: أسماء.

(٥) الصاحبي/ص٧٨،٧٧.

طرفها : أو خروجه نحو قوله تعالى : (أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)، فهو على حسب القرينة، نَحْوَ : اشْتَرَيْتُ البستان إلى الشجرة الفلانية، فالذي عليه أكثر المحققين أَنْ لا تدخل، فلا تدخل الشجرةُ في المشترى، وقال بعض النحاة : تدخل، وقال عبد الدايم القيرواني : إذا لم تكن قرينة، وما بَعدَ (إلى) من جنس ما قبلها احتمل أَنْ يَدْخُلَ وألَّا يدخل، والأظهر أنَّه لا يدخل "[1].

جاء في همع الهوامع " (إلى) : له معان، فيكون (الانتهاء الغاية مطلقًا) أي : زمانًا نحو : (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِيَامَ إِلَى الَّيْلِ) [البقرة :١٨٧]، ومكانًا نحو : (مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأقْصَا) [الإسراء : ١]، قال الرضيّ : ومعنى قولهم انتهاءُ الغاية وابتداؤها : نهايتها ومبدؤها، (قال ابن مالك) في التسهيل : و (التّبيين) قال في شرحه : وهي المبيّنة لفاعلية مجرورها بعد ما يفيد حُبًّا أو بغضًا من فِعل تعجب أو اسم تفضيل نحو : (رَبِّ الِسّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ) [يوسف :٣٣] "[2].

ويقول ايضًا " (على للاستعلاء) حسنًا نحو : (وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفُلْكِ تُحْمَلُون)[المؤمنون :٢٢] أو معنى نحو : (فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) [البقرة:٢٥٣]، (وَلِلرِجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)[البقرة:٢٢٨] قال ابن مالك : ومنه المُقابَلة لِلّام المفهمة ما يجب، كقوله[3]:

١٠٨٥ – فَيَومٌ عَلَيْنا ويَوْمٌ لَنا***...........................(بحر: الخفيف) [4].

قال الزمخشري " قال الشارح : اعلم أن "إلى" تدل علة انتهاء الغاية كما دلت "مِنْ" على ابتدائها، فهي نقيضتها، لأنها طَرَفٌ بإزاء طَرَفَ "مِن". ولذلك قال : إنها مُعارضة " مِنْ "، أي : مُجانِبة، ومضادة لها، ولا تختصّ بالمكان كما اختصت "مِنْ" به، كقولك : "خرجت من الكوفة إلى البصرة " ،ف "إلى "دلت أنّ منتهى خروجك البصرة، كذلك إذا قلت : "رَغِبْت إلى الله ". دللت به على أن منتهى رَغبتك الله عزّ

(١) انظر. مغني اللبيب

(٢) همع الهوامع٢ /٣٣٢.

(٣) المرجع السابق نفسه ٣٥٥/٢.

(٤) البيت لابن المستوفي الإربلي، المعروف بابن المستوفي.

وجل، وإذا كتبتُ، فقلت : "سرت إلى الكوفة "، وقد دخلت الكوفة، وجائز أن تكون قد بلغتها، ولم تدخلها ؛ لأن " إلى " نهاية، فجائز أن تقع على أوّل الجدْ، وجائزٌ أن تتوغل في المكان، ولكن تُمنع من مجاورته؛ لأن النهاية غاية، وما كان بعده شيء لم يُسَمْ غاية "[1].

ويقول أيضًا " فأمَّا "عَلَى " فكان أبو العباس يقول : إنها مشتركة بين الاسم والفعل والحرف، لا أنَّ الاسم هو الفعل والحرف، ولكن يتفق الاسم والفعل والحرف في اللفظ، فإذا كانت حرفًا ؛ دلت على معنى الاستعلاء فيما دخلت عليه، كقولك : "زيد على الفرس "، فـ "زيد" هو المستعلى على الفرس، و "عَلَى" أفادت هذا المعنى فيه، ومن ذلك " على زيدٍ دَيْنٌ"، كأنه شيء قد علاه فالمُسْتعلى عليه "زيد"...كذلك : "فلانٌ علينا أميرٌ" لا ستعلاله من جهة الأمر. ومنه قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ)، وقوله تعالى : " فإذا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ)، المراد الركوب عليه، ولا ستواء فوقه "[2].

مسألة رقم (ثلاثمائة وأربعة وأربعون) قوله تعالى(كل يجري إلى أجل مسمى)، وفي فاطر والزمر: (كل يجري لآجل مسمى)؟

يقول ابن جماعة " أنه لمّا تقدم هنا ذكر البعث والنشور بقوله تعالى: (ومَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ) وبعدها: (وَاخْشَوْا يَوْمًا) ناسب مجئ (إِلَى) الدالة) على انتهاء الغاية، لأن القيامة غاية جريان ذلك، وفاطر والزمر تقدمها ذكر نعم الله تعالى بما خلق لمصالح الخلق، فناسب المجئ"باللام" بمعنى: لأجل، والله اعلم." [3].

الآية (٢٩) من سورة لقمان، قال تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾.

---

(١) شرح المفصل ٤/٤٦٣

(٢) المرجع السابق، ص٤٩٧.

(٣) انظر. كشف المعاني، ص٢٩٧.

الآية (١٣)من سورة فاطر، قال تعالى ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾، وآيتان قبلها تتحدثان عن نعم الله.

وكذلك الآية (٥) من سورة الزمر، قوله تعالى﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

وكذا الآية (٢) من سورة الرعد، قال تعالى﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

المعنيُّ من كلام ابن جماعة " أن آية لقمان كان الحديث في الآية تقدَّمت عنها عن البعث والنشور وكيفية الخلق وما سخره الله من نعم لخدمته وذلك في قوله(وَمَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ)، ثم قال في الآيات التي تليها (وَاخْشَوْا يَوْمًا)، فكل ذلك ناسب مجئ "إلى"والتي تدل على انتهاء الغاية في قوله (كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) والغاية هي يوم القيامة، بينما في آية الزمر وفاطر والرعد تحدث أولا عن النعم وذكر مسخرات عديدة تظل باقية ومسخرة للإنسان دائما، والله أعلم".

قال ابن هشام أنه من معاني حرف الجر (إلى) هو : " انتهاءُ الغاية الزمانيَّة، نحو : (ثُمَّ اتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اليْلِ)، والمكانية نحو : (مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَا)، وإذا دَلّت قرينة على دخول ما بعدها نحو : "قرأت القرآن من أوله إلى آخره "، أو خروجه، نحو (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)، ونحو : (فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) عُمِل بها، وإلا فقيل : يدخل إنْ كان من الجنس، وقيل : مطلقًا : لا يدخل مطلقًا، وهو الصحيح ؛ لأنَّ الأكثر مع القرينة عدم الدخول ؛ فيجب الحمل عليه عند التردد "[١].

وقال السيوطي " وقد تأتي " اللام " بمعنى الاختصاص نحو : (إِنَّ لَهُ أَبًا) [يوسف : ٧٨]، { فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ } [النساء : ١١]، الجنّة للمُؤمنين. والسّرْج للفر،

---

(١) مغني اللبيب ١ /٤٨٩،٤٩٠:همع الهوامع ،انظر ارتشاف الضرب

وهذا الشّعر لفلان ،تأتي اللام بمعنى (إلى) نحو : { بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا } [الزلزلة : ٥]، [كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى] [الرّعد : ٢]، { سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه } أي استمع إليه"[١].

يقول الزمخشري " فإن قُلْتَ : يجري لأجل مسمى، ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين ! قُلْتُ : كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن، ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأنّ قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه، وقولك : يجري لأجل مسمى تريد يجري لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصًا بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به مضعه (ذلك) الذي وصف من عجائب قدرته، وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته وأنّ من دونه باطل الإلهية "[٢].

مسألة رقم(خمسة عشر) قوله تعالى (مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ)، كرر العامل مع حرف العطف في الإثبات؟

ذكر ابن جماعة " أنه حكاية قول المنافق، أنه أكّد ذلك نفيا للتهمة عن نفسه فأكذبهم الله تعالى بقوله: (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) وأكده بالباء "[٣].

البقرة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

الإعراب: (وَمِنَ النَّاسِ) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لذكر المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم فقد افتتح سبحانه، بذكر المتقين ثم ثنّى بالكافرين ظاهرا وباطنا، وثلّث بالمنافقين، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (مِنَ) اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخّر ويجوز أن تكون من نكرة

(١) همع الهوامع ٢ /٣٦٩،٣٦٨
(٢) الكشاف /ص٨٤٠.
(٣) كشف المعاني، ص٨٩.

موصوفة في محل رفع مبتدأ مؤخر كأنه قيل: ومن الناس ناس وسيأتي بحثها (يَقُولُ) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره هو والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب صلة لمن إذا كانت موصولة وصفة لها إذا كانت نكرة موصوفة (آمَنَّا)

فعل وفاعل والجملة الفعلية في محل نصب مقول للقول (بِاللَّهِ) الجار والمجرور متعلقان بآمنا (وَبِالْيَوْمِ) عطف على بالله (الْآخِرِ) نعت لليوم (وَما) الواو حاليّة وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (هُمْ) ضمير منفصل في محل رفع اسم ما (بِمُؤْمِنِينَ) الباء حرف جر زائد للتوكيد لأنه ليس في القرآن حرف جر زائد ولكنه الاصطلاح النحوي جرى على ذلك.

وقال الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) " فجعل اللفظ واحدا، ثم قال ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ فجعل اللفظ. جميعا، وذلك ان ﴿مَنْ﴾ اللفظ بها لفظ واحد، ويكون جميعا في المعنى، ويكون اثنين. فان لفظت بفعله على معناه فهو صحيح. وان جعلت فعله على لفظه واحدا فهو صحيح [و] مما جاء من ذلك قوله ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقال ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ وقال ﴿وَمِنهُمْ مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ وقال ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ فقال ﴿يَقْنُتْ﴾ فجعله على اللفظ، لان اللفظ في ﴿مَن﴾ مذكر وجعل ﴿تَعْمَلْ﴾ و ﴿نُؤْتِهَآ﴾ على المعنى. وقد قال بعضهم ﴿ويَعْمَلْ﴾ فجعله على اللفظ لان لفظ ﴿مَنْ﴾ مذكر. وقد قال بعضهم ﴿وَمَنْ تَقْنُتْ﴾ فجعله على المعنى لانه يعني امرأة. وهي حجة على من قال: "لا يكون اللفظ في مَن على المعنى الا ان تكون ﴿مَنْ﴾ في معنى ﴿الذي﴾، فاما [في] المجازاة والاستفهام فلا يكون اللفظ في ﴿مَنْ﴾ على المعنى[1].

وجاء في تفسير ابن كثير: " قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عكْرِمة، أَوْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْر، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

(١) انظر. معاني القرآن للأخفش ٣٦/١.

وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَمَنْ كَانَ عَلَى أَمْرِهِمْ"[١].

(١) انظر تفسير الطبري

الفصل الثالث

"دلالة عَوَارِض التركيب"

المبحث الأول: اختلاف دلالة الذكر والحذف في الآيات المتشابهة.

المبحث الثاني: اختلاف دلالة التقديم والتأخير في الآيات المتشابهة.

المبحث الثالث: مسائل متفرقة في تفسير ابن جماعة للآيات المتشابهة.

المبحث الأول: "اختلاف دلالة الذكر والحذف "

حسن العبارة في كثير من التراكيب والأساليب يرجع (إلى ما يعمد إليه المتكلم من حذف مالا يغمض به المعنى، ولا يلتوي وراءه القصد، وإنما هو تصرف تصفى به العبارة، ويشتد به أسرها ويقوى حبكها ويتكاثر إيحاؤها ويمتلئ مبناها..

وكان أول من وسّع الكلام في مزايا الذكر والحذف، وأظهر أسراره، وأوضح معانيه الإمام عبد القاهر الجرجاني فقد أفاض الحديث عن سحره وعجيب أسراره، فبسط القول في حذف المبتدأ، وحذف الخبر، وكذلك الفاعل والمفعول، وبذلك فتح بابًا ومهد طريقًا لمن بعده[١].

يقول رحمه الله عن أهميته في مطلع حديثه:(هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن) [٢].

وفي طبع اللغة ان تسقط من الألفاظ مايدل عليه غيره، أو مايرشد إليه سياق الكلام أو دلالة الحال، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ، أو السامع، وتعول على إثارة حسه، وبعث خياله، وتنشيط، حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللمحة، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير) [٣].

وهذا الموضوع يعد أغزر فصول هذه الرسالة، فالآيات المتشابهة في القرآن الكريم التي تختلف من حيث الذكر والحذف كثيرة جدًا، فإن من يتأمل القرآن الكريم ويتتبع الآيات المتشابهة يلحظ ذلك لاسيما في القصص القرآني، ويدور الحديث حول ثلاثة محاور رئيسة:

الأول: حذف الحروف، وهو مايطلق عليه حذف جزء الكلمة.

---

(١) انظر: دلائل الاعجاز ١٤٦ – ١٧٢

(٢) المصدر السابق:١٤٦

(٣) الدكتور: أبو موسى خصائص التراكيب:١١١

الثاني: حذف الكلمة، وهو مايطلق عليه حذف جزء الجملة.

الثالث: حذف الجملة.

أولًا: الذكر والحذف في الحروف:

المسألة رقم (ثلاثمائة وخمسة وسبعون) قوله تعالى:(حتَّى إذا جآءها فتحت أبوابها)، وقال في الجنة: وفتحت أبوابها) بالواو؟

يقول ابن جماعة " الأحسن ما قيل: أن "الواو" واو الحال، وذلك أن الأكابر الأجلاء الأعزاء تفتح لهم أبواب الأماكن التي يقصدونها قبل وصولهم إليها إكرامًا لهم وتبجيلًا، وصيانة من وقوفهم منتظرين فتحها، والمهان لا يفتح له الباب إلّا بعد وقوفه وامتهانه، فذكر أهل الجنة بما يليق بهم، وذكر أهل النار بما يليق بهم- ص١٠٨- ويؤيد ذلك: (جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ) [١].

الآية (٧١) من سورة الزمر، قال تعالى﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾.

الآية (٧٣) من سورة الزمر، قال تعالى﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾.

يقول الزمخشري في هذه الآية: " وقيل:حتى إذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها أي مع فتح أبوابها وقيل: أنها أبواب جهنم، بينما أبواب الجنة فمتقدّم فتحها بدليل قوله: جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك جئ بالواو كأنه قيل: حتى إذا جاؤها وقد فتحت أبوابها." [٢].

---

(١) كشف المعاني، ص٣١٦-٣١٧.

(٢) راجع الكشاف ص٩٤٩.

وقد ذكر محقق كتاب "كشف المعاني في المتشابه من المثاني "عبد الجواد خلف عن أصل هذه الواو في الحاشية قائلًا "وقيل أيضًا بأن الواو هنا: - واو الثمانية – وقد ذكر ابن جماعة معناها في مسائل سورة الكهف".

وذكر الكرماني في مصنفه أن قوله:(فُتِحَتْ أَبْوابُها)، وبعده:(وَفُتِحَت) بالواو للحال، أي: جاءُوها وقد فتحت أبوابها، وقيل: الواو في (وقالَ لهُم خَزَنَتُها) زائدة وهو الجواب، وقيل: الواو واو الثمانية*(أعرفها في الحاشية)

كما ذُكِر في البرهان أيضًا أن قوله:(وفُتِحَت أبوابُها) [1] زعموا أن هذه الواو تدل على أن أبوابها ثمانية.

ترجيح الآراء: يري ابن جماعة أن (الواو) هنا هي واو الثمانية ويوافقه في هذا ماذهب إليه الكرماني قبله، ولكن الزمخشري له رأي أخر وهو أنها (واو)الحال، وإأنا في رأيي أن كلهما صحيح. والله اعلم.

مسألة رقم(تسعون) قوله تعالى: (وبذي القربي)، وفي البقرة: (وذي القربي) بغير باء في (ذي القربي).

يقول ابن جماعة " أن آية البقرة حكاية عما مضي من أخذ ميثاق بني إسرائيل وآية النساء من أوله إلي هنا في ذكر الأقارب وأحكامهم في المواريث والوصايا والصّلات، وهو مطلوب، فناسب التوكيد بالباء"[2].

---

(١) في قوله تعالى في سورة الكهف (وَيَقُولُون سَبعَة وثامنهُم كَلْبُهُم) ، جاء في هذه الواو أقوال: إحداها: أن الأول والثاني وصفان لما قبلها، أي: هم ثلاثة، وكذلك الثاني، أي: هم خمسة سادسهم كلبهم، والثالث عطف على ما قبله، أي: هم سبعة، عطف عليه (وثامنهم كلبهم) ، وقيل: كل واحد من الثلاثة جملة وقعت بعدها جملة، وكل جملة وقعت بعدها جملة فيها عائد يعود منها إليها، فأنت في إلحاق واو العطف وحذفها بالخيار، وليس في هذين القولين ما يوجب تخصيص الثالث بالواو.

وقال بعض النحويين: السبعة نهاية العدد، ولهذا كثر ذكرها في القرآن والأخبار، والثمانية تجرى مجرى استئناف كلام، ومن هنا لقبه جماعة من المفسرين بواو الثمانية، واستدلوا بقوله سبحانه: (التَّائِبُون العَابِدُون الحامدُون –إلى – والنَّاهُون عن المنكر)، وبقوله: (مُسلِمَات مؤْمنَات قانِتَات – إلى-ثيباتٍ وَأَبْكَارًا).

(٢) كشف المعاني،ص١٣٧.

الآية (٣٦) النساء : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾.

الآية (٨٣) البقرة : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

يقول ابن عادل " قوله: ﴿ وَبِذِي القربى﴾ فأعاد الباء، وذلك لأنها في حق هذه الأمَّة، فالاعتناء بها أكثر، وإعادة الباء تدل على زيادة تأكيد فنتسب ذلك هنا، بخلاف آية البَقَرَة، فإنَّها في حقِّ بني إسْرائيل، والمراد الأمْر بصلَة الرَّحم، كما ذكر في أول السُّورة بقوله :﴿ والأرحام﴾ [النساء:١] [١].

الإعراب : (الواو) استئنافية (اعبدوا) فعل أمر مبني على حذف النون... والواو فاعل (الله) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (لا) ناهية جازمة (تشركوا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (الباء) حرف جر و(الهاء) ضمير في محل جر بالباء متعلق ب (تشركوا)، (شيئا) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (بالوالدين) جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره استوصوا، وعلامة الجر الياء، (إحسانا) مفعول به عامله الفعل المقدر منصوب، (الواو) عاطفة (بذي) مثل بالوالدين ويتعلق بما تعلق به... وعلامة الجر الياء (القربى) مضاف إليه مجرور وعلامة الجر الكسرة المقدرة على الألف (الواو) عاطفة (اليتامى) معطوف على ذي القربى مجرور مثله وعلامة الجر الكسرة المقدرة على الألف..." أن الباء المفردة قد تأتي للتوكيد وهي الزائدة فيقول (ابن هشام) "مما تُزاد فيه الباء : المفعول { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }، { وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ }، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ }، {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلحَادٍ بِظُلْمٍ }، { فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ }، أي يسمح السُّوْقَ مَسحًا، ويجوز أن يكون صفة، أي مسحًا واقعًا بالسوق وقوله :

---

(١) انظر. اللّباب لابن عادل

نضرب بالسيف ونرجو بالفَرَج ***......................... [1].

الشاهد في الثانية، فأما الأولى فللاستعانة[2].

يقول الزمخشري " قال الشارح : قد تزاد الباء في الكلام، والمراد بقولنا : " تزاد " أنها تجيء توكيدًا، ولم تُحْدِث معنىً من المعاني المذكورة، كما أنْ " ما" في قوله تعالى : { فَبِمَا نَقْضِهِم }، و { عَمَّا قَلِيل } و { مِنْ خَطَايَهُم } كذلك. وتقديره : فبنَقْضهم، وعن قليل، ومن خطاياهم. وجملةُ الأمرأن الباء قد زيدت في مواضع مخصوصة، وذلك مع المبتدأ والخبر، ومع الفاعل والمفعول، وفي خبرِ "لَيْسَ "، و "ما" الحجازية، فأمّا زيادتها مع المبتدأ، ففي موضع واحد، وهو قولهم : "بحَسْبك أن تفعل الخير"، معناه : حَسْبُك فَعْل الخير، فالجار والمجرور في موضع رفع بالابتداء[3].

قال السمين الحلبي " قوله تعالى { وبالوالدين إِحْسَاناً} تقدَّم نظيرتها في البقرة، إلا أنَّ هنا قال: { وَبِذِي القربى } بإعادة الباء، وذلك لأنها في حَقِّ هذه الأمةِ فالاعتناءُ بها أكثرُ، وإعادةُ الباءِ يَدُلُّ على زيادة تأكيد فناسب ذلك هنا بخلافِ آية البقرة فإنها في حق بني إسرائيل[4].

والواضح من كل الآراء السابقة: أن ابن جماعة قد اصاب في هذا التفسير على المستوى النحويّ بناءا على ما قاله (ابن هشام)، وما قاله(الزمخشري)، واصاب ايضا في المعنى وهو مايؤكده كلام (السمين الحلبي).

مسألة رقم(مائة واثنتان وثلاثون) قوله تعالى: (إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله)، وفي النحل وغيرها: (بمن ضلّ عن سبيله)؟

---

(١) التخريج: البيت لأبي عبيدة هو نابغة بني جعدة والبيت في خزانة الأدب (١٦٠/٤) والطبري (٤/١٨) وفتح القدير(٤٧٨/٣) وشطره: نحن بنو جعدة أرباب الفلج. ووقع في الطبري نضرب بالبيض بدلا من السيوف.

(٢) انظر. همع الهوامع ١٦١/٢.

(٣) انظر. شرح المفصل ٤٧٩/٤.

(٤) انظر. الدر المصون ٦٧٤/٣.

ذكر ابن جماعة " أن الأصل دخول الباء فيه، لكن تقدم قوله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رِسالته) [1].

الآية (١١٧)الأنعام﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

الآية ١٢٥ النحل ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾. وكذلك الآية ٣٠النجم، الآية ٦ القلم

التحليل: { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } إن واسمها وهو مبتدأ وأعلم خبر والجملة خبر إن وبمن متعلقان بأعلم وجملة ضل صلة وعن سبيله متعلقان بضل وهو مبتدأ وأعلم خبر وبالمهتدين متعلقان بأعلم.

واختلف أهل العربيّة في موضع (من) في قوله} :إنّ ربّك هو أعلم من يضلّ{، فقال بعض نحويّي البصرة: موضعه خفضٌ بنيّة الباء، قال: ومعنى الكلام: إنّ ربّك هو أعلم بمن يضلّ .وقال بعض نحويّي الكوفة: موضعه رفعٌ، لأنّه بمعنى أيٍّ، والرّافع له (يضلّ) والصّواب من القول في ذلك: أنّه رفع بـ (يضلّ) وهو في معنى أيٍّ.

وغير معلومٍ في كلام العرب اسمٌ مخفوضٌ بغير خافضٍ فيكون هذا له نظيرًا. وقد زعم بعضهم أنّ قوله: {أعلم} في هذا الموضع بمعنى (يعلم)، واستشهد لقيله ببيت حاتمٍ الطّائيّ:

فحالفت طيّئٌ من دوننا حلفًا. ***......واللّه أعلم ما كنّا لهم خذلا

وبقول الخنساء:

القوم أعلم أنّ جفنته *** تغدو غداة الرّيح أو تسري

وهذا الّذي قاله قائل هذا التّأويل، وإن كان جائزًا في كلام العرب، فليس قول اللّه تعالى} :إنّ ربّك هو أعلم من يضلّ عن سبيله {منه، وذلك أنّه عطف عليه

(١)

بقوله} :وهو أعلم بالمهتدين {فأبان بدخول الباء في (المهتدين) أنّ (أعلم) ليس بمعنى (يعلم)، لأنّ ذلك إذ كان بمعنى يفعل لم يوصل بالباء، كما لا يقال هو يعلم بزيدٍ، بمعنى يعلم زيدًا[1].

ويقول أبو حيّان" وَذَكَرَ ابْنُ مالك أن الباء نزاد عوضًا وانشد: [البسيط]

ولا يُواسِيكَ فيما نابَ مِنْ حَدَثٍ *** إلَّا أَخُو ثِقَةٍ فانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ [2].

قال: أرادَ مَنْ تَثِقُ بِهِ، زادَ الباءَ قَبْلَ (مِنْ) عِوَضًا انتهى وَقَدْ تَأَوَّلْناه في الشرح على غير الزيادة"[3].

وذكر الإسكافي فيما يخص" الباء " ويجوز أن تكون "الباء" بمعناها على ما يُقال: فلان بالله وبك، أي: ثباته به وبك، معناه: ستعلم بأيّ الطائفتين ثباتُ الجنون ودوام الفتون، وإذا كان مدار الكلام على أنه سيبصر بأيّكم الخبال والجنون كان قوله تعالى بـ "أيّ": { إنّ ربّك هو أعلم بمن ضل عن سبيله} أي: الله أعلم بي وبكم، وبالمخبَّل والمجنون مني ومنكم"، وإذا قال: {إن ربّك هو أعلم بمن ضل عن سبيله} أي: هو أعل بابتداء ضلاله وانتهاء أمره، وهل يقيم على كفره أم بقلع عن غيّة لرشده، فقد بان لك أنّ كل موضع أتى فيه بما اقتضاه المعنى من اللفظ"[4]، وبهذا يكون قد سبقه الإسكافي في هذا التفسير.

مسألة رقم (مائة وأربعة وثلاثون) قوله تعالى: (إِنِّي عامل فسوف تعلمون) هنا وفي الزمر. وفي قصة شعيب في هود: (سوف تعلمون)، بغير فاء.

---

(1) جامع البيان: ٩/ ٥٠٩-٥١١.

(2) البيت منسوب لسالم بن وابصة في شواهد المغنى للسيوطي٤١٩ النوادر لأبي زيد٤٩٠.

(3) انظر. ارتشاف الضرب، ص١٧٠٥.

(4) انظر. درة التنزيل ٢/ ٧٠.

يقول ابن جماعة " أن "القول " في آيتى الأنعام والزمر بأمر الله تعالى له بقوله : { قُلْ } فناسب التوكيد في حصول الموعود به " بفاء " السببية "، وآية هود من قول " شعيب " قلم يؤكد ذلك[1].

الآية (١٣٥)الأنعام﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾.

الآية(٩٣)هود﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾.

يقول ابن هشام: أن الفاء المفردة قد تفيد السببية، وذلك غالب في العاطفة جملة أو صفة فالأول: نحو: { فَوَكزهُ مُوسَى فقضى عَلَيْهِ }،ونحو:{ فَتَلَقى ءَادَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) والثاني: نحو:{ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقُّومٍ * فَمَالِؤُنَ مِنْهَا البُطُونَ*فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الحَمِيمِ}[2].

يقول الزجاج (ت ٣١١هـ) " فَإِنْ قالَ قائِلٌ: فَكَيْفَ يَجُوزُ أنْ يَأْمُرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أنْ يُقِيمُوا عَلى الكُفْرِ، فَيَقُولَ لَهم: "اِعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكم" ؟ فَإنَّما مَعْنى هَذا الأمْرِ المُبالَغَةُ في الوَعِيدِ، لِأنَّ قَوْلَهُ لَهم: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ إنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ﴾، قَدْ أعْلَمَهم أنَّ مَن عَمِلَ بِعَمَلِهِمْ فَإلى النّارِ مَصِيرُهُ، فَقالَ لَهم: "أقِيمُوا عَلى ما أنْتُمْ عَلَيْهِ إنْ رَضِيتُمُ العَذابَ بِالنّارِ"[3].

ثانيا: حذف الكلمة (جزء الجملة) ومنها حذف اسلوب النداء في المسألةالتالية:

مسألة رقم (مائة وأربعة) قوله تعالى: (وإذا قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم) وفي إبراهيم: (وإذ قال موسى لقومه اذكروا) بغير نداء؟.

---

(١) انظر. كشف المعاني، ص١٦٧.

(٢) مغني اللبيب ١/ ٤٨٦.

(٣) انظر. معاني القرآن للزجاج ٢/٢٩٤.

يذكر ابن جماعة " أن الخطاب بحرف النداء واسم المنادى أبلغ وأخص في التنبيه على المقصود، وفيه دليل على الاعتناء بالمنادى، وتخصيصه بما يريد أن يقوله له.

فلما كانت آية المائدة في ذكر أشرف العطايا من النبوة والملك وإيتاء ما لم يؤت أحدا من العالمين وهو المنّ والسلوى وهم ملتبسون به حالة النداء حق لها وناسب مزيد الاعتناء بالنداء، وتخصيص المنادي، ولذلك أيضا قال: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة)لأن ذلك من أعظم النعم عليهم، فناسب التخصيص بذكر المنادى.

ولما كانت آية إبراهيم بذكر ما أنجاهم الله تعالى منه من قبل فرعون وكان ذلك ممامضى زمانه لم يأت فيه بمزيد الاعتناء كما تقدم في المائدة "[١].

الآية (٢٠) من سورة مائدة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

الآية (٦) إبراهيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

يقول الرضي(ت ٦٤٦هـ) " يعنى بالجنس ما كان نكرة قبل النداء، سواء تعرَّف بالنداء، كيارجلُ، أو لم يتعرَّف، كيارجلًا، وسواء كان مفردًا أو مضافًا أو مضارعًا له، نحو: ياغلام فاضل، وياحسن الوجه، ويا ضاربًا زيدًا، قصدت بهذه الثلاثة واحدًا بعينه، أو، لا؛ وإنما لا تحذف من النكرة، لأن حرف التنبيه إنما يُستغنى عنه إذا كان المنادى مقبلًا عليك متنبهًا لما تقول، ولا يكون هذا إلا في المعرفة، لأنها مقصودة قصدَها؛ وإنما لا تحذفه من المعرفة المتعرفة

بحرف النداء، إذ هي، إذن، حرف تعريف، وحرف التعريف لا يحذف مما تعرف به، حتى لا يُظن بقاؤه على أصل التنكير، ألا ترى أن لام التعريف لا تحذف ن المتعرف

(١) انظر. كشف المعاني، ص١٤٩.

بها، وحرف النداء أولى منها بعدم الحذف، إذ هي مفيدة مع التعريف: التنبيه والخطاب"[1].

وممّا يوضّح كلام ابن جماعة ماقاله ابن عصفور فيذكر قائلًا " ويجوز حذف حرف النداء من المنادى المفرد العلم لدلالة الإقبال عليه، نحو قوله تعالى: { يوسف أَعرِضْ عن هذا}، ولا يجوز حذفه من النكرة غير المقبل عليها، لأنّه ليس في الكلام إقبال يقوم مقامه، ولا مما يصلح من المناديات أن يكون صفة لِ "أيّ"، وذلك في ضرورة شعر كقوله (من الطويل) :

[وَحَتَّى يبيتَ القَوْمُ في الصَّيفِ لَيْلَةً] يَقولون نَوِّرْ صُبْحُ وَالليلُ عاتمُ[2].

يريد: يا صبحُ، ونحو قولهم: افتَد مَخنوقُ، وأَطرِق كَرا، يريد: افتدِ يا مخنوقُ، وأَطرِقُ يا كرَا.

وإنَّما لم يحذف حرف النداء لئلا يكثر الحذف، لأنّه في الأصل: يا أيُّها الرجلُ، فحذفت " أيًّا " وصلتها والألف واللام، وأنت تريد : يا هذا، لأنَّه الأصل : يا أيهذا الرجلُ، فلوم حذفت حرف النداء لتوالَى الحذف أيضًا، ولا يجوز هذا في ضرورة شعر لأنَّ فيه إبهامًا يمنع من ذلك، لأنّك إذا قلت : هذا، ففيه من الإبهام ما أشبه به النكرة فلذلك لُحِّن أبو الطّيب في قوله[3] [من الرجز]:

هذي بَرَزْتِ لنا فهِجْتِ رَسِيسا ***] ثم انثَنيتِ وما شفيتِ نسيسا]"[4].

---

(١) انظر. شرح الكافية للرضي ٤٢٥،٤٢٦/١.

(٢) التخريج: البيت للأعشى في ديوانه ص١٢٧؛ ولسان العرب٥٩٧/١٢(نوم) ؛وبلا نسبة في لسان العرب٢٤٠/٥(نور) ؛ وتاج العروس٣٠٣/١٤(نور).، المعنى: كي يسهر القوم ليلة صيفية، يقولون المصباح: تعال، ولا يزال الليل مظلما، والشاهد فيه قوله: "نور صبح" حيث حذف حرف النداء قبل النكرة، وذلك من ضرورات الشعر.

(٣) انظر. شرح الجمل للزجاجي ١٨٥/٢.

(٤) تخريج البيت: البيت للمتنبي في ديوانه٣٠١/٢؛ وبلا نسبة في شرح الأشموني٤٤٤/٢؛ والمقرب١٧٧/١، المعنى: يا من ظهرت لنا فسبيتنا بجمالك ثم عدت عنا، فزدتنا بك تعلقًا، اللغة: رسيسا من الرسيس وهو ابتداء الحب، اثنى: مال وعاد من النسيس وهو من تبقى به شيء من الروح والنسيس فضله الروح وبقيتها، والشاهد فيه قوله: هذي حذف حرف النداء من اسم الإشارة على عادة الكوفيين.

ذكر السيوطي أن ابن مالك قال" حق المنادى أن يمنع حذفه، لأن عامله حذف لزوما، إلا أن العرب أجازت حذفه والتزمت إبقاء "يا" دليلًا عليه، وكون ما بعده أمرًا، أو دعاء، لأنهما داعيان إلى توكيد المأمور والمدعُو، فاستعمل النداء قبلهما كثيرًا حتى صار الموضع منبّهًا على المنادى إذا حذف وبقيت "يا" فحسن حذفه لذلك[1].

أجاب الخطيب الإسكافي على هذا السؤال بما حاصله: إن تسمية المخاطب بندائه مع إقبالٍ عليه، يفيد مبالغة في التنبيه له؛ فإذا قال القائل: افعل كذا يا فلان، فكأنه قال: أعينك بخطابي لا غيرك، ممن يصح لأن ينصرف الخطاب إليه، ألا ترى أنه إذا عُرِي من النداء صَلَح لكل مخاطب، فإذا قارن النداء فعل أمر، كان مقصوراً على صاحب الاسم الذي دخله حرف النداء، والمبالغة في التنبيه حقها أن تكون في الأهم الأعم نفعاً.

فقوله تعالى في آية سورة المائدة: {وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا} الآية، يصح أن يجاب عنه بجوابين:

أحدهما: أن يقال: لما نبهم على ما خصهم به من الإكرام: ليشكروا على هذه النعم العظام، بأن جعل فيهم أنبياء مقيمين بين ظهرانيهم، يدعونهم إلى طاعة ربهم، ويثنونهم عن المحظور من شهواتهم، وأن جعلهم ملوكاً حيث أغناهم -بما أنزل عليهم من المن والسلوى- عن الحاجة إلى الناس في التماس الرزق من أمثالهم، وتكفل خدمتهم وأعمالهم، وبما ملكهم من المال والعبيد والإماء، الذين كانوا يخدمونهم ويكفونهم ما يحتاجون إلى مباشرته بأنفسهم. والمنَبَّه عليه في هذا المكان أشرف ما يخوله الإنسان، من النبوة التي لها أشرف منازل الثواب، والمُلك الذي هو غاية ما تسموا الهمم في دار التكليف إليه، فنبهوا بأبلغ الألفاظ: ليقوموا بشكر ما عليهم من الإنعام. أما الآية التي في سورة إبراهيم، ففيها تنبيه على ما صرف عنهم من البلاء والعذاب، وليس هو كالتنبيه على تخويل أشرف العطاء مع صرف البلاء.

(١) انظر. همع الهوامع ٢ /٣٥.

وجواب ثان: وهو أن المن والسلوى مما لم يُنْعِم به على أحد قبل بني إسرائيل ولا بعدهم؛ فلذلك قال: {وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين} (المائدة:٢٠)، فإذا نُبهوا على شكر نعمة خُصوا بها دون الناس كلهم، كانت المبالغة في ذلك أولى.

وجواب ثالث: وهو أن يقال: لما جعل الخطاب بعد قوله: {يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير} (المائدة:١٥) وقوله: {يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل} في آيتين، وصدر المخاطبات بأداة النداء، نبه فيها المخاطبين بمناداتهم فيما حكى من أقوالهم، كقوله تعالى بعده: {يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم} (المائدة:٢١)، وقوله: {قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين} (المائدة:٢٢) وقوله: {قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها} (المائدة:٢٤)، وبعده قوله: {قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي} (المائدة:٢٥)، كان الاختيار أن يجري مجرى نظائره المتقدمة والمتأخرة، ولم يكن شيء من ذلك في الآية التي في سورة إبراهيم، فلم يذكر هناك {يا قوم} لأجل هذا.

وقريب من جواب الإسكافي أجاب ابن الزبير الغرناطي عن توجيه ما جاء في كل من الآيتين، فقال: لما اعتمد في آية المائدة تذكيرهم بضروب من الآلاء، والنعم الجسام، من جَعْل الأنبياء فيهم، وجَعْلهم ملوكاً، وإعطائهم ما لم يعطِ غيرهم؛ كل ذلك تعريفاً باعتنائه سبحانه بهم، وتفضيلهم على من عاصرهم، وتقدمهم على أمم الأنبياء قبلهم، فناسب ذلك نداء موسى عليه السلام بقوله: {يا قوم} بالإضافة إلى ضميره؛ إخباراً بالقرب والمزية، وناسب هذا النداء المنبئ بالاعتناء ما تقدم من تخصيصهم بما عقَّب به النداء من التشريف بما منحهم من الآلاء والنِّعم الجسام. ولما قصد في آية سورة إبراهيم تذكيرهم بنجاتهم من آل فرعون، وما كان يسومهم به من ذبح ذكور أبنائهم، واستحياء نسائهم للمهنة، ولم يذكر هنا شيء مما في آية المائدة؛ لما اقتصر عليه هنا من التذكير بمجرد الإنجاء، ناسب ذلك الاقتصار على خطابهم دون النداء؛ رعياً للمناسبة.

وذكر ابن جماعة -وتبعه الفيروزآبادي- في توجيه ما جاء في كل من الآيتين نحواً مما ذكره الخطيب الإسكافي وابن الزبير الغرناطي.

ومن حذف الجار والمجرور ما جاء في المسألة رقم(مائة وخمسة وعشرين) قوله تعالى : (ولا أقول لكم إني ملك).

وفي هود: حذف لكم؟

والذي قاله ابن جماعة في هذه المسألة " أن آية هود تقدمها (لكم) مرات عدة، فاكتفي به تخفيفا، ولم يتقدم هنا سوى مرة واحدة[1].

الآية (٥٠) سورة الأنعام ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

الآية (٣١) سورة هود ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾

وقد نَوَّهَه السيوطي (ت هـ) لهذه اللام قائلا أنها قد تفيد "التبليغ" وهي الجارة لاسم السامع لقول أو ما في معناه نحو: قلت له، وأذنت له، وفسّرت له[2].

وجاء تعليل الزجاج (ت٣١١هـ) موافقًا لرأي ابن جماعة حيث ذكر أن " قَوْلُهُ : ﴿قُلْ لا أقُولُ لَكم عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ﴾، هَذا مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ :﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ﴾]الأنعام: ٣٧[، فَأعْلَمَهُمُ النَّبِيُّ(صلى الله عليه وسلم) أنَّهُ لا يَمْلِكُ خَزائِنَ اللَّهِ الَّتِي بِها يَرْزُقُ، ويُعْطِي، وأنَّهُ لا يَعْلَمُ الغَيْبَ، فَيُخْبِرَهم بِما غابَ عَنْهُ مِمّا مَضى، وما سَيَكُونُ، إلّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ - جَلَّ وعَزَّ- ، ﴿ولا أقُولُ لَكم إنِّي مَلَكٌ﴾، أيْ: اَلْمَلَكُ يُشاهِدُ مِن أُمُورِ اللَّهِ - عَزَّوجَلَّ - ما لا يُشاهِدُهُ البَشَرُ، فَأعْلَمَهم أنَّهُ يَتَّبِعُ الوَحْيَ..."

ويقول في آية هود " وقوله: { وَلاَ أَعْلَمُ الغيب} الظاهر أن هذه الجملةَ لا محلَّ لها عطفاً على قوله { وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ} كأنه أخبر عن نفسه بهذه [الجمل الثلاث]. وقد تقدَّم في الأنعام [أن هذا هو المختار] وأن الزمخشري قال: " إنَّ قوله تعالى: {وَلاَ أَعْلَمُ

(١) كشف المعاني،ص١٦١.

(٢) راجع. همع الهوامع ٣٦٧/٢.

الغيب {معطوفٌ على» عندي خزائن ". أي: لا أقولُ: عندي خزائن اللَّه، ولا أقول: أنا أعلمُ الغيب"[1].

ويقول السمين(ت ٧٥٦هـ) " قوله: { ولا أَعْلَمُ الغيب} في محلِّ هذه الجملة وجهان، أحدهما: النصب عطفاً على قوله (عندي خزائنُ الله)لأنه من جملة المقول، كأنه قال: لا أقول لكم هذا القولَ ولا هذا القولَ. قاله الزمشخري، وفيه نظرٌ من حيث إنه يؤدي إلى أنه يصير التقدير: ولا أقول لكم لا أَعْلَمُ الغيب، وليس بصحيحٍ. والثاني: أنه معطوف على (لا أقول) لا معمولٌ له، فهو أمَرَ أن يُخْبِرَ عن نفسه بهذه الجمل الثلاث فهي معمولة للأمر الذي هو (قل)، وهذا تخريجُ الشيخ، قال بعد أن حكى قول الزمخشري: ولا يتعيَّنُ ما قاله، بل الظاهرُ أنه معطوفٌ على «ألاَّ أقول »إلى آخره[2].

وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)عن(اللام) " واللّامُ في لَكم لامُ التَّبْلِيغِ، وهي مُفِيدَةٌ تَقْوِيَةَ فِعْلِ القَوْلِ عِنْدَما لا تَكُونُ حاجَةٌ لِذِكْرِ المُواجَهِ بِالقَوْلِ كَما هُنا لِظُهُورِ أنَّ المُواجَهَ بِالقَوْلِ هُمُ المُكَذِّبُونَ، ولِذَلِكَ ورَدَ قَوْلُهُ تَعالى ﴿ولا أقُولُ إنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١] مُجَرَّدًا عَنْ لامِ التَّبْلِيغِ. فَإذا كانَ الغَرَضُ ذِكْرَ المُواجَهِ بِالقَوْلِ فاللّامُ حِينَئِذٍ تُسَمّى لامَ تَعْدِيَةِ فِعْلِ القَوْلِ فالَّذِي اقْتَضى اجْتِلابَ هَذِهِ اللّامِ هُنا هو هَذا القَوْلُ بِحَيْثُ لَوْ قالَهُ قائِلٌ لَكانَ جَدِيرًا بِلامِ التَّبْلِيغ[3].

وفي النهاية فإن كل الآراء السابقة تتفق مع ماقاله ابن جماعة في تفسيره لهذه المسألة.

مسألة (أربعة وخمسون): قوله تعالى:{وقاتلوهُم حتَّى لا تكون فتنة، ويكون الدِّينُ لله}.

---

(١) معاني القرآن. للزجاج ٢/ ٢٥٠.
(٢) انظر. الدر المصون ٦٣٨/٤.
(٣) انظر. فتح القدير، ص٤٢٠.

وقال تعالى في الأنفال:{ويكون الدين كله لله}.

وأجاب ابن جماعة قائلًا : " أن آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة في سرية عبد الله بن جحش لعمرو بن الحضرمي وصناديد مكة أحياء، ولم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم تلك الحال.

وآية الأنفال: نزلت بعد وقعة بدر، وقتل صناديدهم، فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة عامة وغيرهم، فأكد سبحانه وتعالى رجاءهم ذلك بقوله تعالى:{ويكونَ الدِّينُ كُلُّه لله}أي: لاي عبد سواه"([1]) ص١١٤

الآية ١٩٣ البقرة﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾.

الآية ٣٩ الأنفال﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

وذكر ابن مالك أن " هذا هو الضّرْبُ الثاني من التوكيد المعنوي، وهو: ما يرفع تَوَهُّمَ عدِ إرادة الشُّمُولِ، والمُسْتَعْمَلُ لذلك " كُلٌّ، وَكِلاَ، وَكِلْتَا، وَجَميعٌ"، فيؤكد بكل وجميع ما كان ذا أجزاء يَصِحُّ وُقُوعُ بعضها مَوْقِعَهُ، نحو: " جَاءَ الرَّكْبُ كُلُّهُ، أو جَمِيعُهُ، والقَبِيلَة كُلَّهَا، أو جَمِيعُهَا، والرِّجَالُ كُلُّهُمْ، أو جَمِيعُهُمْ، والهِنْدَاتُ كُلُّهُنَّ، أو جَمِيعُهُنَّ" ولا تقول:"جَاءَ زَيْدٌ كُله"([2]).

وفسّرالزمخشري قوله ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ويضمحل عنهم كل دين باطل، ويبقى فيهم دين الإسلام وحده فَإِنِ انْتَهَوْا عن الكفر وأسلموا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يثيبهم على توبتهم وإسلامهم. وقرئ: تعملون، بالتاء، فيكون المعنى: فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور

---

(١) انظر. كشف المعاني، ص١٣٣.

(٢) شرح ابن عقيل ٣/٣٠٨،٣٠٧.

الإسلام بَصِيرٌ يجازيكم عليه أحسن الجزاء وَإِنْ تَوَلَّوْا ولم ينتهوا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ أى ناصركم ومعينكم، فثقوا بولايته ونصرته"[1].

وقال ابن عطية " وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَقاتِلُوهم حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أمَرَ بِالقِتالِ لِكُلِّ مُشْرِكٍ في كُلِّ مَوْضِعٍ، عَلى قَوْلِ مَن رَآها ناسِخَةً، ومَن رَآها غَيْرَ ناسِخَةٍ قالَ: المَعْنى: قاتِلُوا هَؤُلاءِ الَّذِينَ قالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿فَإنْ قاتَلُوكُمْ﴾، والأوَّلُ أظْهَرُ، وهو أمْرٌ بِقِتالٍ مُطْلَقٍ، لا بِشَرْطِ أنْ يَبْدَأ الكُفّارُ، دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَيَكُونَ الدِينُ لِلَّهِ﴾، والفِتْنَةُ هُنا: الشِرْكُ وما تابَعَهُ مِن أذى المُؤْمِنِينَ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ، وقَتادَةُ، والرَبِيعُ، والسُدِّيُّ، و"الدِينُ" هُنا الطاعَةُ والشَرْعُ[2].

مسألة (مائة واثنتان وأربعون) قوله ﴿ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ تعالى وفي فاطر ﴿ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يأتي فيها.

أشار ابن جماعة أن الجواب في المسألة رقم (ثلاثمائة واثنان وخمسون) والتي سيتم ذكرها في موضعها وقد فُسرت على سبيل المناسبة[3].

الآية(١٦٥) الأنعام﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

الآية (٣٩) فاطر﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾.

يقول ابن هشام وتأتي "في " بمعنى الظرفية وقد تكون زمانية أو مكانية، وقد اجتمعتا في قوله تعالى : " الم * غُلِبَت الروم * في فِي أدنى الأرض وَهُم من بعد غلبهم

(١) انظر. الكشاف، ص٤١٣.

(٢) انظر. المحرر ال وجيز٢/٢٥٧.

(٣) كشف المعاني، ص ١٧٣.

سيغلبون * فِي بِضع سنين)، أو مجازية، ونحو (ولَكُم فِي القِصاصِ حَيَاةٌ)، ومن المكانية : " أدخلتُ الخاتمَ في أصبعي، والقَلَنْسُوَةَ في رأسى "، إلا أنّ فيهما قَلْبًا "[1].

ويقول النحاس " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ مفعولان، لِيَبْلُوَكُمْ نصب بلام كي وهو بدل من " أن" إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ اسم " إنّ" وخبرها وكذا وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"[2].

مسألة(مائة وخمسة وأربعون) قوله تعالى: (قال انظرني)، وفي الحشر، وصاد: (فأنظرني) بالفاء؟

وذكر ابن جماعة " أن آية الأعراف استئناف سؤال غير مسبب عما قبله، فلا وجه للفاء وكذلك: (إنَّك من المنظرين) خبر مستانف غير مسبب عما قبله، وحيث جاء بالفاء فهو مسبب عما قبله، تقديره: إن أخرجتني فأنظرني، ولما جاء بفاء السببية هنا، ناسب: (فإنَّك من المنظرين) بالفاء[3].

الآية ١٤ من سورة الأعراف ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾.

الآية (٣٦)الحجر﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

الآية (٧٩) سورة ص ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

ويقول ابن هشام "قيل: تكون الفاء للاستئناف، كقوله: (البحر: الطويل)

ألم تَسْأَلِ الرَّبْعَ القواءَ فينطقُ *** [و هل تخبرنُك اليوم بَيْداءُ سَمْلَق] [4].

---

(١) راجع. مغني اللبيب ٢/٥١٣.

(٢) انظر. إعراب القرآن للنحاس، ص٢٩٥.

(٣) انظر كشف المعاني، ص١٧٤.

(٤) التخريج: البيت لجميل بثينة في ديوانه ص١٣٧، والأغاني٨/١٤٦؛ وخزانة الأدب ٨/٥٢٥،٥٢٤،والدرر٤/٨١؛وشرح أبيات سيبويه ٢/٢٠١؛ وشرح التصريح ٢/٢٤٠؛وشرح شواهد المغني١/٤٧٤،وشرح المفصل٧/٣٧،٣٦..إلخ. اللغة والمعنى: الربع: مكان الإقامة، أو الدار. القواء: الأرض المقفرة التي لا أنيس فيها، البيداء: الصحراء السملق: الأرض التي لا نبات فيها، أو الأرض المستوية، الشاهد فيه قوله: "فينطق" حيث جاءت الفاء للاستئناف، لا للعطف ولا للسببيّة.

أي: فهو ينطق؛ لأنها لو كانت للعطف لجزم ما بعدها، ولو كانت للسببية لَنُصِب، { فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونَ } بالرفع أي: فهو يكون حِينئذٍ.

وقوله:

الشِّعرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُه *** إذا ارتقى فيه الذي لا يَعْلَمُهْ

زَلَّتْ به إلى الحضيضِ قَدَمُهْ *** يُريدُ أن يُعْرِبَهُ فيُعْجِمُهْ (١).

أي: فهو يعجه، ولا يجوز نصبه بالعطف؛ لأنه لا يريد أن يعجه(٢).

وقال الخطيب " أن الجواب أن يقال: إن قوله: {انظِرني} في سورة الأعراف وقع مستأنفًا؛ غير مقصود به عطف على مايقع به هذا السؤال عقيبه فلم يحتج إلى الفاء، والجواب أيضًا: لما لم يكن إجابة له إلى ما طلب لم يكن أيضًا معطوفًا عليه بالفاء، وإنما سأل تأخير أجله، فقال: {إنك} في حكمي ممّن أُخّر أجله، لا لآجل مسألتك.

وأما في الآيتين في سورتي الحجر و"ص" فإنه ال عز من قائل: {قال رب فانطرني} وجاء بعد إخبار الله بلعنة له، فكأنه ثال: يارب إن لعنتيني وآيستني من الجنة فأخّر أجلي إلى يو يبعثون، ويوم يُبعثون هو يوم القيامة، لا يوم الإماتة، فلم تقع الإجابة إلى ما طلب، لأنه قال: {فإنك من المنظرين* إلى يوم الوقت المعلوم} أي: إلى الوقت الذي هو آخر أوقات الأحياء، فاقتضى إضمار "إن لعنتي يارب" أن يأتي بالفاء فيقول: "فأنظرني" ويأتي في جوابه بها، وهو قوله: {فإنّك من المنظرين}، لأن التقدير: إن طلبت تأخير الأجل وتنفيس المهل من أجل أن لُعِنْتَ فإنك مؤخّر الموت لِما حكمتُ به لك، لا لإجابتك إلى مسألتك، فهو معطوف على السؤال عطْفَ الكلام على الكلام

(١) (هذا رجز للحطيئة، ونسبة سيبويه إلى رؤبة وليس في ديوانه، وقوله: يعجمه أي: يأتي به أعجميًّا فيلحن فيه، والشاهد فيه أن الفاء للاستئناف، والحطيئة: اسمه جرول بن أوس، وكنيته: أبو مُلَيكة، ولقب بالحطيئة لقصره، وقيل لدمامته، وقيل غير هذا. وهو أحد فحول الشعراء، أسلم في عهد النبي(صلى الله عليه وسلم) ثم ارتدّ، ثم عاد إلى الإسلام، وعاش إلى زمان معاوية. وانظر البيتين في شرح المفصل ٧/٥٥،٤٠، والمقتضب ٢/٣٣، وهو من ملحقات ديوان رؤية/١٨٦، وفي آخر ديوان الحطيئة/١٨٤، وانظر اللسان/ عجم، وحضض).

(٢) مغني اللبيب ١/٥١١.

الذي يقتضيه، لا عطف الإيجاب على السؤال، لأن الله تعالى لم يُجب عاصيًا مثلّه إلى ما يسأل.

وانتهى إلى أن دخول " الفاء في الموضعين لتقدّم ذكر اللعن، وأنّ المعنى: إنْ آيستني من رحمتك فأخّر أجلي لأنال من عدوي الذي كان سبب ذلك ما أقدر عليه من الاغراء له ولمن يكون من نسله، واستشفى بذلك لجهله، نعوذ بالله من طاعة الهوى المؤدي إلى سبيل الرّدَى "[1].

مسألة (مئتان وأربعة) قوله تعالى : { أ فَمَنْ كانَ عَلَى بَيِّنَةٍ } أين خبره ؟

يقول ابن جماعة " هو محذوف لدلالة الكلام عليه، وهو كثير في القرآن جريًا على عادة كلام العرب لفهم المعنى منه تقديره : كمن هو ضال كفور "[2].

الآية (١٧) سورة هود﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾.

والذي يؤكد ما ذهب إليه ابن جماعة ما قاله السيوطي "أن من المواضع التي يجب حذف الخبر فيها أنه اختلف في قول العرب: "حَسْبُك يَنَم النّاس"، فقيل الضّمة في (حسبك) ضمّة بناء، وهو اسم سُمّي به الفعل، وبُنِيَ على الضّمّ، لأنه كان معربًا قبل ذلك، فحمل على: قَبْلُ وبَعْدُ. وعلى هذا أبو عمرو بن العلاء.

والجمهور على أنها ضمّة إعراب. فقيل: هو مبتدأ محذوف الخبر لدلالة المعنى عليه. التقدير: حَسْبُك السُّكُوتُ ينَم الناس، وقيل: هو مبتدأ لا خبر له، لأن معناه: اكْتَفِ. واختاره ابن طاهر[3].

---

(١) درة التنزيل٢/١٠٠-١٠٤.

(٢) كشف المعاني، ص٢١١.

(٣) همع الهوامع١/٣٣٩.

لم يذهب أحد ممّن كتب فالمتشابه اللفظي في القرآن إلى الحديث حول حذف الخبر بالتحديد، ذكر ابن الزبير "أن آية هود قد تقدمها (مايفهم) المفاضلة، ألا ترى أن قوله تعالى: {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ...} [هود:١٧] الآية فهم من سياقها أن المراد: أفمن كان على بينة من ربه كمان كفر وجحد (وكذب) الرسل؟ ثم أتبع هذا بقوله: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرضى عَلَى اللهِ كَذِبًا} [هود:١٨]، فهذا صريح مفاضلة "[١].

مسألة رقم (مئتان وواحد وتسعون) قوله تعالى: (وأنَّ ما يدعون من دونه هو الباطل) وفي لقمان بحذف (هو)؟

يقول ابن جماعة " أن آية الحج تقدمها جمل عدة مؤكدات باللام والنون والهاء والواو فناسب توكيد هذه الجملة كأخواتها تبعا لهن، ولم يتقدم في لقمان مثل ذلك، ولذلك جاء في الحج بعدها: (وإنَّ الله لهو الغنى الحميد) وفي لقمان: (وإنَّ الله هو الغنيُّ) [٢].

الآية (الحج) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾.

الآية (٣٠) لقمان ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾.

ذهب الخطيب الإسكافي إلى هذا قبل ابن جماعة قائلًا " فلما ترادفت التوكيدات في هذا الموضع، وجاء بعده خبر بين خبرين أكّدا، وهو: {ذلك بأن الله هو الحق} وقوله: {وأن الله هو العليّ الكبير} اقتضت إشاعة مثله فجاء الخبر الثاني الواقع بين الخبرين، وبعد الأخبار المؤكّدة مؤكّدًا بقوله: {هو} فقال: {وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل} وليس كذلك ما جاء في سورة لقمان، لأنه لم يتقدمه

(١) انظر. ملاك التأويل / ص٢٥٤.
(٢) كشف المعاني، ص٢٦٥.

التوكيدات التي تستتبع أمثالها كما تقدمت في الأولى[١]، وهذا نفسه ما ذهب إليه ابن الزبير بعده "[٢].

مسألة رقم (ثلاثمائة واثنتا عشر) قوله تعالى: (أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها)، وفي الأنعام: (ألم يَرَوا) بحذف الواو؟

يقول ابن جماعة " أن ذلك بالواو أشد إنكارا، فلما كان المرئي ثمة إهلاك من قبلهم وهو أمر غائب غير مشاهد، وكان المرئيّ كا أوان مشاهد بالحس كان الإنكار بترك الاعتبار هنا أشد، فأتى بالواو الدالة على شدة الإنكار[٣].

الآية (٧) من سورة الشعراء ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾.

الآية (٦) الأنعام﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾.

الواو الدالة على شدة الإنكار تحدث عنها ابن هشام قائلا: " وتأتي الواو للتذكّر والإنكار كقول من أراد أن يقول: يقوم زيد، نفس"زيد"، فأراد مدّ الصوت ليتذكّر إذ لم يُرِدْ قطع الكلام: يقومو، وقولُك آلرَّجُلوه بعد قول قائل: قام الرجل. قال ابن هشام: والصواب ألا يعَدّان لأنهما إشباع للحركة بدليل آلرجلاه في النصب وآلرَّجليه في الجر" [٤].

ذهب إلى هذا التعليل قبل ابن جماعة، الخطيب ولكن بشيء من التفصيل والإتيان بالعديد من الشواهد القرآنية قائلا " فكل موضع فيه بعد ألف الإنكار واوٌ ففيه تبكيت على مايسهّل الطريق إلى ما بعد الواو، فالاعتبار به لكثرة أمثاله، كقوله

---

(١) انظر. درة التنزيل ٢/ ٤٥٧.

(٢) انظر. ملاك التأويل /ص٣٦٢.

(٣) كشف المعاني، ص٢٨٧.

(٤) انظر. همع الهوامع ١٦١/٣.

تعالى: {أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كلِّ زوجٍ كريم} كأنّ قائلًا قال: كذّبوا الرسول وغفلوا عن الفكر والتدّبر؛ فقد فعلوا ذلك ولم ينظروا إلى المشاهدات التي تنبّه الفكر فيها من الغفلة".

وكذلك قوله: {أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيّأ ظِلاله عن اليمين والشمائل سُجّدًا لله وهم داخرون} [النحل:٤٨] لأن ذلك مشاهد....وأردف قائلًا " وكل ما فيه "واو" مثل {أولم يروا} فهو تنبيه على ما تقدّمته في التقدير أمثال منْبهة لكثرتها، فالتبكيت فيه أعظ: فهذا كلّه في المشاهد وا في حكمه...." [١].

مسألة رقم(ثلاثمائة وستة وعشرون) قوله تعالى: (ولولآ أن تُصيبهم مصيبة بما قدَّمن أيديهم) ظاهر جواز عذابهم بما قدمت أيديهم قبل إرسال الرسل، وقد قال تعالى: (وما كنا معذَّبين حتَّى نبعث رَسُوْلًا)؟

قال ابن جماعة " أن جواب لولا مقدر محذوف تقديره: لولا أنا إذا عذبناهم بمعاصيهم قبل الرسل يقولون ذلك لعذبناهم بها قبل الرسالة لكن يؤخر العذاب إلى ما بعد إرسال الرسل لأن لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقوله تعالى: (لولآ أرسلت إلينا رسولًا) أي: بعد إبراهيم كما أرسلت إلى بني إسرائيل وفرعون، فألزمهم الحجة بقوله: أو لم يكفر الذين أرسل إليهم موسى به، وقالوا: ساحران والله أعلم[٢].

الآية ٤٧ من سورة القصص: ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول ابن هشام أنها " تدخل على الأسمية ففعليّة لربط امتناع الثانية بوجود الأولى، نحو : " لولا زيد لأكرمتك" أي : لولا زيدٌ موجود، فأمّا قوله عليه الصلاة والسلام : " لولا أن أَشُقَّ على أمتي لأمرتُهم بالسِّواك عند كل صلاة "، فالتقدير: لولا

(١) انظر. درة التنزيل ٩/٢.

(٢) كشف المعاني،ص٢٨٦.

مخافةُ أن أَشُق على أُمتي لأمرتُهم أَمْرَ إيجاب، وإلّا لا نعكس معناها؛ إذ الممتنع المشقة والموجود الأمر.

وليس المرفوعُ بعد " لولا " فاعلًا بفعل محذوف، ولا بـ "لولا " لنيابتها عنه، ولا بها أصالة، خلافًا لزاعمي ذلك، بل رَفْعُه بالابتداء.

ثم قال أكثرهم يجبُ كونُ الخبر كونًا مطلقًا محذوفًا ؛ فإذا أُريد الكون المقيَّد لم يججُرْ أن تقول : "لولا زيد قائم "، ولا أن تحذفه، بل تجعل مصدره هو المبتدأ، فتقول : " لولا قيام زيد لأتيتك. أو تدخل " أن " على المبتدأ فتقول : " لولا أن زيدا قائم"، وتصير " أن " وصلتها مبتدأ محذوف الخبر وجوبا، أو مبتدأ لا خبر له، أو فاعلا بـ "ثبت " محذوفا، على الخلاف السابق في فصل " لو"[(١)].

وذهب الرُّمَّاني وبن مالك وغيرهم إلى أنه يكون كونًا مطلقًا كالوجود والحصول، فيجبُ حذفهُ، وكونًا مقيَّدا كالقيام والقعود فيجب ذِكْرُه إنْ لم يُعْلَم نحو : "لولا قومُكِ حديثو عهدِ بالإسلام لَهَدَمْتُ الكعبة "[(٢)].

يقول السمين " قوله { ولولا أَن تُصِيبَهُم } هي الامتناعيةُ. وأنْ وما في حَيِّزها في موضعِ رفعٍ بالابتداءِ. أي: ولولا إصابتُهم المصيبةَ. وجوابُها محذوفٌ فقدَّره الزجاج" ما أرْسَلْنا إليهم رُسُلاً " يعني: أنَّ الحاملَ على إرسالِ الرسلِ إزاحةُ عِلَلِهم بهذا القولِ فهو كقولِه { لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرسل} [النساء: ١٦٥] وقدَّره ابنُ عطية" لعاجَلْناهم" ولا معنى لهذا.و" فَيَقولوا " عطفٌ على" تُصيبَهم"، و" لولا " الثانيةُ تحضيضٌ و" فنَتَّبِعَ" جوابُه، فلذلك نُصِبَ بإضمار" أَنْ "[(٣)].

وذكر الزمخشري " لَوْلا الأولى امتناعية وجوابها محذوف، والثانية تحضيضية، وإحدى الفاءين للعطف، والأخرى جواب لولا، لكونها في حكم الأمر، من قبل أن الأمر باعث على الفعل، والباعث والمحضض من واد واحد. والمعنى: ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدّموا من الشرك والمعاصي: هلا أرسلت إلينا رسولا، محتجين علينا

---

(١) مغني اللبيب ٣/ ٤٤٤.

(٢) راجع. همع الهوامع ٣٧٤/٢، معاني الحروف للروماني.

(٣) انظر. الدر المصون ٨ /٦٨٢.

بذلك: لما أرسلنا إليهم، يعنى: أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها، كقوله لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ، لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آياتِكَ. فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول، لدخول حرف الامتناع عليها دونه؟

قلت: القول هو المقصود بأن يكون سببا لإرسال الرسل، ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها، جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها لولا، وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية، ويؤول معناه إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا، ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة: وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم اليقين: لم يقولوا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم. وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى، كقوله تعالى وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ. ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدى: جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الأيدى وتقديم الأيدى وإن كان من أعمال القلوب، وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الأقل تابعا للأكثر وتغليب الأكثر على الأقل[1].

مسألة رقم (ثلاثمائة وثلاثون) قوله تعالى: (وَوصينا الإنسان بوالديه حُسنا) هنا وفي الأحقاف، ولم يذكر في لقمان (حُسنًا)؟

قال ابن جماعة "أن هنا: (وَلنجزيَنّهُم أحسن الذي كانوا يعملون)، وبر الوالدين من أحسن الأعمال فناسب ذكر "الإحسان" إليهما، وآية الأحقاف نزلت فيمن أبواه مؤمنان فناسب وصيته بالإحسان إليهما.

وآية لقمان: لما تضمنت ما ينبه على حقهما والإحسان إليهما بقوله تعالى: (حَمَلَتهُ) (ووضعته) وشدة ما تقاسيه في حمله وتربيته، وحمل أبيه أعباء حاجتها

(١) انظر. الكشاف، ص٨٠٤.

وحاجته، وقوله: (أن اشكر لي ولوالديك) أغنى ذلك عن ذكر "حسنا" المذكور ههنا وفي الأحقاف[1].

الآية (٨) من سورة العنكبوت ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾، (١٥) من سورة الأحقاف ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

الآية (١٤) لقمان ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾

يقول الزجاج (ت٣١١هـ) " وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَصَّيْنا الإنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْنًا﴾، اَلْقِراءَةُ "حُسْنًا"، وقَدْ رُوِيَتْ: "إحْسانًا"، و"حُسْنًا"، أجْوَدُ لِمُوافَقَةِ المُصْحَفِ، فَمَن قالَ: "حُسْنًا"، فَهو مِثْلُ "وَصَّيْنا"، إلّا أنْ يَفْعَلَ بِوالِدَيْهِ ما يَحْسُنُ، ومَن قَرَأ: "إحْسانًا"، فَمَعْناهُ: "وَوَصَّيْنا الإنْسانَ أنْ يُحْسِنَ إلى والِدَيْهِ إحْسانًا"، وكَأنَّ "حُسْنًا"، أعَمُّ في البِرِّ"[2].

يقول السمين " قوله: {حُسْناً} : فيه أوجهٌ، أحدُها، أنه نعتُ مصدرٍ محذوفٍ أي إيصاءً حُسْناً: إمَّا على المبالغةِ، جُعِل نفسَ الحُسْن، وإمَّا على حَذْفِ مضاف أي: ذا حُسْن. الثاني: أنه مفعولٌ به. قال ابنُ عطية: «وفي ذلك تَجَوُّزٌ. والأصلُ: ووَصَّيْنا الإِنسانَ بالحُسْن في فِعْله مع والدَيْه. ونظيرُ هذا قولُ الشاعر(البحر: الرجز)

عَجِبْتُ مِنْ دَهْماءَ إذ تَشْكُوْنا *** ومِنْ أبي دَهْماءَ إذ يُوصِيْنا[1]

خيراً بنا كأنَّنا جافُونا... ومثلُه قولُ الحطيئة:

---

(١) انظر. كشف المعاني، ص٢٨٨.

(٢) انظر. معاني القرآن للزجاج ١٦١/٤.

وَصَّيْتُ مِنْ بَرَّةَ قلباً حُرَّاً *** بالكَلْبِ خيراً والحَماةِ شَرَّاً [1].

وعلى هذا فيكونُ الأصلُ: وصَّيْناه بحُسْنٍ في أَمْرِ والدَيْه ثم جُرَّ الوالدان بالباء فانتصَبَ " حُسْناً "، وكذلك البيتان. والباءُ في الآية والبيتين في هذه الحالةِ للظرفيةِ.

الثالث: أنَّ " بوالديه " هو المفعولُ الثاني: فينتصبُ " حُسْناً " بإضمار فعلٍ أي: يَحْسُن حُسْناً، فيكونُ مصدراً مؤكداً. كذا قيل. وفيه نظرٌ؛ لأنَّ عاملَ المؤكِّد لا يُحْذَفُ. الرابع: أنَّه مفعولٌ به على التضمينِ أي: أَلْزَمْناه حُسْناً. الخامس: أنَّه على إسقاطِ الخافض أي: بحُسْنٍ. وعبَّر صاحب» التحرير «عن ذلك بالقطع. السادس: أنَّ بعضَ الكوفيين قَدَّره: ووصَّيْنا الإِنسانَ أَنْ يَفْعَلَ بوالديه حُسْناً. وفيه حَذْفُ» أنْ «وصلتِها وإبقاءُ معمولِها. ولا يجوزُعند البصريين. السابع: أنَّ التقديرَ: ووصَّيْناه بإيتاءِ والدَيْه حُسناً. وفيه حَذْفُ المصدرِ، وإبقاءُ معمولِه. ولا يجوزُ. الثامن: أنَّه منصوبٌ انتصابَ "زيداً" في قولِك لِمَنْ رأيتَه مُتَهَيِّئاً للضَرْب: زيداً أي: اضرِبْ زيداً. والتقديرُ هنا: أَوْلِهما حُسْناً أو افعلْ بهما حُسْناً. قالهما الزمخشري.

ويقول الخراط " جملة «ووصينا» مستأنفة، «حسنًا» نائب مفعول مطلق ناب عنه صفته، أي: إيصاءً ذا حُسْن"[2].

مسألة (ثلاثمائة وسبعة وأربعون) قوله تعالى:(أولم يهد) بالواو، و(مِنْ قَبْلِهِمِ) وفي طه "بالفاء"، وحذف "مِنْ"؟

ذكر ابن جماعة " أن آية طه جاءت بعد ذكر موسى وفرعون، والسامري وهلاكهم، وذكر آدم وحواء، فناسب " قبل " العامة لما تقدم من الزمان، وآية السجدة : خالية من ذلك، فأتى بـ { مِنْ } المقربة للزمان[3].

---

(١) أشدها الطبري في تفسيره ٦٣/١٥، المحرر الوجيز ج٤

(٢) المجتبى من مشكل إعراب القرآن.

(٣) كشف المعاني،ص٣٠٠.

الآية(٢٦) من سورة السجدة، قوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

الآية(١٢٨) من سورة طه، قوله تعالى﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾.

التحليل: (من قبلهم) و (قبلهم):(من) لابتداء الغاية، تقول جاء فلان من كذا ووصل إلى المكان أي بدأ مجيئه من المكان الفلاني. فلما يقول (كم أهلكنا من قبلهم) يعني القبلية مباشرة من وجودهم هم، يعني يُذكّرهم بمن هلك قبلهم قريباً تبدأ غاية الهلاك من وجودهم هم يعني كأن يكون من آبائهم، أصدقائهم، أصحابهم، هذا التذكير أوقع في النفس لما يراد التخويف والإنذار لأن هذه الآيات الأولى التي فيها ذكر الآخرة وفيها هزٌّ لضمائرهم أن يهتدوا كأنما أُهدي لهم هذا المعنى فينبغي أن يشغّلوا قلوبهم في هذا الأمر استعمل عند ذلك (من قبلهم) أدعى للتخويف أن فلاناً كان معك وهلك.

(قبلهم): عامّة ليس فيها هذه اللمسة التي تذكرهم بالبداية والقبلية تشمل الجميع لكن لما يريد أن يلمس هذا الشيء قبلك مباشرة يستعمل (من). تقول: ألم تتنبه إلى ما حدث لأخيك من قبل ساعة أو من قليل أو من قبل أن أكلمك؟ (هذا مباشر)، ألم تر ما حدث لأخيك قبل أن أكلمك؟ (هذا كلام عام) من كلامي معك وقبل ذلك، أما من قبل أن أكلمك، يعني الآن من لحظات مرتبط بكلامي معك.

مسألة رقم(ثلاثمائة وثمانون)قوله تعالى:(ومن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) ولا سيئة يوم القيامة؟

اكتفى ابن جماعة بأن ذكر أنَّ " المراد: جزاء السيئات أو ما يسوؤهم فيه من الحزن والخوف والعذاب "[1].

---

(١) انظر. شرح المفصل لابن يعيش، ص١٩٣.

الآية (٩) سورة غافر ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

وأمّا عن حذف المضاف (جزاء) هنا: يُحذَفُ المضافُ لقِيامِ قَرينةٍ تَدُلُّ عليه، ويُقامُ المضافُ إليه مَقامَه فيُعرَبُ بإعرابِه؛ كقولِه تعالَى: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ}؛ أيْ: حُبَّ العِجْلِ، وكقولِه تعالَى: {وَجَاءَ رَبُّكَ}؛ أيْ: أَمْرُ رَبِّكَ، فحُذِفَ المضافُ، وهو "حُبُّ وأمْرُ"، وأُعْرِبَ المضافُ إليه، وهو "العِجْلُ وربُّكَ" بإعرابِه.

وجاء أيضا أن المضاف قد حُذف كثيرًا من الكلام، وهو سائغٌ في سعةِ الكلام، وحالِ الاختيار، إذا لم يُشكِل. وإنّما سوّغ ذلك الثقَةُ بعلم المخاطَب، إذ الغرضُ من اللفظ الدلالةُ على المعنى، فإذا حصل المعنى بقرينةِ حالٍ، أوَ لفظٍ آخرَ، استُغنى عن اللفظ الموضوع بإزائه اختصارًا. وإذا حُذف المضاف، أقيم المضافُ إليه مُقامَه، وأعرب بإعرابه، والشاهد المشهور في ذلك قوله تعالى {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ}، والمراد: أَهْلَ القريةِ؛ لأنه قد عُلم أن القرية من حيثُ هي مَدَرٌ وحَجَر، لا تُسأَل؛ لأن الغرض من السؤال رَدُّ الجواب، وليس الحجرُ والمدرُ مما يُجِيب واحدٌ منهما. (١)

ويقول النحاس في إعراب القرآن " سمّى العقاب سيئات مجازا لأنه عقاب على السيئات " ذكر في معاني القرآن وقوله جلَّ وعز: ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ قال قتادة: أي العذابَ ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ قال: العذاب[١].

قال السمين " قوله: {يَوْمَئِذٍ} : التنوينُ عِوَضٌ مِنْ جملةٍ محذوفةٍ، ولكنْ ليس في الكلامِ جملةٌ مُصَرَّحٌ بها، عُوِّض منها هذا التنوينُ، بخلافِ قولِه: {وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ} [الواقعة: ٨٤] أي: حينَ إذْ بَلَغَتِ الحلقومَ، لتقدُّمِها في اللفظِ. فلا بُدَّ مِنْ تقديرِ جملةٍ، يكون هذا عوضاً منها تقديرُه: يوم إذْ يُؤَاخَذُ بها ". في رأيي أن تعليل ابن جماعة هنا لم يكن دقيقًا، ولكن السمين الحلبي كان أدق وأوضح[٢].

---

(١) انظر. إعراب القرآن للنحاس، ص٨٩٣.

(٢) انظر. الدر المصون للسمين الحلبي ٩ /٤٦٠.

مسألة رقم(ثلاثمائة وأربعة وثمانين) قوله تعالى:(إنَّ السَّاعة لآتية لا ريب فيها) وقال تعالى في طه: (إنَّ السَّاعة آتية أكاد أخفيها) أدخل اللام هنا دون طه؟. ذكر اللام المزحلقة

علّل ابن جماعة " أن الخطاب هنا مع المنكرين للبعث، فناسب التوكيد باللام والخطاب في طه مع موسى عليه السلام وهو مؤمن بالساعة فلم يحتج إلى توكيد فيها "[1].

الآية ٥٩ غافر﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾.

الآية ١٥ طه﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾.

وكذلك ذهب ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أن " تَأْكِيدُ الخَبَرِ بِإنَّ ولامِ الِابْتِداءِ لِزِيادَةِ التَّحْقِيقِ، ولِلْإشارَةِ إلى أنَّ الخَبَرَ تَحَقَّقَ بِالأدِلَّةِ السّابِقَةِ. وذَلِكَ أنَّ الكَلامَ مُوَجَّهٌ لِلَّذِينَ أنْكَرُوا البَعْثَ، ولِهَذا لَمْ يُؤْتَ بِلامِ الِابْتِداءِ في قَوْلِهِ في سُورَةِ طه (﴿إنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ [طه: ١٥]) لِأنَّ الخِطابَ لِمُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ.

وجِيءَ بِاسْمِ الفاعِلِ في آتِيَةٌ الَّذِي هو حَقِيقَةٌ في الحالِ، لِلْإيماءِ إلى أنَّها لَمّا تَحَقَّقَتْ فَقَدْ صارَتْ كالشَّيْءِ الحاضِرِ المُشاهَدِ. والمُرادُ تَحْقِيقُ وُقُوعِها لا الإخْبارُ عَنْ وُقُوعِها.

وجُمْلَةُ لا رَيْبَ فِيها مُؤَكِّدَةٌ لِجُمْلَةِ إنَّ السّاعَةَ لَآتِيَةٌ، ونَفْيُ الرَّيْبِ عَنْ نَفْسِ السّاعَةِ، والمُرادُ نَفْيُهُ عَنْ إتْيانِها لِدَلالَةِ قَوْلِهِ آتِيَةٌ عَلى ذَلِكَ، ومَعْنى نَفْيِ الرَّيْبِ في وُقُوعِها: أنَّ دَلائِلَها واضِحَةٌ بِحَيْثُ لا يُعْتَدُّ بِرَيْبِ المُرْتابِينَ فِيها لِأنَّهُمُ ارْتابُوا فِيها لِعَدَمِ الرَّوِيَّةِ والتَّفَكُّرِ، وهَذا قَرِيبٌ مِن قَوْلِهِ تَعالى ذَلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ[2].

ويقول ابن هشام عن لام الابتداء " وليس لها الصَّدريَّة في باب " إنّ "؛ لأنها فيه مؤخَّرة من تقديم ؛ ولهذا تسمى المزحْلَقة والمزَحْلَفة أيضا ؛ وذلك لأنّ أصل: " إنّ زيدًا لقائم"، "لَإنَّ زيدًا قائم". فكرهوا افتتاح الكلام بتوكيدين، فأخّروا اللام دون "إنَّ " لئلا يتقدَّم معمول الحرف عليه. وإنما لم نَدَّعِ أنَّ الأصل " إنّ لزيدًا قائم "

(١) كشف المعاني، ص٣٢١-٣٢٢

(٢) انظر. التحرير والتنوير ١٦/١٩٩.

لئلا يحول ما له الصَّدرُ بين العامل والمعمول، ولأنهم قد نطقوا باللام مُقَدَّمة على "إنّ " في نحو قوله :

[ألا يا سنا برقٍ على قُلل الحمى] *** لَهِنَّكَ من بَرْقٍ عليَّ كريمُ [١].

ولا عتبارهم حكم صدريتها فيما قبل " إنّ " دون ما بعدها، دليل الأول أنها تمنع من تسلُّط فعل القلب على " أنّ " ومعموليها، ولذلك كُسِرَت في نحو : { وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ } بل قد أثّرت هذا المنع مع حذفها في قول الهذلي : (البحر:الكامل)

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمُ بعيش ناصِب *** وإخالُ إنّي لاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ [٢].

الأصل : إني لَلاحقٌ. فَحُذِفَت اللام بعدما علَّقت "إخال" وبقي الكسرُ بعد حذفها كما كان مع وجودها، فهي مما نُسِخَ لفظُه وبقي حُكْمُه.

وذكر أيضًا " ودليلُ الثاني أنّ عمل " إنّ " يَتَخَطّاها، تقول :" إنّ في الدار لزيدًا " وإن زيدًا لقائمُ، وكذلك يتخطَّاها عماُ العاملِ بعدها نحو: "إنّ زيدًا طعامَك لآكلٌ ". وَوَهَمَ بدرُ الدين ابن مالك فمنع من ذلك، والواردُ منه في التنزيل كثير، نحو :{ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ}"[٣].

مسألة رقم (ثلاثمائة وتسعة وتسعون) قوله تعالى: (ولمن صبر وغفر إنَّ ذلك لمن عزم الأمور) وفي لقمان : (إنَّ ذلك من عزم الأمور)؟

ذهب ابن جماعة هنا إلى أنه " لما ذكر هنا جواز الانتقام، وذكر ترك ذلك لصفتين: الصبر والغفران، ناسب ذلك التوكيد، و "اللام"، لأن الصبر والغفران مع

---

(١) التخريج: محمد بن مسلمة أو محمد بن يزيد بن مسلمة. والخصائص ١: ٣١٥ وشرح أبياته ٤: ٣٤٧ وشرح المفصل ٨: ٦٣ و١٠: ٤٢، وقيل لم يسمّ قائله. وهو أول أبيات خمسة في التشوق إلى الديار. والسنا: بالقصر: ضوء البرق. والقلل: جمع قلة: أعلى الجبل وغيره. و «من برق» تمييز مجرور بمن. وكريم: خبر لهنك. وكريم بمعنى عزيز ونفيس وقوله «لهنك». اللام للتوكيد. دخلت على إنّ، المقلوبة همزتها هاء

(٢) البيت: لأبو ذؤيب الهذلي: المتوفى سنة ٢٧ هـ

(٣) مغني اللبيب٣/٢٥٢.

القدرة أشد على النفوس منهما مع عدم القدرة، وآية لقمان: في صفة واحدة وهي: الصبر، ولعله فيها ليس له الانتقام فيه فلم يؤكد[1].

الآية (٤٣) الشورى﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾.

الآية (١٧) لقمان ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾.

ويؤكد كلام ابن جماعة في آية الشورى ما ذكره النحاس (ت٣٣٨هـ) " أي من أعاليها وأجلّها أن يعفو ويصفح ويتوقّى الشبهات وإن لم تكن محظورة ورعا وطلبا لرضاء الله عزّ وجلّ فهذه معالي الأمور، وهي من عزم الأمور أي التي يعزم عليها الورعون المتّقون. قال أبو جعفر: وفي إشكال من جهة العربية وهو أنّ «لمن صبر وغفر» مبتدأ ولا خبر له في اللفظ فالقول فيه: إن فيه حذفا، والتقدير: ولمن صبر وعفا أنّ ذلك منه لمن عزم الأمور، ومثل هذا في كلام العرب كثير موجود، حكاه سيبويه وغيره: مررت ببرّ قفيز بدرهم أي قفيز منه، ويقال: السّمن منوان بدرهم بمعنى منه".

وأيضًا في آية لقمان يقول " يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ معنى إقامة الصّلاة إتمامها بجميع فروضها، كما يقال: فلان قيّم بعمله الذي وليه أي قد وفّى العمل جميع حقوقه، ومنه هذا قوام الأمر وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ وهو أن لا يخرج من الجزع إلى معصية الله وكذا الصبر عن المعاصي[1]، وهنا يؤكد بأن الحديث عن صفة واحدة فحسب وهي لا تحتاج لمزيد من التأكيد بزيادة لام التوكيد.

مسألة رقم (أربعمائة وسبعة عشر) قوله تعالى : (وقال قرينه هذا ما لديَّ عتِيد) ثم: (قال قرينه ربنا ما أطغيتُهُ) بغير واو؟.

---

(١) انظر. إعراب القرآن للنحاس، ص٩٣٤.

يقول ابن جماعة " قيل الأول : هو الملك من الحفظة، يقول للإنسان : أي ما لديّ من أعمالك، والثاني : قرينة من الشاطين مخاطبًا لربه تعالى، فانقطع الكلام عن الأول، فجاء مستقبلًا بغير واو[1].

الآية ٢٣ سورة ق ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾.

الآية ٢٧ من السورة نفسها ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾.

وهذا عينه ماذهب إليه الشّوكاني " ﴿وقالَ قَرِينُهُ هَذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أيْ قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ هَذا ما عِنْدِي مِن كِتابِ عَمَلِكَ عَتِيدٌ حاضِرٌ قَدْ هَيَّأْتُهُ، كَذا قالَ الحَسَنُ، وقَتادَةُ، والضَّحّاكُ.

وقالَ مُجاهِدٌ: إنَّ المَلَكَ يَقُولُ لِلرَّبِّ سُبْحانَهُ: هَذا الَّذِي وكَّلْتَنِي بِهِ مِن بَنِي آدَمَ قَدْ أحْضَرْتُهُ وأحْضَرْتُ دِيوانَ عَمَلِهِ، ورُوِيَ عَنْهُ أنَّهُ قالَ: إنَّ قَرِينَهُ مِنَ الشَّياطِينِ، يَقُولُ ذَلِكَ: أيْ: هَذا ما قَدْ هَيَّأْتُهُ لَكَ بِإغْوائِي وإضْلالِي، وقالَ ابْنُ زَيْدٍ: إنَّ المُرادَ هُنا قَرِينُهُ مِنَ الإنْسِ، وعَتِيدٌ مَرْفُوعٌ عَلى أنَّهُ صِفَةٌ لِـ (ما) إنْ كانَتْ مَوْصُوفَةً، وإنْ كانَتْ مَوْصُولَةً فَهو خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، أوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ.

وأما تفسيره لكلمة (قرين) في الآية السابعة والعشرين " ﴿قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أطْغَيْتُهُ﴾ هَذِهِ الجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ لِبَيانِ ما يَقُولُهُ القَرِينُ، والمُرادُ بِالقَرِينِ هُنا الشَّيْطانُ الَّذِي قُيِّضَ لِهَذا الكافِرِ، أنْكَرَ أنْ يَكُونَ أطْغاهُ، ثُمَّ قالَ: ﴿ولَكِنْ كانَ في ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ أيْ: عَنِ الحَقِّ فَدَعَوْتُهُ فاسْتَجابَ لِي، ولَوْ كانَ مِن عِبادِكَ المُخْلَصِينَ لَمْ أقْدِرْ عَلَيْهِ، وقِيلَ: إنَّ قَرِينَهُ المَلَكُ الَّذِي كانَ يَكْتُبُ سَيِّئاتِهِ وإنَّ الكافِرَ يَقُولُ: رَبِّ، إنَّهُ أعْجَلَنِي فَيُجِيبُهُ بِهَذا، كَذا قالَ مُقاتِلٌ، وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، والأوَّلُ أوْلى وبِهِ قالَ الجُمْهُورُ"[2].

---

(١) انظر. كشف المعاني، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٢) انظر. فتح القدير، ص١٤٠٠.

مسألة رقم (أربعمائة وستة وعشرون) قوله تعالى : (لو نشاءُ لجعلناهُ حُطامًا) وقال تعالى في الماء: (جعلناه أُجاجا).

يقول ابن جماعة " أن جعل الزرع حطامًا إذهاب له بالكلية صورة ومنفعة، وجعل الماء أجاجًا لم يذهب به صورة، وربما انْتُفعَ في غير الشرب. والله أعلم[1].

الآية (٦٥) سورة الواقعة : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

الآية (٧٠) السورة نفسها : ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

الإعراب : ﴿لَوْ﴾ شرطية غير جازمة ﴿نَشاءُ﴾ مضارع فاعله مستتر والجملة ابتدائية لا محل لها ﴿لَجَعَلْناهُ﴾ اللام واقعة في جواب الشرط وماض وفاعله ومفعوله الأول ﴿حُطاماً﴾ مفعوله الثاني والجملة جواب الشرط لا محل لها. ﴿فَظَلْتُمْ﴾ الفاء حرف عطف وماض ناقص والتاء اسمه ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ مضارع مرفوع والواو فاعله والجملة خبر ظلتم معطوفة على ما قبلها.

يقول الزمخشري " قال أبو هريرة : أرأيتم إلى قوله : أفرأيتم الآية والحطام، من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيمًا وتحطم "، ويقول أيضًا " {أجاجًا } ملحًا زعاقًا لا يقدر على شربه[2].

جاء في لسان العرب " حطم :الحَطْمُ :الْكَسْرُ فِي أَيِّ وَجْهٍ كَانَ، وَقِيلَ: هُوَ كَسْرُ الشَّيْءِ الْيَابِسِ خاصَّةً كالعَظْم وَنَحْوِهِ .حَطَمهُ يَحْطِمُهُ حَطْماً أَيْ كَسَرَهُ، وحَطَّمَهُ فانْحَطَم وتَحَطَّم .والحطْمَةُ والحُطامُ :مَا تَحَطَّمَ مِنْ ذَلِكَ. الأَزهري :الحُطامُ مَا تَكَسّرَ مِنَ اليَبيس، والتَّحْطيمُ التَّكْسِيرُ. وصَعْدَةٌ حِطَمٌ كَمَا قَالُوا كِسَرٌ كأَنهم جَعلُوا كُلَّ قِطْعَةٍ مِنْهَا حِطْمةً؛ قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جُؤَيَّةَ:

مَاذَا هُنالِكَ مِنْ أَسْوانَ مُكْتَئِبٍ، ***... وساهِفٍ ثَمِلٍ فِي صَعْدَةٍ حِطَمِ [3].

---

(١) انظر. كشف المعاني، ص٣٤٩.

(٢) انظر الكشاف، ص١٠٧٨.

(٣) لسان العرب ،مادة (حَطَمَ)

وعن كلمة " أجاجٌ ": يقول " وَيُقَالُ: جَاءَتْ أَجَّةُ الصَّيْفِ. وماءٌ أُجاجٌ أَي مِلْحٌ؛ وَقِيلَ: مرٌّ؛ وَقِيلَ: شَدِيدُ الْمَرَارَةِ؛ وَقِيلَ :الأُجاجُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ، وَكَذَلِكَ الجمع. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ*؛ وَهُوَ الشَّدِيدُ الْمُلُوحَةِ وَالْمَرَارَةِ، مِثْلَ مَاءِ الْبَحْرِ. وَقَدْ أَجَّ الماءُ يَؤُجُّ أُجوجاً .وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وعَذْبُها أُجاجٌ؛ الأُجاج، بِالضَّمِّ: الماءُ الْمِلْحُ، الشَّدِيدُ الْمُلُوحَةِ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ الأَحنف: نَزَلْنَا سَبِخَةً نَشَّاشَةً، طَرَفٌ لَهَا بِالْفَلَاةِ، وطَرَفٌ لَهَا بِالْبَحْرِ الأُجاج "[١].

ومن وجهه سياقية " فإن قيل: لم أكد الفعل باللام في قوله في الزرع» :لو نشاء لجعلناه حطاما «ولم يؤكده في الماء حيث قال: (لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً) ؟ قلت: لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حطاما فما يحتمل أن يتوهم أنه من فعل الزراع ولهذا قال سبحانه:"أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون" أو يتوهم أن خصبه من سقي الماء وأن جفافه من حرارة الشمس وعدم السقي أو تواتر مرور الإعصار فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك كله على الحقيقة وأنه قادر على جعله لو شاء حطاما في حالة نموّه وزمن شبيبته ونضارته فلما كان هذا التوهم محتملا أوجبت البلاغة توكيد فعل الجعل فيه وإسناده لزارعه على الحقيقة ومنشئه لرفع هذا التوهم، ولما كان إنزال الماء من السماء محالا بما لا يتطرق احتمال توهم متوهم أن أحدا من جميع الخلق قادر عليه لم يحتج إلى توكيد الفعل في جعله أجاجا فإنه لا يمكن أن يتوهم أحد أن أحدا ينزل الماء من السماء أجاجا ولا عذبا الذي هو أسهل من الأول وأهون" [٢].

جاء في شرح ابن عقيل (ت٧٦٩هـ) "ولا بُدَّ لِلَوْ هذه من جواب، وجوابُها: إما فعلٌ ماضٍ، أو مضارع منفي بلم، وإذا كان جوابها مُثْبَتًا، فالأكثرُ اقترانُه باللام، نحو: " لو قام زيد لقام عمرو" ويجوز حّذْفُهَا؛ فتقول: "لو قام زيد قام عمرو".

---

(١) لسان العرب، مادة (أَجَّ).

(٢) إعراب القرآن وبيانه / محيي الدين درويش (ت١٤٠٣هـ).

وإن كان منفيًا بلم لم تصحبها اللام: فتقول؛ فتقول: "لو قام زيد لم يقم عمرو"، وإن نفى بما فالأكثر تَجَرُّدُهُ من اللام، نحو:" لو قام زيد ما قام عمرو"، ويجوز اقترانُه بها، نحو : "لو قام زيد لما قام عمرو"، كما في قول الشاعر

لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمْعتُ كَلاَمَها *** خَرُّوا لِعَزّة رُكّعًا وَسُجُودًا [1].

أي: لو سمعوا [2].

يقول الزجاجي " وَقَوْلُهُ :﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجاجًا﴾، "الْأُجَاجُ": اَلْمَاءُ الْمِلْحُ الَّذِي لا يُمْكِنُ شُرْبُهُ البَتَّةَ، ﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾، مَعْنَاهُ "فَهَلّا." ".

وأمّا عن إثبات " اللام " "لجعلناه حطامًا " وحذفها في قوله في قوله " جعلناه أُجاجا ". فإن الحذف لا يكون إلا مع العلم به، مع أمن الإلباس ؛ أو عند شهرته في العرف اللغوي للجماعة اللغوية، مع متلقٍ مدرك ، من دون نعيمة ؛ لأن الشيء إذا عُلم وشهر موقعه سهل حذفه وإسقاطه، ويؤكد الزمخشري هذه القاعدة، عند تعرضه لقوله – تعالى : " ولو نشاء جعلناه أجاجًا فلولا تشكرون "

يقول :" فإن قلت : لم أدخلت اللام على جواب لو، في قوله – تعالى : "لجعلناه حطامًا ". ونُزعت منه ها هنا ؟ قلت : "إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى ؛ : تعلق الجزاء بالشرط، ولم تكن مخلصة للشرط كـ (إن)، ولا عاملة مثلها ؛ وإنما سرى فيها الشرط اتفاقًا، من حيث إفادتُها في مضموني جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول ؛ افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علمًا على هذا التعلق ؛ فزيدت هذه اللام لتكون علمًا على ذلك، فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه، فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به: لم يبال بإسقاطه

---

(١) البيت لكثيّر عزة...، يتحدث فيه عن تأثير عزّة فيه. و «مدين» هي قرية النبي شعيب. وقعودا: جمع قاعد، مأخوذ من قعد للأمر، أي: اهتمّ له واجتهد فيه. والشـــاعر كاذب فيما قال، فلا يبلغ تأثير المرأة في العابد ما قاله، وقاله: والذين: معطوف على المبتدأ «رهبان». وجملة «يبكون» حال من المفعول في «عهدتهم». وقعودا: منصـوب على الحال، من فاعل: يبكون. وجملتا الشـرط والجواب «لو يسـمعون. خروا» خبر المبتدأ، والشـاهد قوله «لو يسـمعون». حيث وقع المضـارع بعد «لو» فصـرفت معناه إلى المضيّ فهو في معنى قولك «لو سمعوا». [الأشموني/ ٤/ ٤٢، والخصائص/ ١/ ٢٧].

(٢) شرح ابن عقيل٤/٥٠، البيتان لكثير عزة، يتحدث فيهما عن تأثير عزه عليه ومنشئته.

عن اللفظ، استغناء بمعرفة السامع. ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول: خير، لمن قال له: كيف أصبحت؟ فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه.

وتساوى حالى حذفه وإثباته لشهرة أمره. وناهيك بقول أوس: (البحر: الرجز)

حتى إذا الكلّاب قال لها ***... كاليوم مطلوبا ولا طلبا [١].

وحذفه " لم أر" فإذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى، فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما، على أن تقدّم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه.

ويجوز أن يقال: إنّ هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب، للدلالة على أن أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم. ألا ترى أنك إنما تسقى ضيفك بعد أن تطعمه، ولو عكست قعدت تحت قول أبى العلاء: (البحر: الوافر)

إذا سقيت ضيوف النّاس محضا ***... سقوا أضيافهم شبما زلالا [٢].

وسقى بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة، ولهذا قدّمت آية المطعوم على آية المشروب[٣].

يقول ابن هشام " لو تفيد تقييد الشرطيّة بالزمن الماضي، وبهذا الوجه وما يُذكرُ بعده فارَقت "إنْ " ؛ فإن تلك لعَقْد السببية والمسببية في المستقبل ؛ ولهذا

---

(١) التخريج: البيت لأوس بن حجر. وهو شاهد على حذف العامل، والتقدير: «لم أر كاليوم مطلوبا». [شرح المفصل ١/ ١٢٥].

(٢) التخريج: البيت أبى العلاء يمدح سعد الدولة أبا الفضائل، وعيب عليه حيث مدح بسقي الضيوف الماء قبل ذكر الطعام .والمخض-بمعجمتين-: اللبن المنزوع زبده، فهو بمعنى الممخوض. ويروى: محضا، بالحاء المهملة، أي: خالصا حلوا أو حامضا. والشبم-كحذر-: البارد. والزلال: العقب. هذا وحيث جعل علماء البلاغة للمقام مدخلا في الدلالة على المراد فنقول: إن معنى البيت: إذا عجلت الناس اللبن لأضيافهم واكتفوا به عن الاسراع بالطعام: عجلوا هم بالطعام لضيوفهم لاستعدادهم للضيفان، فيحتاجون لشرب الماء، فيسقونهم ماء قبل إطعام غيرهم الضيفان، فسقيهم الماء يفيد تعجيل الطعام قبله بمعونة المقام، لأنه يلزمه عادة فلا عيب فيه.

(٣) انظر. معاني القرآن للزجاج ٥/١١٥.

قالوا : الشرط بـ "إنْ " سابقٌ " على الشرط بـ "لو " ؛ وذلك لأن الزمن المستقبل سابقٌ على الزمن الماضي، عكس ما يتوهَّم المبتدئون، ألا ترى أنك تقول : "إن جئتني غدًا أكرمتك "، فإذا انقضى الغدُ ولم يجيء قلتَ : "لو جئتني أمسِ أكرمتُك"[1].

ومن اختلاف المتعلق ": مسألة (مائة وثمانية وخمسون) قوله تعالى : { قَالَ فِرْعَوْنُ آمنتُمْ بِهِ } وفي الشعراء : {آمنتُمْ له } ؟.

يقول ابن جماعة " أن الضمير في (به) يرجع إلى { رَبِّ العالَمِين} أو إلى"موسى" وفي (له) يجوز رجوعه إلى موسى، أو إلى ما جاء به من الآيات، أي : لأجل ما جاء به من ذلك "[2].

الآية(١٢٣) الأعراف﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾

الآية (٤٩) الشعراء﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

وهذا مرادفًا لما فسره الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) "﴿ آمَنتُمْ بِهِ ﴾ أيْ بِرَبِّ مُوسى وهارُونَ، أوْ بِاللَّهِ تَعالى لِدَلالَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ أوْ بِمُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ قِيلَ لِقَوْلِهِ تَعالى في آيَةٍ أُخْرى: ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾ فَإنَّ الضَّمِيرَ فِيها لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ إلَخْ، والمَقْصُودُ مِنَ الجُمْلَةِ الخَبَرِيَّةِ التَّوْبِيخُ لِأنَّ الخَبَرَ إذا لَمْ يُقْصَدْ بِهِ فائِدَتُهُ ولا لازِمُها تَوَلَّدَ مِنهُ بِحَسَبِ المَقامِ ما يُناسِبُهُ، وهُنا لَمّا خاطَبَهُمُ الجَبّارُ بِما فَعَلُوا مُخْبِرًا لَهم بِذَلِكَ مَعَ ظُهُورِ عَدَمِ قَصْدِ إفادَةِ أحَدِ الأمْرَيْنِ والمَقامُ هو المَقامُ أفادَ التَّوْبِيخَ والتَّقْرِيعَ، ويَجُوزُ أنْ تُقَدَّرَ فِيهِ الهَمْزَةُ بِناءً عَلى اطِّرادِ ذَلِكَ، والِاسْتِفْهامُ

---

(١) انظر. همع الهوامع ٤٦٨/٢.

(٢) انظر. كشف المعاني، ص١٨٣.

لِلْإِنْكارِ بِمَعْنَى أَنَّهُ لا يَنْبَغِي ذَلِكَ. ويُؤَيِّدُ ذَلِكَ قِراءَةُ حَمْزَةَ والكِسائِيِّ وأبِي بَكْرٍ عَنْ عاصِمٍ، ورَوْحٍ عَنْ يَعْقُوبَ: (أَآمَنتُمْ) بِهَمْزَتَيْنِ مُحَقَّقَتَيْنِ، وتَحْقِيقِ الأُولى وتَسْهِيلِ الثّانِيَةِ بَيْنَ بَيْنٍ مِمّا قُرِئَ بِهِ أيْضًا" [1].

وذهب إلى هذا أيضا السمين قائلًا أن " الضمير في «به» عائدٌ على الله تعالى لقوله: {قالوا آمَنَّا بِرَبِّ العالمين} ويجوزُ أن يعودَ على موسى وأمَّا الذي في سورة طه والشعراء في قوله: {آمنتم له} فالضمير لموسى لقوله: {إنَّه لكبيرُكم} "[2].

وذكر الفرآء(ت ٢٠٧هـ) في معاني القرآن " وقوله: ﴿ آمَنتُمْ بِهِ ﴾ يقول: صدّقتموه. ومن قال: (آمنتم له) يقول: جعلتم له الذى أراد "[3].

مسألة رقم (مئتان وخمسة وثلاثون) قوله تعالى(لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) وقال في الحج: (مِنْ بَعْدِعِلْمٍ شَيْئًا) (الآية ٥) بزيادة (مِنْ)؟

علّل ابن جماعة "أن(بَعْدُ) يستغرق الزمان المتعاقب للعلم من غير تعين ابتداء وانتهاء، فلما أتى ما قبل آية النحل مجملا جاء بعده كذلك مجملا، وفي الحج أتى ما قبلها مفصلا من ابتدائه بقوله تعالى: (إنَّا خَلَقناكُمْ {منْ تُرَابٍ}ثُمَّ مِنْ نُطفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقةٍ) إلى آخره بعده كذلك مفصلا من ابتدائه لما تقدمه من التفصيل[4].

الآية (٧٠) النحل ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

الآية (٥) من سورة الحج ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ

(١) انظر. روح المعاني / الهدية إلى بلوغ النهاية ١٥٣/٨.
(٢) انظر. الدر المصون ،٢٨٥/٥.
(٣) انظر. معاني القرآن للفراء
(٤) انظر. كشف المعاني، ص٢٩١-٢٩٢.

شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

التحليل: في الفرق بين الآيتين الكريمتين أقوال:

القول الأول :

أن حذف (من) يدل على طول مدة علمه وأنه بعد هذا العلم الكثير الذي دام معه سنوات طويلة ستين أو سبعين أو ثمانين سنة يتحول إلى أنه لا يعلم شيئا، وهذا فيه بيان قدرة الله تعالى في تحويل الإنسان من حالة إلى حالة، ولكن ليس فيها تأكيد ولا ابتداء ولا سرعة لأن (بَعْد) يستغرق الزمان المتعقب للعلم من غير تعين ابتداءوانتهاء، لان السياق لا يقتضي التأكيد كالذي في سورة الحج الذي كان فيه الاستدلال على البعث.

وأما ذكر (من) فمن تدل على ابتداء الغاية والتأكيد والتعقيب، ففيها بيان أنه سبحانه قادر على نقله من حالة العلم إلى حالة أخرى مغايرة لها تماما ففيها بيان القدرة أن يحوله إلى الجهل مبتدئا من الحالة المنافية لها وهي العلم مع التأكيد أنه ينقلها من حالة تحقق العلم إلى حالة لا يعلم معها شيئا مباشرة، لأن سياق سورة الحج يقتضي هذا التأكيد، هذا هو المناسب للاستدلال على قدرة الله على البعث الذي بدأت فيه الآية إن كنتم في ريب فذكر (من) في السياق الذي احتاج إلى مزيد التأكيد.

هذا من ناحية المعنى وأما من ناحية اللفظ والتشاكل والتناسب اللفظي ففي كل سورة وضع ما يناسبها فلما ذكرت من كثيرًا في سورة الحج في آية وإن كنتم في ريب ناسبها ذكر من بخلاف سورة النحل كما سيأتي.

قال البيضاوي : لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما عمله وينكر ما عرفه، والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة، فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره.

قال أبو السعود : (لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ أي علمٍ كثيرٍ شَيْئًا) أي شيئًا من الأشياءِ أو شيئاً من العلمِ مبالغةً في انتقاصِ علمِه ويُنكر ما عرفَهُ ويعجزُ عمَّا قدرَ عليه. وفيهِ من التَّنبيهِ على صحَّةِ البعثِ ما لا يخفَى.

القول الثاني : قول السامرائي قوله قريب جدا من القول الأول لكن خالف في حذف من ذكر (من) يدل على السرعة و أن الجهل يبدأ من بعد العلم بلا مهلة فهناك حالة علم تبدأ منها حالة الجهل التام وأجاز أن يكون ذكر من يفيد التوكيد، وأما حذف من فهو يدل على أنه احتاج إلى وقت طويل ليتحول إلى هذه الحالة.

قال السامرائي في معاني النحو : فأنت ترى أن الآية الثانية رد على من هو في ريب من البعث وإيضاح بالغ قدرة الله له وكيف أنه خلقه من التراب بشرا، فطوره إلى أن يرد إلى أرذل العمر فيجهل من بعد العلم إلى غير ذلك من مظاهر قدرة الله فذكر (من) هنا بخلاف آية النحل لسر لطيف وهو أن قوله (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) معناه أن الجهل يبدأ من بعد العلم بلا مهلة فهناك حالة علم تبدأ منها حالة الجهل التام.

أما قوله (بعد علم) فيحتمل أن مرت عليه مدة طويلة من غياب بعض المعلومات ونسيانها إلى الجهل فمعنى (من بعد علم) أنه قادر على أن يغير بأقرب وقت من حال إلى حال وهو المناسب لمقام تبيان القدرة لمنكري البعث.

ومن قال بالزيادة للتوكيد لأن المقام مقام توكيد فقوله ليس بمطرح لكن الاولى عدم إخراجها عن معناها ما أمكن.قال السامرائي في لمسات : " لكي لا يعلم بعد علم" تحتمل الزمن الطويل والوصل أما قوله (لكي لا يعلم من بعد علم) فهي مباشرة بعد العلم فلمّا احتمل الفاصل فصل (لكي لا) وعندما وصل بينهما وصل (لكيلا).

القول الثالث: وافق القول الأول والثاني في ذكر (من) وخالفهما في حذفه فقال في سر الحذف ليدل على استغراق الجهل لزمن ما بعد العلم أي إلى الموت، ووافق قول ابن جماعة.

قال البِقَاعِيّ : ولما كان السياق للقدرة على البعث الذي هو التحويل من حال الجمادية إلى ضده بغاية السرعة، أثبت " من " الابتدائية للدلالة على قرب زمن

الجهل من زمن العلم، فربما بات الإنسان في غاية الاستحضار لما يعلم والحذق فيه فعاد في صبيحة ليلته أو بعد أيام يسيرة جداً من غير كبير تدريج لا يعلم شيئاً، وأفهم إسقاط حرف الانتهاء أنه ربما عاد إليه علمه، وربما اتصل جهله بالموت بخلاف ما مضى في النحل فقال : من بعد علم كان أوتيه شيئاً بل يصير كما كان طفلاً في ضعف الجواهر والأعراض.قال البقاعي في الحج : ولما كان مقصود السورة الدلالة على تمام القدرة وشمول العلم والتنزه عن كل شائبة نقص، وكان السياق هنا لذلك أيضاً بدليل ختم الآية، نزع الخافض للدلالة على استغراق الجهل لزمن ما بعد العلم، فيتصل بالموت، ولا ينفع فيه دواء ولا تجدي معه حيلة فقال: بعد علم شيئاً

القول الثالث :أرجعه للتناسق مع ما قبلها في الإجمال والتفصيل فـ(من) مزيدة للتشاكل.

قال أبو جعفر بن الزبير في ملاك التأويل: والجواب: أن سبب ذلك - والله أعلم - التناسب وتشاكل النظم ومراعاة اللفظ ألا ترى إلى تكرر ((من)) في قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج: ٥)، فقد تكررت لفظة ((من)) هذه في هذا الآية في ستة مواضع، الخمسة منها قبل قوله: (مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) والواحدة بعدها، وكلها محرزة معناها الذي جيء بها من أجله إلا التي في قوله: (من بعد) إذ النظم مع سقوطها (ملتئم) والمعنى تام، فاستوى وجودها وعدمها، فاستدعاها سياق آية الحج للتشاكل والتناسب في النظم، ولم يكن في آية النحل ما يستدعيها إذ لم يرد ما يقتضيها، فورد كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن العكس والأولى في قوله: (من البعث) لابتداء الغاية وما بعدها للتبعيض إلا التي في قوله: (مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ) فإنها زائدة رعياً للفظ لا النافية، وإن كانت هنا مزيدة

قال في درة التنزيل: والجواب أن يقال: ذكر في سورة النحل الجملة التي فصّلت في سورة الحج، وكانت لفظة "بعد" لجملة الزمان المتأخر عن الشيء، قال: (والله خلقكم) فأجمل ما فصّله في السورة الأخرى، وبعده: (ثم يتوفّاكم ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) أي: يعزب عنه في حال الهرم ما كان يعلمه قبل من الحكم ويستدركه من الآراء المصيبة، ويرتكبه من المذاهب القويمة، فكان هذا موضع جمل لا تفصيل معها ولا تحديد، ولم يكن كذلك الأمر في سورة الحج، لأنه قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ...)، يعنى أصلكم، وهو آدم، (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) أولاده (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ...) فذكر تفصيل الأحوال ومباديها فقال: من كذا وكذا لابتداء كل حال ينتقل منه إلى غيره، فبنى ذكر الحال التي ينتقل فيها من العلم إلى فقده على الأحوال الى تقدم ذكرها، فكما حدّد أوائلها بـ "مِن" كذلك حدّد الحال الأخيرة المتنقلة عمّا قبلها بـ "مِن" فقال: (من بعد علم) أي فقد العلم من بعد أن كان عالما، فباين الموضعَ الأولَ لذلك.

القول الرابع : (من) زائدة للتوكيد.

قال ابن عاشور - وقوله من بعد علم أي بعدما كان علمه فيما قبل أرذل العمر. و (مِن) الداخلة على (بعد) هنا مزيدة للتأكيد على رأي الأخفش وابن مالك من عدم انحصار زيادة (مِن) في خصوص جرّ النكرة بعد نفي وشبهه، أو هي للابتداء عند الجمهور وهو ابتداء صُوري يساوي معنى التأكيد ولذلك لم يؤت بـ (من) في قوله تعالى : لكي لا يعلم بعد علم شيئاً في [سورة النحل : ٧٠]. والآيتان بمعنى واحد فذكر (مِن) هنا تفنّن في سياق العبرتين.

القول الخامس : جعل المعنى أنه يصير نساءا فمن ابتدائية تدل على غاية سرعة نسيانه لشيء كلما علمه.

قال الزمخشري : لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً أي : ليصير نسَّاء بحيث إذ كسب علماً في شيء لم ينشب إن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته، يقول لك : من هذا ؟ فتقول : فلان، فما يلبث لحظة إلا سألك عنه

الراجح : هو القول الأول وهو الذي يقتضيه السياق والسباق، ويتفق معه القول الثاني والثالث في ذكر من وأما في حذفها فلا يصح، وأما القول الرابع والخامس والسادس فكل ما ذكروه صحيح لكنهم اقتصروا على طرف مما يدل عليه ذكر من وحذفها وأما السابع فليس المعنى عليه والله أعلم.

مسألة رقم (مئتان وستة وأربعون) قوله تعالى: (أوَ لَمْ يَرَوا أنَّ اللهَ الذِيْ خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأرْضَ قَادِرٌ)(٩٩الاسراء) وفي يس(٨١) والأحقاف(٣٣): (بِقَادِرٍ)؟.

علّل ابن جماعة أن " قادر" هنا: خبر إنّ المثبة فلم تدخله "الباء". وفي يس: هو خبر" ليس" النافية، فدخلت الباء في خبرها، وفي الأحقاف: لما أكّد النفي بنفي ثانٍ وهو قوله تعالى: (وَلمْ) يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ) ناسب دخول الباء في (بِقَادِرٍ) [(١)].

الآية (٩٩) الإسراء : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾.

الآية(٨١) من سورة (يس) : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾.

الآية (٣٣)الأحقاف: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾.

أمّا عن خبر (ليس النافية):يقول السيوطي "تزاد الباء في خبر "ليس"، و "ما" إذا كان منفيًّا نحو: { أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر:٣٦]، {وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ} [الأنعام: ١٣٢]، وفائدة زيادتها رفع توهّم أن الكلام موجب، لاحتمال أن السامع لم يسمع النفي أول الكلام، فيتوهّمه موجبًا، فإذا جيء بالباء ارتفع التوهم، ولذا لم تدخل في خبرهما الموجب، فلا يجوز: ليس زيد إلا بقائم، ولا مازيد إلّا بخارج[(٢)].

(١) كشف المعاني،ص٢٣٧.

(٢) همع الهوامع١/٤٠٤.

مسألة رقم(مئتان وثمانية وأربعون) قوله تعالى: (ثَلاَثةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ) و (خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ) وقال: (وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) الآية ٢٢ الكهف) بزيادة الواو؟.

فَسّر ابن جماعة هذه المسألة" من وجهين:

الأول: أن الواو عاطفة على فعل مقدر معناه: صدقوا وثامنهم كلبهم.

الثاني: أن كل واحد من القولين المتقدمين بعده قول آخر في معناه فأن الكلام لم ينقض، والثاني غاية ما قيل: وليس بعده قول آخر، فناسب ذلك مجئ الواو العاطفة المشعرة بانقضاء الكلام الأول، والعطف عليه. وما يقال ههنا إنه من واو الثمانية، فكلام فيه نظر"[١].

الآية (٢٢) الكهف : ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾.

وقال ابن هشام: " وقيل : هي في ذلك لعطف جملة على جملة ؛ إذ التقدير : هم سبعة، ثم قيل : الجميع كلامهم، وقيل : العطفُ من كلام الله تعالى، والمعنى نَعَمْ هم سبعة وثامنهم كلبهم، وإنّ هذا تصديقٌ لهذه المقالة كما أن (رَجْمَا بَالغَيْب) تكذيب لتلك المقالة، ويؤيده قولُ ابن عباس رضي الله عنهما : حين جاءت الواو انقطعت العِدة، أي لم تبْقَ عِدّةٌ عاد يُلْتَفتُ إليها.

فإن قلتَ : إذا كان المرادُ التصديق فما وَجْهُ مجيء (قُل رِبّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَا يَعلَمُهُم إِلَّا قَلِيلٌ) ؟

قلتُ : وجهُ الجملة الأولى توكيدُ صحة التصديق بإثبات عِلْمِ المُصَدِّق، ووجُه الثانية الإشارةُ إلى أن القائلين تلك المقالة الصادقة قليل، أو أن الذي قالها منهم عن يقين قليل، أو كان التصديق في الآية خفيًا لا يستخرجه إلا مثل ابن عباس قيل ذلك، ولهذا كان يقول : " أنا من ذلك القليل، هم سبعة وثامنهم كلبهم"[٢].

---

(١) كشف المعاني،ص٢٣٨.

(٢) انظر. في المغني ٣٩٣/١.

قال السيوطي" وأثبت الحريري وابن خالويه(واو الثمانية) وقالا: لأن العرب إذا عدُّوا قالوا:ستة، سبعة، وثمانية إيذانًا بأن السبعة عدد تام ومابعده عدد مستأنف، واستدلّوا بقوله تعالى: (سَيَقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) إلى قوله:(ثامنُهُم)"الكهف:٢٢"وقوله في آية الجنة: (وَفُتِحَت أبوابها) "الزمر:٧٣" لأن أبوابها ثمانية بخلاف آية جهنم، لأن أبوابها سبعة، قوله: (والناهون عن المُنكر) "التوبة:١١٢" فإنه الوصف الثامن، وقوله: (وَأَبْكَارًا) "التحريم:٥).

ولم يذكر هذه الواو أحد من أئمة العربية، ووجهت في الآية الأولى: بأنها لعطف جملة على جملة أي هم سبعة وثامنهم، وفي الثانية زائدة أو عاطفة، أو حالية كما تقدّم، في الثالثة عاطفة لأن الأمر والنّهي صفتان متقابلتان بخلاف بقيّة الصفات، وكذا في الرابعة عطف صفتين متقابلتين؛ إذ لا تجتمع الثيوبة والبكارة"[١].

مسألة رقم (ثلاثمائة وستة وثلاثون) قوله تعالى: (فَأحْيَا بِهِ الأرْضّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا)٦٣العنكبوت) وفي الجاثية والبقرة: (بَعْدَ) بحذف (مِنْ)١٦٤البقرة؟.

يقول ابن جماعة: أن الأرض يكون إحياؤها تارة عقيب شروع موتها، وتارة بعد تراخي موتها مدة، فآية العنكبوت: تشير إلى الحالة الأولى لأن (مِنْ) لابتداء الغاية، فناسب ذلك ما تقدم من عموم رزق الله تعالى خلقه، وآية البقرة والجاثية: في سياق تعداد قدرة الله تعالى، فناسب ذلك ذكر إحياء الأرض بعد طول زمان موتها لدلالته[٢].

الآية (٦٣) العنكبوت: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

الآية (١٦٤) البقرة: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا

(١) همع الهوامع٣/١٦١.
(٢) انظر. كشف المعاني، ص٣١٠.

بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

وذكر ابن هشام أن " " مِن : تأتي على خمسةَ عَشَرَ وجهًا : أحدهما : ابتداء الغاية، وهو الغالب عليها، حتى ادْعى جماعة أنّ سائر معنيها راجعة إليه، وتقع لهذا المعنى في غير الزمان نحو : { مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ }، { إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ } قال الكوفيون والأخفش والمبرد وابن دُرُسْتُوَيْهِ : وفي الزمان أيضًا ؛ بدليل : (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ)، والحديث : "فَمُطِرنا من الجمعة إلى الجمعة " وقال النابغة :

تُخُيّرن من أزمانِ يوم حليمةٍ *** إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كُلَّ التجارِبِ

وقيل : التقدير : من مضي أزمانِ يوم حليمة، ومن تأسيس أول يوم، ورَدَّه السهيلي بأنه لو قيل هكذا لا حتيج إلى تقدير الزمان "[1].

يقول الطبري " القول في تأويل قوله تعالى :﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء، وهو المطر الذي ينزله الله من السحاب ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ﴾ يقول: فأحيا بالماء الذي نزل من السماء الأرض، وإحياؤها: إنباته النبات فيها ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِها﴾ من بعد جدوبها وقحوطها.

ويقول ايضًا في تأويل قوله تعالى :﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله:"وما أنزل اللهُ من السماء من مَاء". وفيما أنزلهُ الله من السماء من ماء، وهو المطر الذي يُنزله الله من السماء، وقوله:"فأحيا به الأرضَ بَعدَ موتها"، وإحياؤها: عمارتُها، وإخراج نباتها. و"الهاء" التي في"به" عائدة على"الماء" و"الهاء والألف" في قوله:"بعد موتها" على الأرض، و"موت

(١) انظر. مغني اللبيب ١/١٣٦.

الأرض". خرابها، ودُثور عمارتها، وانقطاعُ نباتها، الذي هو للعباد أقواتٌ، وللأنام أرزاقٌ[1].

يقول النحاس " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) (لَآياتٍ) في موضع نصب اسم إنّ[2].

مسألة رقم(ثلاثمائة وثلاثة وتسعون) قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا ما جآءُوْهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ)(٢٠فصلت) وقال تعالى في النمل: (حَتَّى إِذَا جآءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِيْ)(٨٤) فحذف (مَا)؟.

يقول ابن جماعة " أنه إذا أريد تحقيق جزاء الشرط لبعده من معناه أكّد (بِمَا) على عادتهم عند قصد التأكيد بزيادة الحروف، وإذا لم يكن الجزاء بعيدا من معنى الشرط لم يحتج إلى تأكيد، ولفظ "المجئ" لا يعقل منه، ولا يفهم شهادة السمع والبصر فاحتاج إلى تأكيد الشرط بـ (ما) وسؤال الخلق عند مجيئهم في القيامة مفهوم منه لعلمهم أن الحشر لذلك فلم يحتج إلى توكيد"[3].

الآية (٢٠) فصلت ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾.

الآية (٨٤) النمل ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾.

يقول ابن هشام " أن "ما " قد تكون نكرة مُضمّنَة معنى الحرف، وهي نوعان : " أحدهما :الاستفهاميّة، ومعناها : أيّ شيء، نحو : { مَا هِيَ }، { مَا لَوْنُهَا }، { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى}، { قَالَ مُوسَى مَاجِئتُم بِهِ السِحْرُ} وذلك على قراءة أبي عمرو

(١) راجع. تفسير الطبري.

(٢) انظر. إعراب القرآن للنحاس، ص٧٣.

(٣) انظر. كشف المعاني، ص ٣٢٨.

: { السِّحْرُ} بمد الألف، فـ "ما " مبتدأ، والجملة بعدها خبر، والسِّحْرُ: إما بدَلٌ من " ما " ؛ ولهذا قُرِن بالاستفهام، وكأنه قيل : السِّحْرُ جئتم به ؟، وإما يتقدير: أهو السِّحْرُ؟، أو السّحْرُ هو ؟

وأمّا من قرأ " السِّحْرُ " على الخبر فـ "ما" موصولة، والسِّحْرُ: خبرها، ويقوِّيه قراءة عبد الله : " ماجئتم به سِحْرٌ"(١).

مسألة رقم(أربعمائة وسبعة عشر) قوله تعالى (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيْدٌ) ثم: (قَالَ قَرِيْنُهُ رَبَّنَا مَا أطغَيْتُهُ) بغير واو؟.

علَّل ابن جماعة " قيل الأول: هو الملك من الحفظة، يقول للإنسان: أي ما لدىّ من أعمالك، والثاني: قرينة من الشياطين مخاطبا لربه تعالى. فانقطع الكلام عن الأول، فجاء مستقبلا بغير واو(٢).

الآية (٢٣) سورة (ق) : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

الآية(٢٧) من السورة نفسها ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾.

قال سيبوية في (هَذَا مَا لَدىَّ عَتِيدٌ): "المراد شيءٌ لدَّي عتيد". أي: مُعَدّ، أي لجهنم بإغوائي إيّاه، أو حاضر(٣).

وهذا التعليل الذي ذهب إليه ابن جماعة سبق وأن ذهب إليها في درة التنزيل " والجواب أن يقال: إن القرين الأول فيه وجهان: أحدهما: أن يراد به الملك الشهيد عليه، وهو المشاهد لِما يعمله الإنسان فيكتبه عليه، فيقول له يوم القيامة: {هذا ما لديّ عتيد} أي: معدّ محفوظ عليك.

---

(١) انظر. مغني اللبيب ١٧/٤.

(٢) انظر. كشف المعاني ص٣٤٣.

(٣) انظر. الكتاب ٢٦٩/١.

والوجه الآخر: أن يقول قرينه من الشياطين كان في الدنيا: هذا ماعندي من العذاب الحاضر المعدّلي ولك، وعلى الوجهين هو خطاب للإنسان من قرينه.

وأما الآية الثانية: فإنها منفصلة، لأن القول هناك ليس للإنسان ولا ما بعده خطاب له، فلما لم يكن القائل ولا المقول له انقطع واستؤنف، ألا ترى أنه للقرين، فإنه يخاطب الله تعالى بقوله: {ربنا ما أطغيته} فلما لم يكن القائل المخاطب، ولا المقول له المخاطب صار كأنه مستأنف كالآيات التي أجريت هذا المجري بعده وهي: { قال لا تختصموا لديّ..} [سورة ق :٣٨] وقوله: {ما/ يبدّل القول لديّ} [سورة ق:٢٩] فلم تكن في واحدة منهما واو عاطفة[١].

مسألة رقم(ثلاثمائة وسبعون) قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي أمِرْتُ أنْ أعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ)(١١الزمر) ثم قال تعالى: (وَأُمِرتُ لأنْ أكُونَ أوَّلَ المُسْلميْنَ)(١٢) ما وجه دخول اللام؟.

يرى ابن جماعة " أن متعلق (أمِرْتُ) الثاني غير الأول لاختلاف جهتيهما: فالأول: أمره بالإخلاص في العبادة، والثاني: أمره بذلك لأجل أن يكون أول المسلمين بمكة[٢].

الآية (١١) الزمر:﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾.

الآية (١٢) السورة نفسها﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾.

يقول الفراء: " قال تعالى﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾أي لا تعبدْ معهُ غيرَه. وحكى الفراءُ ﴿لَهُ الدِّينُ﴾ برفع الدِّين، وهو خطأٌ من ثلاثة جهات:إحداها: أن بعده ﴿ألاَ لِلَّهِ الدينُ الخَالِصُ﴾ فهو يغني عن هذا.وأيضاً: فلم يُقرأْ به.وأيضاً: فإنه يجعل ﴿مُخْلِصاً﴾ التمامَ، والتَّمامُ عند رأسِ الآيةِ أَوْلى[٣].

(١) انظر. درة التنزيل ٣/ ١٢٠٠.

(٢) انظر. كشف المعاني، ص٣١٥.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٤.

وقد فَسَّر الزمخشري دخول اللام على الثانية، وعدم دخولها على الأولى قائلًا " قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ بذلك لأجل لأنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والأخرة. ولمعنى : أنّ الإخلاص له السبقة في الدين، فمن أخلص كان سابقًا. فإن قلت : كيف عطف أمِرْتُ على أُمِرْتُ وهما واحد. ؟ قلت : ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما، وذلك أنّ الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء، والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء، وإذا اختلف وجهًا الشي وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدًا مثلها في أردت لأن أفعل، ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح، كأنها زيدت عوضا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه، كما عوّض السين في اسطاع عوضًا من ترك الأصل الذي هو أطوع، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير اللام في قوله وَأُمِرْتُ لأن أَكُون أوّل المُسلِمين وأُمِرْتُ أنْ أَكُون مِن المُؤمنين، وأُمِرْتُ أَنْ أَكُون أوّل مَنْ أسلم وفي معناه أوجه: أن أكون أوّل من أسلم في زاني ومَن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنا وحطمها، وأن أكون أوّل الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلامًا وأن أكون أوّل من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره، لأكون مقتدي بي في قولي وفعلي جميعا، ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون، وأن أفعل ما أستحق به الأوّلية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب، بدليل العقل والوحي[1].

وذكر ابن عصفور " وإنما جعلنا لام "كي" ولام الجحود من قبيل حروف الجرّ لأنَّ الفعل بعدها منصوب بإضمار "أَنْ" و" أَنْ" وما بعدها تتقدّر بالمصدر، واللام إذن في الحقيقة إنما هي جارة لِـ "أنْ" وبعدها.

وزاد بعض النحويين في معاني لام الإضافة أن تكون للعاقبة والمآل، نحو قوله تعالى: {فَالتَقَطَهُ آلُ فرعونَ ليكونَ له عدوًّا وحَزَنًا}، ألا ترى أَنَّ معنى "كي" يضعف هنا، لأنَّ الالتقاط لم يكن لذلك بل ليكون لهم كالولد، لكن الالتقاط كانت عاقبته إلى أن كانَ لهم عدوًّا وحَزَنًا، والجواب: إنّ اللام هنا لام "كي"، وتكون من إقامة

(١) انظر.الكشاف،ص٩٣٦.

المُسبّب مقام السبب، لأنَّ السبب الذي التقطوه له أَن يكون لهم كالولد فكان ذلك سببًا لأنْ كان عدوًا، فحُذِف السبب وأقيم المسبّب مقامه" [1].

وقد شاع مصطلح "لام الجحود" في استعمال النحويين متضمّنًا معنى النفي، والجحود أشد: فهو إنكار؛ لذلك قال النحاس: "والصواب تسميتُها: لام النفي"[2]، كما ذكر الزمخشري في مواضع متعدد من "الكشاف" أنَّ اللام لتوكيد النفي (الكشاف الآيات ٤٣:الأعراف، ٣٣: الأنفال،١٣: يونس، ٣٣ :الحجر) وسمَّاها ابن عقيل " اللام المؤكَّدة للنفي"، وذكر ابن هشام المعنى السابع من معاني اللام المفردة وهو توكيد النفي، وفي هذا إشارة إلى ما يُنسب إلى الكوفيين من القول بأنها هي نفسها الناصبة للمضارع، وأنها أفادت توكيد نفي الخبر) [3].

وهو ما عبَّر عنه أبو حيَّان بأن الإتيان باللام " مبالغة في نفي القابلية والوقوع، وهو أبلغ من تسلّط النفي على الفعل بغير لام[4]، وفَسّر الأغلبية- بتعبيره- بأن النفي بدون اللام هو نفيٌ للفعل، وأن النفي مع اللام"هو نفي للتهيئة والإرادة، ونفي التهيئة والإرادة أبلغ من نفي الفعل؛ لأن نفي الفعل لا يستلز نفي إرادته، ونفي التهيئة والصلاح والإرادة للفعل يستلزم نفي الفعل، فلذلك كان النفي ع لام الجحود أبلغ[5].

---

(١) انظر شرح الزجاجي٥٣٨/١.

(٢) مغني اللبيب ٣: ١٦٨.

(٣) انظر. الكشاف، أبو حيان البحر٣٧٣،١٢٦،٤٢٧:١/ الأشموني: شرح الألفية ٣:٥٥٧.

(٤) ابو حيان: البحر المحيط ٤:٣٥٣.

(٥) المرجع السابق: البحر المحيط ٦:٤٢٦.

المبحث الثاني: "اختلاف دلالة التقديم والتأخير في تفسير ابن جماعة للآيات المتشابهة"

يقسمُ النحويون أسلوب التقديم والتأخير إلى قسمين: التقديم الجائز والتقديم الواجب. والتقديم الواجب لا اختيار للمتكلم فيه؛ لأنه محكوم بقواعد لابدَّ له من مراعاته.

أمَّا عن التقديم الجائز:

فقد لخَّص ابن جني التقديم الجائز الذي أطلق عليه التقديم الذي يقبله القياس بما يلي:

تقديم المفعول به سواء أكان على الفاعل أم على الفعل والفاعل، تقديم الظرف، مثل: قام عندك زيد، وعندك قام زيد..." [1].

وقد ارتأيت أن أقسم هذا المبحث إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يتناول التقديم والتأخير في الجملة الإسمية، وألحقتُ به التقديم والتأخير في جمل الأفعال والحروف، أمّا الثاني فيتناول التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، وسأقصر حديثي أثناء ذلك على ما توافرت عليه شواهد قرآنية في كتاب "كشف المعاني في المتشابة من المثاني" من أشكال التقديم والتأخير.

أولا : التقديم في الجملة الإسمية

*تقديم الصفة :

المسألة (الخامسة) :مافائدة تقديم الرحمنِ على الرحيم؟

يقول ابن جماعة – رحمه الله - لَمَا كانت رحمته في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين: قدّم (الرحمن).

---

(١) انظر الخصائص لابن جني ٢/ ١٦٠.

وفي الآخرة دائمة لأهل الجنة لاتنقطع قيل : الرحيم ثانيا. ولذلك يقال : رحمن الدنيا، ورحيم الآخرة[1]. ص٨٥

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾.

قال الزمخشري " فإن قلت: فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض. قلتُ: لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناو لما دقّ منها ولطف[2].

وأوضحها الزجاج (ت٣١١هـ) قائلًا " وَقَوْلُهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، هَذِهِ الصِّفاتُ لِلَّهِ - عَزَّ وجَلَّ -، مَعْناهُ فِيما ذَكَرَ أبُو عُبَيْدَةَ: ذُو الرَّحْمَةِ، ولا يَجُوزُ أنْ يُقالَ "اَلرَّحْمَنُ"، إلّا لِلَّهِ، وإنَّما كانَ ذَلِكَ لِأنَّ بِناءَ "فَعْلانُ"، مِن أبْنِيَةِ ما يُبالَغُ في وصْفِهِ، ألا تَرى أنَّكَ إذا قُلْتَ: "غَضْبانُ"، فَمَعْناهُ: اَلْمُمْتَلِئُ غَضَبًا؟ فَ"رَحْمَنُ": اَلَّذِي وسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلا يَجُوزُ أنْ يُقالَ لِغَيْرِ اللَّهِ "رَحْمَنُ"، وخُفِضَتْ هَذِهِ الصِّفاتُ لِأنَّها ثَناءٌ عَلى اللَّهِ - عَزَّ وجَلَّ - فَكانَ إعْرابُها إعْرابَ اسْمِهِ[3].

*ومن تقديم الجُمل :

المسألة (السابعة والعشرون) : قوله تعالى: {واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة – ص٣١ – ولا يؤخذ منها عدل}، وقال بعد ذلك:{ولايقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة}.

مافائدة التقديم والتأخير والتعبير بقبول الشفاعة تارة، والنفع أخرى؟.ص٩٤

(١) كشف المعاني، ص٨٥.

(٢) انظر. الكشاف، ص ٢٦/٢٧.

(٣) انظر. معاني القرآن للزجاج ٤٣/١.

يقول ابن جماعة " أن الضمير في منها راجع في الأولى إلى{النفس}الأولى، وفي الثانية راجع إلى {النفس}الثانية. كأنه بين في الآية الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل.

ولأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها، وبيّن في الآية الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها، وقد بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند ردة، فلذلك كله قال في الأولى: لا يقبل منها شفاعة، وفي الثانية: ولاتنفعها شفاعة لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له[1].

الآية(٤٨) من سورة البقرة، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

الآية(١٢٣) من السورة نفسها: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

يقول الزمخشري "قوله:(ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل): أي فدية، لأنها معادلة للمفدي. ومنه الحديث: (لا يقبل منه صرف ولا عدل): أي:توبة ولا فدية. وقرأ قتادة: ولا يقبل منها شفاعة، على بناء الفعل للفاعل، وهو الله عزوجل، ونصب الشفاعة، وقيل: كانت اليهود تزعم أنّ آباهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا"[2].

وقال الزجاج (ت٣١١هـ) " وَقَوْلُهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿واتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾، يَعْنِي بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ، وكانَتِ اليَهُودُ تَزْعُمُ أنَّ آباءَها الأنْبِياءَ تَشْفَعُ لَها عِنْدَ اللَّهِ، فَأيْأسَهُمُ اللَّهُ مِن ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿ولا يُؤْخَذُ مِنها عَدْلٌ﴾، "اَلْعَدْلُ"، هَهُنا: اَلْفِدْيَةُ، ومَعْنى: "لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا"، أيْ: لا تَجْزِي فِيهِ، وقِيلَ: لا تَجْزِيهِ، وحَذْفُ "فِيهِ"،

(١) كشف المعاني،ص٩٤-٩٥.
(٢) انظر الكشاف،ص٧٥

هَهُنا، سائِغٌ، لِأنَّ "في"، مَعَ الظَّرْفِ مَحْذُوفَةٌ، تَقُولُ: "أتَيْتُكَ اليَوْمَ"، و"أتَيْتُكَ في اليَوْمِ"، فَإذا أضْمَرْتَ قُلْتَ: "أتَيْتُكَ فِيهِ"، ويَجُوزُ أنْ تَقُولَ: "أتَيْتُكَهُ"، قالَ الشّاعِرُ:

وَيَوْمًا شَهِدْناهُ سُلَيْمًا وعامِرًا *** قَلِيلًا سِوى الطَّعْنِ النِّهالِ نَوافِلُهْ [1].

أرادَ: شَهِدْنا فِيهِ، وقالَ بَعْضُ النَّحْوِيّينَ: إنَّ المَحْذُوفَ هُنا الهاءُ، لِأنَّ الظُّرُوفَ عِنْدَهُ لا يَجُوزُ حَذْفُها، وهَذا قَوْلُ الكِسائِيِّ.

والبَصْرِيُّونَ وجَماعَةٌ مِنَ الكُوفِيِّينَ يَقُولُونَ: إنَّ المَحْذُوفَ "فِيهِ"، وفَصَّلَ النَّحْوِيُّونَ في الظُّرُوفِ، وفي الأسْماءِ غَيْرِ الظُّرُوفِ، فَقالُوا: إنَّ الحَذْفَ مَعَ الظُّرُوفِ جائِزٌ، كَما كانَ في ظاهِرِهِ، فَكَذَلِكَ الحَذْفُ في مُضْمَرِهِ، لَوْ قُلْتَ: "اَلَّذِي سِرْتُ اليَوْمُ"، تُرِيدُ: "اَلَّذِي سِرْتُ فِيهِ"، جائِزٌ، لِأنَّكَ تَقُولُ: "سِرْتُ اليَوْمَ"، و"سِرْتُ فِيهِ"، ولَوْ قُلْتَ: "اَلَّذِي تَكَلَّمْتُ فِيهِ زَيْدٌ"، لَمْ يَجُزْ: "اَلَّذِي تَكَلَّمْتُ زَيْدٌ"، لِأنَّكَ تَقُولُ: "تَكَلَّمْتُ اليَوْمَ"، و"تَكَلَّمْتُ فِيهِ"، ولا يَجُوزُ في قَوْلِكَ: "تَكَلَّمْتُ في زَيْدٍ"، "تَكَلَّمْتُ زَيْدًا".

وَقَوْلُهُ - عَزَّ وجَلَّ -: "تُقْبَلُ مِنها شَفاعَةٌ"، مَرْفُوعٌ، لِأنَّهُ اسْمُ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ، والِاسْمُ إذا لَمْ يُسَمَّ مَن فَعَلَ بِهِ رُفِعَ، لِأنَّ الفِعْلَ يَصِيرُ حَدِيثًا عَنْهُ، كَما يَصِيرُ حَدِيثًا عَنِ الفاعِلِ، وتَقُولُ: "لا يُقْبَلُ مِنها شَفاعَةٌ"، و"لا تُقْبَلُ"، لِأنَّ مَعْنى تَأْنِيثِ ما لا يُنْتِجُ غَيْرُ حَقِيقَةٍ، فَلَكَ في لَفْظِهِ في الفِعْلِ التَّذْكِيرُ، والتَّأْنِيثُ، تَقُولُ: "قُبِلَ مِنكَ الشَّفاعَةُ"، و"قَدْ قُبِلَتْ مِنكَ الشَّفاعَةُ"، وكَذَلِكَ ﴿فَمَن جاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، لِأنَّ مَعْنى "مَوْعِظَةٌ"، و"وَعْظٌ"، و"شَفاعَةٌ"، و"شَفْعٌ"، واحِدٌ، فَلِذَلِكَ جاءَ التَّذْكِيرُ، والتَّأْنِيثُ عَلى اللَّفْظِ، والمَعْنى، وأمّا ما يَعْقِلُ ويَكُونُ مِنهُ النَّسْلُ والوِلادَةُ، نَحْوَ: "اِمْرَأةٌ"، و"رَجُلٌ"، و"ناقَةٌ"، و"جَمَلٌ"، فَيَصِحُّ في مُؤَنَّثِهِ لَفْظُ التَّذْكِيرِ، ولَوْ قُلْتَ: "قامَ جارَتُكَ"، و"نُحِرَ ناقَتُكَ"، كانَ قَبِيحًا، وهو جائِزٌ - عَلى قُبْحِهِ -، لِأنَّ النّاقَةَ، والجارَةَ، تَدُلّانِ عَلى

---

[1] البيت من شواهد سيبويه المجهولة، وسليم وعامر :قبيلتان، والنوافل :الغنائم .والطعن: جمع طعنة . والنهال :الروية بالدم .وقليلا :صفة ليوم .ونوافله :فاعل »قليلا .«وسوى: استثناء منقطع .يقول :واذكر يوما شهدنا فيه هاتين القبيلتين قليلا عطاياه سوى الطعن النهال، على التهكم؛ لأن الطعن ليس من النوافل.**والشاهد** :أن الأصل» :شهدنا فيه«، فحذف »في«، فنصب ضمير اليوم بالفعل تشبيها بالمفعول به اتساعا ومجازا. و »شهد «لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد، وهنا متعد إلى اثنين؛ لأن الأول فيه معنى الظرف، ومن شأنه تعدي الفعل اللازم إليه، وسليما :هو المفعول الذي يتعدى إلي شرح أبيات المغني/ ٧/ ٨، وسيبويه/ ١/ ٩٠، وشرح المفصل/ ٢/ ٤٥، والهمع/ ١/ ٢٠٣.

مَعْنى التَّأْنِيثِ، فاجْتُزِئَ بِلَفْظِهِما عَنْ تَأْنِيثِ الفِعْلِ، فَأمّا الأسْماءُ الَّتِي تَقَعُ لِلْمُذَكَّرِينَ، وأصْحابِ المُؤَنَّثِ، فَلا بُدَّ فِيها مِن عَلَمِ التَّأْنِيثِ، لِأنَّ الكَلامَ لِلْفائِدَةِ، والقَصْدَ بِهِ الإبانَةُ، فَلَوْ سُمِّيَتِ امْرَأةٌ بِ"قاسِمٌ"، لَمْ يَجُزْ أنْ يُقالَ: "جاءَنِي قاسِمٌ"، فَلا يَعْلَمُ أمُذَكَّرًا عَنَيْتَ أمْ مُؤَنَّثًا، ولَيْسَ إلى حَذْفِ هَذِهِ التّاءِ - إذا كانَتْ فارِقَةً بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ - سَبِيلٌ، كَما أنَّهُ إذا جَرى ذِكْرُ رَجُلَيْنِ، لَمْ يَجُزْ أنْ تَقُولَ: "قَدْ قامَ"، وَلا يَجُوزُ إلّا أنْ تَقُولَ: "قاما"، فَعَلامَةُ التَّأْنِيثِ فِيما فِيهِ اللَّبْسُ، كَعَلامَةِ التَّثْنِيَةِ هَهُنا(١).

وفي الآية الأولى قدّم الشفاعة قطعًا لطمع من زعم أن آبائهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وأخرها في الآية الأخرى لأن التقدير في الآيتين معا: لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة، لأن النفع بعد القبول، وقدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدما فيها، والفائدة من تقديم الفدية على نفع الشفاعة في الآية الثانية هي: أنه لمّا قال:(واتقوا يومًا لا تَجزي نفس عن نفس شيئًا)،عقَّبه بنفي الفداء، لأن النفس تجزي عن النفس بفداء مؤقت يرتهن عنها مدة معلومة، ولا يكون بعد ذلك فداءٌ يفك الرهن ويخلصه من التّبِعَات، فيكون معنى (لا تَجزي نفس عن نفس شيئًا) لا تغني عنها بفداء محصور بوقت، ولا بفداء يخلّصه على وجه الدهر، ويكون بعد ذلك (ولا تنفعها شفاعة)معناه: ولاتخفف مسألة من عذابها،ولا ينقص شفيع من عقابها، (ولا هم ينصرون) (٢).

وعقَّب ابن كثيرعلى الآية(١٢٣) قائلًا " قَدْ تَقَدَّمَ نَظِيرُهَذِهِ الْآيَةِ فِي صَدْرِالسُّورَةِ، وَكُرِّرَتْ هَاهُنَا لِلتَّأْكِيدِ وَالْحَثِّ على اتباع الرسول النبي الْأُمِّيِّ الذِي يَجِدُونَ صِفَتَهُ فِي كُتُبِهِمْ ونعتَه وَاسْمَهُ وَأَمْرَهُ وَأُمَّتَهُ، يُحَذِّرُهُمْ، مِنْ كِتْمَانِ هَذَا، وَكِتْمَانِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مِنَ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، وَلَا يَحْسُدُوا بَنِي عَمِّهِم مِنَ الْعَرَبِ عَلَى مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسُولِ الْخَاتَمِ مِنْهُمْ،. وَلَا يَحْمِلُهُمْ ذَلِكَ الحسدُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَتَكْذِيبِهِ، وَالْحَيْدَةِ عَنْ مُوَافَقَتِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(٣).

(١) انظر. معاني القرآن للزجاج ٢٠٤/١.
(٢) انظر درة التنزيل ١ /٢٢٩.
(٣) انظر. التفسير الكبير.

*تقديم المفعول على الفاعل(الجار والمجرور)

- تقديم المفعول: ورد تقديم المفعول على فعله أو فاعله لمزية يقتضيها المعنى المراد بثّه في النفوس ومن ذلك مسألة رقم (مئتان أربعة وتسعون) قوله تعالى: (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) وقال تعالى بعده في قصة هود (وقال الملأ من قومه الذين كفروا) فقدم الجار والمجرور ثانيا.

يقول ابن جماعة: "أن الجار في قصة نوح عليه السلام جاء بعد تمام الصلة والانتقال إلى المقول فما فصل بين متلازمين، ولو أخره في قصة هود عليه السلام لفصل بين الصلة وتمامها المعطوف عليها لأن قوله تعالى: (وكذّبوا) من تمام الصلة[1].

الآية (٢٤) من سورة المؤمنين ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾.

الآية (٣٣) من سورة المؤمنين﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾.

وجعل السكاكي من أسباب التقديم كون التأخير مانعا مثل الإخلال بالمقصود ؛ كقوله تعالى : (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا) (المؤمنون : ٣٣) بتقديم الحال أعني (من قومه) (المؤمنون : ٣٣) على الوصف أعني (الذين كفروا) (المؤمنون : ٣٣) ولو تأخر لتوهم أنه من صفة الدنيا ؛ لأنها هاهنا اسم تفضيل من الدنو وليست اسما، والدنو يتعدى بـ "مِنْ "، وحينئذ يشتبه الأمر في القائلين أنهم أهم من قومه أم لا ؟ فقدم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود، وهو كون القائلين من قومه، وحين أمن هذا الإخلال بالتأخير

(١) كشف المعاني،ص٢٦٧.

قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة : فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم (المؤمنون : ٢٤) بتأخير المجرور عن صفة المرفوع[1].

المسألة (اثنتان وثمانون) قوله تعالى :(وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به)، وفي الأنفال:(إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم)؟

ذهب ابن جماعة إلى " أن آية آل عمران ختم فيها الجملة الأولى بجار ومجرور وهو قوله (لكم) فختمت الجملة التي تليها بمثله وهو قوله (بِهِ) لتناسب الجملتين، وآية الأنفال: خلت الأولى عن ذلك فرجع إلى الأصل وهو إيلاء الفعل لفعله، وتأخير الجار الذي هو مفعول[2].

الآية (١٢٦) آل عمران ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾.

الآية (١٠) الأنفال قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿بُشْرى﴾ مفعول به ثان أو مفعول لأجله ﴿لَكُمْ﴾ متعلقان ببشرى ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ الواو عاطفة واللام للتعليل تطمئن مضارع منصوب بأن المضمرة والمصدر المؤول من أن والفعل في محل جر بحرف الجر والجار والمجرور معطوفان على بشرى قلوبكم فاعل، ﴿بِهِ﴾ متعلقان بتطمئن.

في هذه المسألة كما أوضح ابن جماعة أنه تقدم الجار والمجرور لمراعاة النظم وليس للاختصاص.

ومما جاء في التقديم لإفادة التخصيص ورعاية الفاصلة، قوله تعالى: {بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [سورة

(١) انظر. مفتاح العلوم، ص٢٣٩.
(٢) كشف المعاني،ص١٣٢.

البقرة، الآية: ٩٠]، {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [سورة النساء، الآية: ١٤]، ومنه أيضًا قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الروم، الآية: ٤٧]، فتقديم التوكيد{حَقًّا} وتقديم خبر كان {عَلَيْنَا} لإشعار المؤمنين بالنصر المحقق الذي لا مرية فيه وفي هذا ترسيخ للعقيدة وحسن التوكّل على الله والثقة فيه لا في غيره، عندما يشعر المؤمن بأن النصر مختص بالله مقصور عليه سبحانه.

مسألة رقم (ثلاثمائة أربعة وعشرون) قوله تعالى: (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى)، وفي يس: (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)؟

يقول ابن جماعة " أن الرجل هنا: قصد نصح موسى عليه السلام وحده لما وجده والرجل في يس: قصد من أقصى القرية نصح الرسل ونصح قومه، فكان أشد وأسرع داعية فلذلك قدّم قاصدًا { مِنْ أَقْصَى الْمَدِيْنَةِ } لأنه ظاهر صريح في قصده ذلك من أقصى المدينة[1].

الآية (العشرون) من سورة القصص ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾

الآية (العشرون) من سوة (يس) ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

الإعراب: ﴿وَجاءَ﴾ الواو حرف استئناف ﴿جاءَ رَجُلٌ﴾ ماض وفاعله والجملة مستأنفة لا محل لها و ﴿مِنْ أَقْصَى﴾ متعلقان بمحذوف صفة لرجل ﴿الْمَدِينَةِ﴾ مضاف إليه ﴿يَسْعى﴾ مضارع فاعله مستتر والجملة صفة ثانية لرجل.

وذكر النحاس (ت ٣٣٨هـ) وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى وفي موضع آخر رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى [القصص: ٢٠] والمعنى واحد إلّا أن حقّ الظروف أن

[1] كشف المعاني، ص٢٨٤.

تكون في آخر الكلام، وتقديمها مجاز. ألا ترى أن معنى: إنّ في الدار زيدا، إن زيدا في الدار، قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِين[1].

وقد أوضح السمين(ت٧٥٦هـ) دلالة تقديم المتعلق وتأخيره " قوله: {يسعى} : يجوزُ أَنْ يكونَ صفةً، وأَنْ يكونَ حالاً؛ لأنَّ النكرةَ قد تَخَصَّصَتْ بالوصفِ بقولِه: {مِّنْ أَقْصَى المدينة} فإن جَعَلْتَ «مِنْ أَقْصَى» متعلقاً ب «جاء» ف «يَسْعَى» صفةٌ ليس إلاَّ. قاله الزمخشريُّ، بناءً منه على مذهب الجمهورِ وقد تقدَّم/ أنَّ سيبويه يجيز ذلك مِنْ غيرِ شرطٍ.

وفي آية يس تقدَّم «مْن أقصى» على «رجل» لأنَّه لم يكنْ مِنْ أقصاها، وإنما جاء منه، وهنا وصَفَه بأنه مِنْ أقصاها، وهما رجلان مختلفان وقِصَّتان متباينتان[2].

ترجيح الآراء: وعلى أية حال فإن قوله: (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) يفيد أنه جاء من أبعد مكان في المدينة. وقوله: (وجاء رجل من أقصى المدينة) يحتمل ذلك ويحتمل أنه من أهل الأماكن البعيدة وإن لم يكن مجيئه من هناك.

فائدة التقديم في (من أقصى المدينة) في سورة يس فائدة أخرى حتى لو كان مجيئهما كليهما من أقصى المدينة فإن قوله : (وجاء من أقصى المدينة) يدل على أن الاهتمام أكبر لأكثر من سبب:

١- ذلك أن مجيء الرجل من أقصى المدينة إنما كان لغرض تبليغ الدعوة في حين أن مجيء الرجل إلى موسى كان لغرض تحذيره والأمر الأول أهم.

٢- ثم إن مجيء الرجل من أقصى المدينة إنما كان لإشهار إيمانه أمام الملأ ونصح قومه في حين أن مجيء الرجل إلى موسى ليسرّ إليه كلمة في أذنه فمجيء رجل يس إنما كان للإعلان والإشهار ومجيء رجل موسى إنما كان للإسرار وفرق بين الأمرين.

---

(١) انظر. إعراب القرآن للنحاس، ص٨١٧.

(٢) انظر. الدر المصون، ص٨ /٦٦٠.

٣-إن مجيء رجل يس فيه مجازفة ومخاطرة بحياته وليس في مجيء رجل موسى شيء من ذلك وإنما هو إسرار لشخص بأمر ما ليحذر.

٤- إن المجتمع في القرية كله ضد الرسل وعقيدتهم مكذب لهم متطير بهم فإعلان الرجل أنه مؤمن بما جاء به الرسل مصدق لهم فيه ما فيه من التحدي لهم بخلاف مجتمع سيدنا موسى عليه السلام فإنه ليس فيه فكر معارض أو مؤيد وليست هناك دعوة أصلاً.

٥- إن نصر رسل الله وأوليائه ودعاته أولى من كل شيء فإن تعزيزهم تعزيز لدعوة الله وأما موسى عليه السلام فإنه كان رجلاً من المجتمع ليس صاحب دعوة آنذاك ولم يكلفه الله بعد بحمل الرسالة.

وأشار السكاكي إلى أن التقديم هنا قد يكون " لإرادة التبكيت والتعجيب من حال المذكور فتقديم (من أقصى المدينة) دل على أن الموقف أهم وأخطر ومع ذلك أفادنا أن تحذير شخص من ظالم أمر مهم ينبغي أن يسعى إليه ولو من مكان بعيد. فإن كلا الموقفين مهم غير أن أحدهما أهم من الآخر فقدّم ما قدم ليدل على الاهتمام.

جاء في التفسير الكبير في قوله تعالى: (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى": وفي فائدته وتعلقه بما قبله وجهان: أحدهما أنه لبيان لكونهم أتوا بالبلاغ المبين حيث آمن بهم الرجل الساعي وعلى هذا فقوله: (من أقصى المدينة) فيه بلاغة باهرة وذلك لما جاء من: (أقصى المدينة رجل) وهو قد آمن دل على أن إنذارهم وإظهارهم بلغ إلى أقصى المدينة...

*ومن أمثلة التقديم في الأساليب الإنشائية :

مسألة رقم (أربعمائة وستة عشر) قوله تعالى : (والقرآن المجيد) أين المقسم عليه؟هنا تقدم جواب القسم.

يقول ابن جماعة في تقدم جواب القسم أنه " قيل: محذوف، تقديره: لتبعثنّ وقيل: القسم عليه: ق، مقدما على القسم لدلالته على الإعجاز، وقيل: { قَدْ عَلِمْنَا

مَا تَنْقُصُ}، وحذفت اللام للبعد بينهما، وقيل: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى}، وقيل: غير ذلك[1].

الآية الأولى من سورة (ق~) ﴿ ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾.

يقول ابن عصفور" ولا يجوز حذف جواب القسم إلّا إذا توسّط بين شيئين متلازمين كما تقدَّم، أو جاءَ عَقيب كلام يدلّ على الجواب، نحو: "زيدٌ قائمٌ واللهِ"، فحذف جواب "واللهِ" لدلالة "زيدٌ قائمٌ" عليه، ولذلك جعل سيبويه "ذا" من قول العرب"لاها اللهِ ذا"، خبر ابتداء مضمر، كأنه قال: لا ها اللهِ الحقُّ ذا، والجملة هي: "الحقُ ذا"، جواب القسم، لم يجعل "ذا" صلة لله تعالى كما ذهب إليه الأخفش، كأنّه قال: لاها اللهِ الحاضرِ، فإنَّ ذلك يؤدي إلى حذف جواب القسم غير متوسط لاعقب كلا يدل على الجواب"[2].

الإعراب : ﴿ق﴾ حرف لا محل له من الإعراب ﴿وَالْقُرْآنِ﴾ الواو حرف وقسم والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف ﴿الْمَجِيدِ﴾ صفة وجواب القسم محذوف

يقول السمين(ت٧٥٦هـ): قوله : { والقرآن} : قَسَمٌ. وفي جوابِه أوجهٌ، أحدُها: أنَّه قولُه: { قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأرض}، الثاني: { مَا يُبَدَّلُ القول}، الثالث: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ}، الرابع: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لذكرى}، الخامس: { بَلْ عجبوا} وهو قولٌ كوفيٌّ. قالوا: لأنَّه بمعنى " قد عَجِبوا" السادس: أنَّه محذوفٌ، فقدَّره الزجَّاج والأخفشُ والمبردُ " لَتُبْعَثُنَّ" وفَتَحَها عيسى، وكَسَرها الحسنُ وابن أبي إسحاق، وضمَّها هارونُ وابنُ السَّمَيْفَع. وقد مَضَى توجيهُ ذلك كلِّه.

وهو أنَّ الفتحَ يحتمل البناءَ على الفتح للتخفيفِ، أو يكونُ منصوباً بفعلٍ مقدرٍ، ومُنِع الصرفَ، أو مجرورٌ بحرفِ قسمٍ مقدرٌ، وإنما مُنعَ الصرفَ أيضاً. والضمُّ على أنه مبتدأٌ أو خبرٌ، ومُنع الصرف أيضاً[3].

(١) انظر. كشف المعاني، ص٣٤٢.
(٢) شرح الجمل١/٥٥٧.
(٣) انظر. الدر المصون ١٠/١٧.

وأمَّا عن الزجاج (ت٣١١ هـ): قَوْلُهُ - عَزَّ وجَلَّ :- ﴿ق والقُرْآنِ المَجِيدِ﴾، أكْثَرُ أهْلِ اللُّغَةِ، وما جاءَ في التَّفْسِيرِ أنَّ مَجازَ "ق"، مَجازُ الحُرُوفِ الَّتِي تَكُونُ في أوائِلِ السُّوَرِ، نَحْوَ "ن"، و"الم"، و"ص"، وقَدْ فَسَّرْنا ذَلِكَ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مَعْنى "قافْ"، مَعْنى: قُضِيَ الأمْرُ، كَما قِيلَ "حم": "حُمَّ الأمْرُ"، واحْتَجَّ الَّذِينَ قالُوا مِن أهْلِ اللُّغَةِ: إنَّ مَعْنى "ق"، بِمَعْنى "قُضِيَ الأمْرُ"، بِقَوْلِ الشّاعِرِ :

قُلْنا لَها قِفِي قالَتْ قافْ ***...... لا تَحْسَبِي أنّا نَسِينا الإيجافْ [(١)].

مَعْناهُ: "فَقالَتْ: أقِفُ"، ومَذْهَبُ النّاسِ أنَّ "قافْ"، اِبْتِداءٌ لِلسُّورَةِ، عَلى ما وصَفْنا، وقَدْ جاءَ في بَعْضِ التَّفْسِيرِ أنَّ "قافْ"، جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالدُّنْيا، مِن ياقُوتَةٍ خَضْراءَ، وأنَّ السَّماءَ بَيْضاءُ، وإنَّما اخْضَرَّتْ مِن خُضْرَتِهِ، واللَّهُ أعْلَمُ، وجَوابُ القَسَمِ في ﴿ق والقُرْآنِ المَجِيدِ﴾، مَحْذُوفٌ، يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿أإذا مِتْنا وكُنّا تُرابًا﴾ [ق: ٣]، اَلْمَعْنى - واللَّهُ أعْلَمُ -: "والقُرْآنِ المَجِيدِ إنَّكم لَمَبْعُوثُونَ"، فَعَجِبُوا، فَقالُوا ﴿أإذا مِتْنا وكُنّا تُرابًا﴾ [ق: ٣]، أيْ: أنُبْعَثُ إذا مِتْنا، وكُنّا تُرابًا، ولَوْ لَمْ يَكُنْ "إذا"، مُتَعَلِّقًا، لَمْ يَكُنْ في الكَلامِ فائِدَةٌ.

وَقَوْلُهُ :﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]، أيْ: يَبْعُدُ عِنْدَنا أنْ نُبْعَثَ بَعْدَ المَوْتِ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ الجَوابُ ﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنهُمْ﴾ [ق: ٤]، فَيَكُونَ المَعْنى: "ق والقُرْآنِ المَجِيدِ لَقَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنهُمْ"، وحُذِفَتِ اللّامُ، لِأنَّ ما قَبْلَها عِوَضٌ مِنها، كَما قالَ :﴿والشَّمْسِ وضُحاها﴾ [الشمس: ١]، إلى قَوْلِهِ :﴿قَدْ أفْلَحَ مَن زَكّاها﴾ [الشمس: ٩]، اَلْمَعْنى: "لَقَدْ أفْلَحَ مَن زَكّاها"، والمَعْنى "ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنهُمْ": "ما تَأْخُذُهُ الأرْضُ مِن لُحُومِهِمْ."[(٢)].

(١) التخريج: الرجز بلا نسبة في لسان العرب٣٥٩/٩(وقف) ؛ وتهذيب اللغة ٦٧٩/١٥؛ وتاج العروس (سين) ؛والخصائص١/٣٠، ٣٦١/٢، اللغة: قاف: يريد: وقفتُ، الإيقاف: الحث على السير، المعنى: طلب الشاعر من محبوبته أن تقف فأجابته باختصار ويذكرها بأنه لم ينس أوقات السير والحث عليه. والشاهد فيه قوله: "قاف" حيث أراد "وقفت" فحذف الفعل وأبقى حرفًا منه على غير قاعدة.

(٢) انظر. معاني القرآن للزجاج ٤١/٥.

المبحث الثالث: "مسائل متفرقة من الآيات المتشابهة"

أولا: دلالة الحال:

المسألة (الحادية وثمانون) قوله تعالى:(لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجًا)، وفي الأعراف: (من آمن به وتبغونها عوجًا)، بزيادة (به) و(بالواو)؟

يقول ابن جماعة " أن (تَصُدُّونَ) هنا: حال، وإذا كان الفعل حالا لم يدخله الواو وفي الأعراف جملة معطوفة على جملة كأنه قال: توعدون، وتصدون، وتبغون[1].

الآية (١٠٠) آل عمران﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴿١٠٠﴾.

الآية (٨٦) الأعراف﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

يقول ابن هشام " زادوا اللام في بعض المفاعيل المستغنية عنها كما تقدَّم، وعكسوا ذلك فحذفوها من بعض المفاعيل المفتقرة إليها كقوله تعالى : { تَبْغُونَهَا عِوَجًا }، {وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ}، {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ }، وقالوا : وهبتك دينارًا، وصِدْتُك ظبيًا، وجنيتُك ثمرة[2].

الإعراب: قوله تعالى: { لِمَ تَصُدُّونَ} { لِمَ } متعلقٌ بالفعلِ بعده، و { مَنْ آمن} مفعولٌ، وقولُه { يَبْغُونها} يجوز أن تكونَ جملةً مستأنفةً أَخْبَرَ عنهم بذلك، وأَنْ تكونَ في محلِّ نصبٍ على الحال، وهو أظهرُ من الأول لأنَّ الجملةَ الاستفهامية جِيء بعدها بجملةٍ حاليةٍ أيضاً وهي قوله {وأنتم تَشْهَدون} فتتفقُ الجملتان في انتصابِ الحال عن كل منهما، ثم إذا قلنا بأنها حالٌ ففي صاحبِها احتمالان، أحدُهما: أنه فاعل {

(١) كشف المعاني، ص ١٣٢.

(٢) انظر. مغني اللبيب ١٤٩/٣.

تَصُدُّون}، والثاني: أنه {سبيل الله} وإنما جاز الوجهان لأن الجملةَ اشتملَتْ على ضميرِ كلٍّ منهما ".

قال السمين : "قال ابن الأنباري : البغي يقتصر له على مفعول واحد إذا لم يكن معه اللام كقولك : بغيت المال والأجر والثواب، وههنا أريد : يبغون لها عوجًا، فلما سقطت اللام عمل الفعلُ فيما بعدها، كما قالوا : "وهبتك درهمًا " يريدون وهبتُ لك، ومثله : صِدْتُك ظبيًا، أي صِدتُ لك....." [1].

يقول النحاس " تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً أي تبغون لها وحذف اللام مثل وَإِذا كالُوهُمْ [المطففين] أي قالوا لهم يقال: بغيت له كذا وأبغيته أي أعنته عليه. وَأَنْتُمْ شُهَداءُ قيل: هذا للذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقيل »شهداء «أي عالمون أنها سبيل الله"[2].

الإعراب : جملة آمن به صلة، وبه جار ومجرور متعلقان بآمن (وَتَبْغُونَها عِوَجاً) وتبغونها فعل وفاعل ومفعول به، وعوجا حال وقع فيها المصدر موضع الاسم المشتق، أي: معوجة. ويجوز أن تكون الهاء في محل نصب بنزع الخافض، وعوجا مفعول به".

ثالثا: دلالة العطف :

أ) عطف الجملة الإسمية على الجملة الإسمية :

المسألة (السادسة والثلاثون) قوله تعالى:{ولا هم يحزنون}- ص٣٤ – ما فائدة: هم؟

قال ابن جماعة: العطف على الإسمية أفصح وأنسب"[3].

---

(١) الدر المصون ٢/١٧٤.

(٢) انظر. إعراب القرآن للنحاس، ص٣١٤.

(٣) كشف المعاني،ص١٠٢.

الآية(٣٨) من سورة البقرة، قال تعالى﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾

وأمّا عن فائدة ضمير الفصل "هم " فكما يقول ابن عصفور " واعلم أنّه يجوز عطف الأسماء على بعضها بعض من غير شرط، إلا ضمير الرفع المتصل وضمير الخفض، فأما ضمير الرفع المتصل فلا يُعطف إلّا بعد تأكيد، بضمير رفع مثله منفصل، أو بطول يقوم مقام التأكيد، فمثال العطف عليه بعد التأكيد قوله تعالى { اسكُنْ أنتَ وزوجكَ الجنّةَ}، فـ" أنتَ" تأكيد للضمير المستتر في "اسكن"، و"زوجك" معطوف على ذلك الضمير المستتر.

والطول القائم مقام التأكيد هو أن يق قبل حرف العطف والمعطوف معمول للعامل في الضمير المعطوف عليه، أو يقع بعد حرف العطف "لا".

ومثال الفصل قوله تعالى: { أشركنا ولا أباؤنا}، فقوله: {ولا اباؤنا}، معطوف على الضمير في "أشركنا"، ولم يحتج إلى التأكيد للطول بـ"لا" التي بعد الواو، وإنا احتيج إلى التأكيد أو الطول لأنّهم كرهوا أن يكون المعطوف لم يتقدم له في الذكر ما يُعطف عليه، فجعلوا هذا التأكيد أو الطول عوضًا من ذكر المعطوف عليه"[١].

تعقيب: يتبين من خلال كلام ابن عصفور أن هناك مواضع لا يكون العطف على الجملة الأسمية فصيح ، وبهذا يكون ابن جماعة قد أخطأ عندما ذهب إلى القاعدة المطلقة أو تعميم القول بأن العطف على الجملة الإسمية أفصح وأنسب. والله أعلم

(ب) عطف الجمل الفعلية على جمل فعلية:

المسألة (الثانية والثمانون) قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ}.

---

(١) راجع شرح جمل الزجاجي١ /٢٠٠.

يقول ابن جماعة" أن آية آل عمران ختم فيها الجملة الأولى بجار ومجرور وهو قولة (لكم) فختمت الجملة التي تليها بمثله وهو قوله (به) لتناسب الجملتين.

وآية الأنفال: خلت الأولى عن ذلك فرجع إلى الأصل وهو إيلاء الفعل لفعله، وتأخير الجار الذي هو مفعول[1].

يقول ابن عصفور " ولا يجوز عطف فعل على فعل إلا بشرط أن يتفقا في الزمان، فلا يجوز أن تعطف ماضيًا على مستقبل ولا مستقبلًا على ماضٍ، والأحسن أن يتفقا في الصيغة مع اتفاقهما في الزمان، فتقول: "زيدٌ قامَ وخَرَجَ"، و"زيدٌ يقوُ ويخرجُ".

وقد يجوز أن تختلف الصيغ في الأفعال المعطوفة مع اتفاق الزمان، نحو: "إن قامَ زيدٌ ويخرُجْ يقُمْ بِكرٌ". فعطف"يخرج" على "قامَ" لا تفاقهما في الاستقبال. ومن ذلك قوله تعالى: {ألم تَرَ أنَّ الله أنزَلَ من السماء ماءً فتُصبحُ الأرضُ مُخضرة} ألا ترى أنّ المعنى: أنزل من السماء ماءً فأصبحتِ الأرضُ مخضرةً، وقول الشاعر[من الكامل]:

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يَسُّبني *** فمضيتُ ثُمَتَ قلتُ لا يَعِنيني [2].

---

(١) كشف المعاني،ص١٣٢.

(٢) روى هذا البيت لرجل سلولي من غير أن يعين أحد اسمه، والثاني: غضبان ممتلئا على إهابه * إني - وحقك - سخطه يرضيني - وقد رواه الأصمعي في الأصمعيات ثالث خمسة أبيات، ونسبها لشمر بن عمرو الحنفي، وانظر الأصمعيات (ص ٦٤ ليبسك عام ١٩٠٢، وانظر الأصمعية رقم ٣٨ طبع مصر). الشاهد فيه: قوله " اللئيم يسبني " حيث وقعت الجملة نعتا للمعرفة، وهو المقرون بأل، وإنما ساغ ذلك لأن أل فيه جنسية؛ فهو قريب من النكرة، كذا قال جماعة:متهم ابن هشام الأنصاري، وقال الشارح العلامة: إنه يجوز أن تكون الجملة حالية.، الذي ترجحه هو ما ذهب إليه غير الشارح من تعين كون الجملة نعتا في هذا البيت؛ لأنه الذي يلتئم معه المعنى المقصود، ألا ترى أن الشاعر يريد أن يتمدح بالوقار وأنه شديد الاحتمال للأذى، وهذا إنما يتم له إذا جعلنا اللئيم منعوتا بجملة " يسبني " إذ يصير المعنى أنه يمر على اللئيم الذي شأنه سبه وديدنه النيل منه، ولا يتأتى هذا إذا جعلت الجملة حالا؛ إذ يكون المعنى حينئذ أنه يمر على اللئيم في حال سبه إياه، نعم يمكن أن يقال إنه لو تحمل ومضى في هذه الحال فهو في غيرها أشد تحملا، ولكن هذه دلالة التزاميه، والدلالة الأولى وضعية.

فعطف "فمضيتُ" وهو ماضٍ على"أمرّ"، لأن "أمرّ" في المعنى ماضٍ، ألا ترى أن المعنى: لقد مررتُ على اللئيم يسبني فمضيت؟

وأما إذا اختلف الزمان، فلا يجوز العطف، فلا تقول، فلا تقول: "زيدٌ قامّ ويخرجُ" ،تريد:قامَ فيما مضي ويخرج فيما يستقبل"[١].

(ج) عطف الاسم على الفعل :

مسألة (مائة وثمانية وعشرون)قوله تعالى: { إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مشنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ}، وفي سائر المواضع: {وَيُخْرِجُ} بالياء؟

يعلّل ابن جماعة أنَّ: يخرج الحيّ من الميّت مناسب في المعنى لفلق الحب والنّوى عن الخارج عنهما فجيء بالياء كالشرح له، ثم عطف {مُخْرِجُ} على {فَالِقِ} لأن عطف الاسمية على الاسمية أنسب وأفصح، ولما فيه من المقابلة للجملة المتقدمة، وسائر المواضع بالياء: لأن الجملة قبلها فعلية، فعطف عليها بفعلية[٢].

يقول ابن عصفور " ولا يجوز عطف الاسم على الفعل، ولا الفعل على الاسم إلا في موضع يكون الفعل فيه في موضع الاسم أو الاسم في موضع الفعل

والموضع الذي يقع فيه الفعل موقع الاسم أن يقع خبرًا لذي خبر، أعني خبرًا لمبتدأ أو لكان وأخواتها أو لأن وأخواتها أو لـ"ما" أو حالًا لذي حال أو صفة لموصوف أو في موضع المفعول الثاني لِ "ظننت" أو الثالث من باب " أعملت".

فمما جاء من عطف الاسم على الفعل لوقوع الفعل موقع الاسم قوله [من الطويل]:

فألفيتُهُ يومًا يُبِيرعَدُوَّهُ *** و[حْرَعطاءٍ يَستخِفُّ المعابِرا [٣].

---

(١) شرح الجمل ١ /٢١٣.

(٢) كشف المعاني،ص١٦٣.

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٧١ ؛ وبلا نسبة في رصف المباني ص ٤١١ ؛ والمقاصد النحوية ٤ / ١٧٦. **اللغة**: ألفيته: وجدته. يبير: يزيل، يقضي، يهلك. المعابر: ما يعبر عليه كالسفينة ونحوها. **المعنى**: يقول:

وقول الاخر [من الرجز]:

باشر راعٍ وسطَها لجابرِ*** باتَ يُغَشّيها بعَضْبٍ باتِرِ [1].

يريد: قاصدٍ في أسوقها وجائزٍ[2].

(د) العطف على فعل محذوف في قوله تعالى: (وثامنهم كلبهم) حذف المعطوف عليه، تقديره صدقوا، وثامنهم كللبهم.

يقول ابن جماعة" أن الواو عاطفة على فعل مقدر معناه: صدقوا وثامنهم كلبهم[3].

وجدته يهلك العدوّ، وهو في عطائه كأنه بحر تعبره السفن الكثيرة، ممهّدا لها من نفسه السبل لتعيش.

الإعراب: «فألفيته»: الفاء بحسب ما قبلها، «ألفيته»: فعل ماض، والتاء ضمير في محلّ رفع فاعل، والهاء ضمير في محلّ نصب مفعول به أوّل. «يوما»: ظرف زمان متعلّق بـ «ألفيت». «يبير»: فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو». «عدوّه»: مفعول به، وهو مضاف، والهاء ضمير في محلّ جرّ بالإضافة. «وبحر»: الواو حرف عطف، «بحر»: معطوف على «يبير» الواقعة مفعولا به ثانيا لـ «ألفى». «عطاء»: مضاف إليه. يستخفّ: فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو». «المعابرا»: مفعول به منصوب، والألف للإطلاق. وجملة: «ألفيته» بحسب ما قبلها. وجملة: «يبير» في محلّ نصب مفعول به ثان لـ «ألفى». وجملة «يستخفّ المعابرا» في محل نصب نعت «بحر» الشاهد فيه قوله: «يبير عدوّه وبحر...» حيث عطف الاسم «بحر» على الفعل «يبير» لوقوع الفعل موقع الاسم «مبيرا».

(1) الرجز بلا نسبة في خزانة الأدب ٥ / ١٤٠، ١٤٣ ؛ وشرح الأشموني ٢ / ٤٣٣ ؛ ولسان العرب ١١ / ٦٠٠ (كهل) ، ١٥ / ٦٢ (عشا) ؛ والمقاصد النحوية ٤ / ١٧٤. **اللغة:** يغشّيها: يغطّيها. العضب: السيف. الباتر: القاطع. الإعراب: ... «بات»: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو». يغشّيها»: فعل مضارع مرفوع، و «ها»: ضمير في محلّ نصب مفعول به، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو». «بعضب»: جار ومجرور متعلّقان بـ «يغشّي». «باتر»: نعت «عضب» مجرور. «يقصد»: فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو». «في أسوقها»: جار= =ومجرور متعلّقان بـ «يقصد»، وهو مضاف، و «ها»: ضمير في محلّ جرّ بالإضافة. «وجائر»: الواو حرف عطف، «جائر»: معطوف على «يقصد» الواقعة نعتا لـ «عضب»، وجملة: «بات يغشيها» في محل نصب حال. وجملة: «يغشّيها» في محلّ نصب خبر «بات». وجملة: «يقصد» في محلّ جرّ نعت «عضب". الشاهد فيه قوله: «يقصد في أسوقها وجائر» حيث عطف اسم الفاعل «جائر» على الفعل «يقصد» وذلك لوقوع الفعل موقع الاسم «قاصد».

(2) راجع شرح الجمل ابن عصفور١/٢١٢،٢١١.

(3) كشف المعاني،ص٢٣٨.

يقول ابن عصفور " وكذلك أيضًا يجوز حذف حرف العطف والمعطوف عليه لفهم المعنى، فمن ذلك قوله تعالى: {فأوحينا إلى موسى أنْ اضرِبْ بعصاكَ البَحر فانفلقَ}، وقوله تعالى: {وأَوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أَن اضرِبْ بعصاكَ الحَجَرَ فانبجَسَتْ}، وقوله تعالى: {فمنَ كانَ منكُ مريضًا أو على سَفَرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ أُخَرَ}.

التقدير: فَضَرَبَ فانفلَقَ، فضَرَبَ فانبجَسَتْ، وفأفطرَ فعِدَّةٌ، فحذف"ضرب" و "أفطر" وفاءَ العطفِ مما بعدها"من أيّام أُخَر"، وعلى ذلك يتخرّج ما رواه قطرب من قول النابغة [من البسيط]:

١٥٣-قالَتْ ألا ليتما هذا الحَمامُ لنا * إلى حَمامَتنا أو نصفهُ فَقَدِ [1].**

تقديره: أو هذا الحمامُ ونصفُه، فحذف هذا الحمام وهو المعطوف عليه وحذف حرف العطف وهو الواو[2].

يقول الزمخشري " أن من عطف الأسماء على الأسماء، أن تعطف مفردًا على مفرد، نحو: (جاءني زيدٌ وعمروٌ)، و"رأيت زيدًا وعمرًا"، و"مررت بزيد وعمرو"، عطفت "عمرًا " على "زيد"، وكلاهما مفرد، والغرض من ذلك اختصارُ العامل، واشتراك الثاني في تأثير العامل الأول، فإذا قلت : "قام زيدٌ وعمروٌ"، فأصله: قام زيدٌ

---

(١) التخريج: البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص٢٤؛ والأزهيَّة ص٨٩،١١٤؛ ورصف المباني ص٣١٦،٢٩٩.
اللغة والمعنى: فقد: هنا اسم فعل بمعنى "يكفي"، أو اسم بمعنى: "كافٍ"، أو: بمعنى الواو قالت: ألا ليت هذا الحمام كلّه لنا، أو نصفه مضافًا إلى حمامتنا فهو كاف [لأن يصير مئة] الإعراب: قالت: فعل ماضٍ، والتاء: التأنيث، والفاعل: هي. ألا: حرف استفتاح وتنبيه. لئيما: حرف مشبّه بالفعل. و"ما" زائدة. وقد تكون غير عاملة. هذا: اسم إشارة في محل نصب اسم "ليت"، أو مبتدأ إذا اعتبرت غير عاملة. الحمام: بدل من "هذا" منصوب أو مرفوع. لنا: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر "ليت" أو خبر المبتدأ. إلى حمامتنا: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر "ليت" أو بمحذوف حال من اسم "ليت"، وهو مضاف، ونا: ضمير متصل مبني في محل جرّ بالإضافة. أو: حرف عطف. نصفه: معطوف على "هذا"، وهو مضاف، والهاء: في محل جرّ بالإضافة. فقد: الفاء: فاء الفصيحة. قد: اسم بمعنى "كافٍ" مبنيّ في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: وإن حصل فهو كاف لـ"كذا".
وجملة (قالت...) الفعلية لا محلّ لها من الإعراب لأنّها ابتدائية. وجملة (ألا ليتما.) الاسميّة في محل نصب مفعول به.
والشاهد فيه قوله: "هذا الحمام أو نصفه" حيث يمكن تخريجه على تقدير: " هذا الحمام أو هذا الحمام ونصفه" فحذف "هذا الحمام" وهو المعطوف عليه وحذف حرف العطف "الواو".
(٢) انظر. شرح جمل ٢١٥/١.

قام عمروٌ، فحذفت " قام" الثانية لدلالة الأولى عليها، وصار الفعلُ الأولُ عاملًا في المعطوف والمعطوف عليه، هذا مذهبُ سيبويه وجماعة من المحققين، وكان غيره يزعم أن العامل في الاسم المعطوف عليه العامل المذكور، والعامل في المعطوف حرفُ العطف بحكْم نيابته عن المحذوف، وهو رأي أبي علي، فإذا قلت : "قام زيدٌ وعمروٌ"، فالعامل في "زيد" العامل الأوّل، والعامل في "عمرو" حرف العطف، وقال آخرون: العامل في المعطوف المحذوفُ، فإذا قلت: "ضربتُ زيدًا وعمرًا"، فالراد: وضربتُ عمرًا، فحذفت الثانية لدلالةِ الأولى عليه، وبقى عمله في "عمرًا" على ما كان، كما قلت: "زيد عندك" وأصلُه: استقرّ عندك، ثم حُذفت " استقر" لدلالِة الظرف عليه، وبقي عملُه فيه على ما كان، كذلك ههنا"[1].

ثالثا: دلالة التكرار:

مسألة(أربعمائة وستة وسبعون) قوله تعالى: { لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ } إلى آخر السورة. هل هو تكرار الفائدة أم ليس بتكرار؟

يقول ابن جماعة " ليس بتكرار في المعنى، فإن قوله تعالى ذلك جواب لقول أبي جهل ومن تابعه للنبي صلي الله عليه وسلم: "نشترك – ص١٢٦- في عبادة إلهك وآلهتنا، أعْبُدْ آلهتنا عاما ونعبد إلهك عاما"!

فأخبر أن ذلك لا يكون، فقوله: { لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُوْنَ مَا أَعْبُدُ} صريح في الآن الحاضر فنفى المستقبل كالمسكوت عنه فصرح بنفي ذلك أيضا فيه بقوله تعالى: { وَلَا أَنَا عَابِدٌ} أي في المستقبل، { مَا عَبَدْتُمْ }أي الآن، {وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُوْنَ} في المستقبل ما أعبده في الحال والاستقبال، وهذا إعلام من الله تعالى له بعدم إيمان أولئك خاصة، كما قال تعالى لنوح عليه السلام: { لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ} عامة، فلا تكرار حينئذ، وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم، فإن القائلين له ذلك ماتوا كفارا، ولم يؤمن أحد منهم قط والله تعالى أعلم"[2].

---

(١) انظر. شرح المفصل ٢ / ٢٧٧.

(٢) كشف المعاني ص٣٧٩،٣٨١.

التحليل: الفعل المضارع هو في اللغة يتناول الزمن الدائم سوى الماضي فيعم الحاضر والمستقبل كما قال سيبويه : وبنوه لما مضى من [ص: ٥٥٢] الزمان ولما هو دائم لم ينقطع ولما لم يأت بمعنى الماضي والمضارع وفعل الأمر. فجعل المضارع لما هو من الزمان دائما لم ينقطع وقد يتناول الحاضر والمستقبل.

فقوله { لا أعبد } يتناول نفي عبادته لمعبودهم في الزمان الحاضر والزمان المستقبل وقوله {ما تعبدون } يتناول ما يعبدونه في الحاضر والمستقبل كلاهما مضارع.

وقال في الجملة الثانية عن نفسه { ولا أنا عابد ما عبدتم }. فلم يقل " لا أعبد " بل قال { ولا أنا عابد }. ولم يقل " ما تعبدون " بل قال { ما عبدتم }. فاللفظ في فعله وفعلهم مغاير للفظ في الجملة الأولى.

والنفي بهذه الجملة الثانية أعم من النفي بالأولى. فإنه قال { ولا أنا عابد ما عبدتم } بصيغة الماضي. فهو يتناول ما عبدوه في الزمن الماضي لأن المشركين يعبدون آلهة شتى. وليس معبودهم في كل وقت هو المعبود في الوقت الآخر كما أن كل طائفة لها معبود سوى معبود الطائفة الأخرى.

فقوله { لا أعبد ما تعبدون } براءة من كل ما عبدوه في الأزمنة [ص: ٥٥٣] الماضية كما تبرأ أولا مما عبدوه في الحال والاستقبال. فتضمنت الجملتان البراءة من كل ما يعبده المشركون والكافرون في كل زمان ماض وحاضر ومستقبل. وقوله أولا : { لا أعبد ما تعبدون } لا يتناول هذا كله.

وقوله { ولا أنا عابد } اسم فاعل قد عمل عمل الفعل ليس مضافا فهو يتناول الحال والاستقبال أيضا. لكنه جملة اسمية والنفي بما بعد الفعل فيه زيادة معنى كما تقول : ما أفعل هذا وما أنا بفاعله.

وقولك " ما هو بفاعل هذا أبدا " أبلغ من قولك " ما يفعله أبدا ". فإنه نفى عن الذات صدور هذا الفعل عنها بخلاف قولك " ما يفعل هذا " فإنه لا ينفي إمكانه وجوازه منه. ولا يدل على أنه لا يصلح له ولا ينبغي له ؛ بخلاف قوله " ما هو فاعلا وما هو بفاعل " كما في قوله {فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم

} وقوله { ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي } وقوله { وما الله بغافل عما تعملون } { وما أنت بهادي العمي } { وما أنت بمسمع من في القبور } { وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله }.

ولا يقال : الجملة الاسمية ترك الثبوت ونفي ذلك لا يقتضي نفي [ص: ٥٥٤] العارض. فإن هذه الجملة في معنى الفعلية نفي لكونها عملت عمل الفعل. لكنها دلت على اتصاف الذات بهذا فنفت عن الذات أن يعرض لها هذا الفعل تنزيها للذات ونفيا لقبولها لذلك. فالأول نفي الفعل في الماضي والمستقبل والثاني نفي قبوله في الماضي مع الحاضر والمستقبل.

فقوله { ولا أنا عابد ما عبدتم } أي نفسي لا تقبل ولا يصلح لها أن تعبد ما عبدتموه قط ولو كنتم عبدتموه في الماضي فقط. فأي معبود عبدتموه في وقت فأنا لا أقبل أن أعبده في وقت من الأوقات.

ففي هذا من عموم عبادتهم في الماضي والمستقبل ومن قوة براءته وامتناعه وعدم قبوله لهذه العبادة في جميع الأزمان ما ليس في الجملة الأولى. تلك تضمنت نفي الفعل في الزمان غير الماضي وهذه تضمنت نفي إمكانه وقبوله لما كان معبودا لهم ولو في بعض الزمان الماضي فقط. والتقدير : ما عبدتموه ولو في بعض الأزمان الماضية فأنا لا يمكنني ولا يسوغ لي أن أعبده أبدا.

ولكن لم ينف إلا ما يكون منه في الحاضر والمستقبل لأن المقصود براءته هو في الحال والاستقبال. وهذه السورة يؤمر بها كل مسلم وإن كان قد أشرك بالله قبل قراءتها [ص: ٥٥٥] فهو يتبرأ في الحاضر والمستقبل مما يعبده المشركون في أي زمان كان وينفي جواز عبادته لمعبودهم ويبين أن مثل هذا لا يكون ولا يصلح ولا يسوغ. فهو ينفي جوازه شرعا ووقوعا. فإن مثل هذا الكلام لا يقال إلا فيما يستقبح من الأفعال كمن دعي إلى ظلم أو فاحشة فقال : " أنا أفعل هذا ؟ ما أنا بفاعل هذا أبدا ". فهو أبلغ من قوله " لا أفعله أبدا ". وهذا كقوله { وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض }.

فهو يتضمن نفي الفعل بغضا فيه وكراهة له بخلاف قوله " لا أفعل ". فقد يتركه الإنسان وهو يحبه لغرض آخر. فإذا قال " ما أنا عابد ما عبدتم " دل على البغض والكراهة والمقت لمعبودهم ولعبادتهم إياه. وهذه هي البراءة.

ولهذا تستعمل في ضد الولاية فيقال : تَوَلّ فلانا وتبرأ من فلان. كما قال تعالى { إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله } الآية.

وأما قوله عن الكفار : { ولا أنتم عابدون ما أعبد } فهو خطاب لجنس الكفار وإن أسلموا فيما بعد فهو خطاب لهم ما داموا كفارا. فإذا أسلموا لم يتناولهم ذلك. فإنهم حينئذ مؤمنون لا كافرون، [ص: ٥٥٦] وإن كانوا منافقين فهم كافرون في الباطن فيتناولهم الخطاب.

وهذا كما يقال : قل يا أيها المحاربون والمخاصمون والمقاتلون والمعادون. فهو خطاب لهم ما داموا متصفين بهذه الصفة. وما دام الكافر كافرا فإنه لا يعبد الله وإنما يعبد الشيطان ؛ سواء كان متظاهرا أو غير متظاهر به كاليهود.

فإن اليهود لا يعبدون الله وإنما يعبدون الشيطان لأن عبادة الله إنما تكون بما شرع وأمر. وهم وإن زعموا أنهم يعبدونه فتلك الأعمال المبدلة والمنهي عنها هو يكرهها ويبغضها وينهى عنها فليست عبادة.

فكل كافر بمحمد لا يعبد ما يعبده محمد ما دام كافرا. والفعل المضارع يتناول ما هو دائم لا ينقطع. فهو ما دام كافرا لا يعبد معبود محمد صلى الله عليه وسلم لا في الحاضر ولا في المستقبل.

ولم يقل عنهم " ولا تعبدون ما أعبد " بل ذكر الجملة الاسمية ليبين أن نفس نفوسكم الخبيثة الكافرة بريئة من عبادة إله محمد لا يمكن أن تعبده ما دامت كافرة. إذ لا تكون عابدته إلا بأن تعبده [ص: ٥٥٧] وحده بما أمر به على لسان محمد. ومن كان كافرا بمحمد لا يكون عمله عبادة لله قط.

وتبرئتهم من عبادة الله جاءت بلفظ واحد بجملة اسمية تقتضي براءة ذواتهم من عبادة الله لم تقتصر على نفي الفعل.

وأما عن فائدة هذا التكرار:

١- أنه للتأكيد على عدم عبادتهم لله أبدا.

٢- أنه رد على قريش في قبال قولهم واقتراحهم على رسول الله كما في الرواية: في تفسير القمي ج ٢ (قال: حدثني أبي عن محمد ابن أبي عمير قال: سأل أبو شاكر أبا جعفر الأحول عن قول الله تعالى: (قل يا أيها الكافرون • لا أعبد ما تعبدون • ولا أنتم عابدون ما أعبد • ولا أنا عابد ما عبدتم • ولا أنتم عابدون ما أعبد) فهل يتكلم الحكيم بمثل هذا القول ويكرره مرة بعد مرة فلم يكن عند أبي جعفر الأحول في ذلك جواب، فدخل المدينة فسأل أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال كان سبب نزولها وتكرارها أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فأجابهم الله بمثل ما قالوا فقال فيما قالوا تعبد آلهتنا سنة (قل يا أيها الكافرون • لا أعبد ما تعبدون) وفيما قالوا نعبد إلهك سنة (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وفيما قالوا تعبد آلهتنا سنة (ولا أنا عابد ما عبدتم) وفيما قالوا نعبد إلهك سنة (ولا أنتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين) قال فرجع أبو جعفر الأحول إلى أبي شاكر فأخبره بذلك فقال أبو شاكر: هذا ما حمله الإبل من الحجاز).

مسألة (أربعمائة وسبعون) قوله تعالى:{ فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا} ما فائدة تكراره؟

ذكر ابن جماعة " أن اليسر الثاني غير "يسر" الأول، بدليل تنكيره، والعسر الأول هو الثاني بدليل تعريفه باللام، وفي الحديث: "لن يغلب عسر يسرين" إشارة إلى ما ذكرناه "[1].

---

(١) كشف المعاني، ص٣٧٧.

وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني في كتابه "نظم القرآن" وابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" عن قاعدة تكرار النكرة والمعرفة: تتكون هذه القاعدة من جزءين: الجزء الأول: إذا تكررت المعرفة لفظاً فهي الأولى معنى.

الجزء الثاني: إذا تكررت النكرة لفظاً فالثانية غير الأولى. وبين عددٌ من أهل العلم هذه القاعدة، ومنهم الطحاوي في شرح مشكل الآثار، والسمين الحلبي في الدر المصون في علوم الكتاب المكنون فقالوا: العرب إذا أَتَتْ باسمٍ ثم أعادَتْه مع الألفِ واللامِ كان هو الأولَ نحو: جاء رجلٌ فأكرمْتُ الرجلَ، أما إذا كان الاسمان المكرران نكرة فإن الأول غير الثاني -غالبًا- لأن تكرار النكرة يدل على تعددها فالنكرة الأولى غير النكرة الثانية.

أشهر الأمثلة هذا الموضع في قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح:٥-٦] فقالوا لَمَّا أعاد العُسْرَ الثاني أعادَه بأل، ولَمَّا كان اليُسْرُ الثاني غيرَ الأولِ لم يُعِدْه بأل.

قال ابن هشام "أوْلهم إِن النكرَة إِذا أعيدت نكرَة كَانَت غير الأولى وَإِذا أُعِيدَت معرفَة أَو أُعِيدَت الْمعرفَة معرفَة أَو نكرَة كَانَ الثَّانِي عين الأول" ثم استشكلها رحمه الله وذكر بعض ما يرد على هذه القاعدة، ومن أبرز ما يعترض الاطراد المطلق في هذه القاعدة ورود مواضع قرآنية لا يمكن تطبيقها عليها.

ولكن مال ابن هشام إلى تعديل هذه القاعدة لتكون أكثر دقة بأن يقال: إذا أعيدت النكرة معرفة فهي عينها، وإذا أعيدت نكرة فهي غيرها، وأضاف "مَعَ عدم الْقَرِينَة فَأَما إِن وجدت قرينَة فالتعويل عَلَيْهَا". والقرينة المشار إليها تكون في الجزءين (المعرفة والنكرة) وذلك بسبب وقوع الاحتمال، والقرينة تعين المراد هو السابق أم غيره وما هو وجه المغايرة.

وجاء في الكشاف " والقول في أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للأولى كما كرر قوله فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، وكما يكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، وأن تكون الأولى عدة بأنّ العسر مردوف بيسر لا محالة، والثانية عدة مستأنفة بأنّ العسر متبوع بيسر، فهما يسران على

تقدير الاستئناف، وإنما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو، إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه، فهو هو، لأنّ حكمه حكم زيد في قولك: إن مع زيد مالا، إن مع زيد مالا. وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضا.

وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس، فإذا كان الكلام الثاني متأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الأوّل بغير إشكال. فإن قلت: فما المراد باليسرين؟ قلت: يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله ﷺ وما تيسر لهم في أيام الخلفاء، وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة، كقوله تعالى قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب. فإن قلت فما معنى هذا التنكير؟ قلت: التفخيم، كأنه قيل إن مع العسر يسرا عظيما وأىّ يسر، وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة. فإن قلت: فإذا ثبت في قراءته غير مكرر، فلم قال: والذي نفسي بيده، لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين ؟ قلت: كأنه قصد باليسرين: ما في قوله يُسْراً من معنى التفخيم، فتأوله بيسر الدارين، وذلك يسران في الحقيقة.

مسألة (أربعمائة وواحد وستون) قوله تعالى: { كَلاَّ سَيَعْلَمُوْنَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُوْنَ} ما فائدة التكرار [هنا] وفي "التكاثر".

يقول ابن جماعة " إما توكيد للخبر، أو ستعلمون ما تلقون في الآخرة [1].

آية التكاثر (٣/٤) ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

في قوله تعالى (كلا سيعلمون) أراد تعالى أن يشير الى القصر الزمني وهو أنهم سيعلمون في حياتهم الدنيا.

التكرار: في قوله تعالى «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» وقد كرر لتأكيد الردع، وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ، كما يقول العظيم لعبده أقول لك ثم أقول لك لا تفعل. قيل: ولكونه أبلغ نزل منزلة المغايرة.

---

(١) كشف المعاني، ص٣٧١.

يقول النحاس(ت٣٣٨هـ) {ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)} تكرير عند الفراء. وأحسن منه ما قاله الضحاك قال: الأولى للكفار، وذهب إلى أن الثانية للعصاة من المؤمنين[١]، وقال والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف، فهذا من ذاك.

مسألة رقم (أربعمائة وستة وخمسون) قوله تعالى: { أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى }(٢). ما معناه؟وما فائدة تكراره؟.

يقول ابن جماعة " هو دعاء على المخاطب بالويل وهو مشتق من " ولى" إذا قرب، [و] معناه: أقرب لك الويل، وأما تكراره فإما تأكيد له، أو أنّ الأول للدنيا، والثاني للآخرة، أي: ويل له فيهما. والله أعلم[٣].

يقول ابن عطية (ت٥٤٦هـ) وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿أولى لَكَ فَأولى﴾ وعِيدٌ ثانٍ، ثُمَّ كَرَّرَ ذَلِكَ تَأْكِيدًا، والمَعْنى: أولى لَكَ الِازْدِجارُ والِانْتِهاءُ، وهو مَأْخُوذٌ مَن "وَلِّيَ"، والعَرَبُ تَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الكَلِمَةَ زَجْرًا، ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿فَأولى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠] ﴿طاعَةٌ وقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١]، ويُرْوى «أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَبَّبَ أبا جَهْلٍ يَوْمًا في البَطْحاءِ وقالَ لَهُ: إنَّ اللهَ يَقُولُ لَكَ: ﴿أولى لَكَ فَأولى﴾ فَنَزَلَ القُرْآنُ عَلى نَحْوِها»[٤] وفي شِعْرِ الخَنْساءِ: (البحر: المتقارب)

هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلَّ الهُمُومِ *** فَأولى لِنَفْسِي أولى لَها[٥].

يقول السمين(ت٧٥٦ هـ) " وتقدَّم الكلامُ على قوله: {أولى لَكَ فأولى} في آخر سورة القتال مُشبعاً، وإنما كُرِّرَ هنا مبالغةً في التهديد والوعيد.

وقال أبو البقاء هنا: «وزنُ أَوْلَى فيه قولان، أحدُهما: فَعْلَى، والألفُ فيه للإِلحاقِ لا للتأنيثِ، والثاني: هو أَفْعَلُ، وهو على القولَيْن هنا [عَلَم] ولذلك لم يُنَوَّنْ، ويَدُلُّ

---

(١) انظر. إعراب القرآن للنحاس/ معاني القرآن للفراء.

(٢) الآيتان (٣٤،٣٥) من سورة القيامة.

(٣) كشف المعاني،ص٣٦٩.

(٤) انظر. المحرر ال وجيز٥/٤٠٧.

(٥) التخريج: البيت لتماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السُلَمية، من بني سُليم، من قيس عيلان، من مضر. أشهر شواعر العرب، وأشعرهن على الإطلاق. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد

عليه ما حكى أبو زيدٍ في» النوادر «:» هي أَوْلاةُ «بالتاءِ غيرَ مَصْروفٍ، فعلى هذا يكونُ» أَوْلى «مبتدأً، و» لك «الخبرُ. والثاني: أَنْ يكونَ اسماً للفعل مبنياً ومعناه: وَلِيَكَ شَرٌّ بعد شَرّ، و» لك «تبيينٌ»[١].

رابعا: دلالة النفي بعد الإثبات: مسألة رقم (مئتان وأربعة وثمانون) قوله تعالى : (وَتَرَى النَّاسَ سُكارَى وَمَا هُمْ بِسُكارَى)؟.

يقول ابن جماعة " أنهم سكارى من الدهش لتلك الأهوال، وما هم بسكارى من الشراب"[٢].

الآية (٢) من سورة الحج قال تعالى:﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

وقال الزمخشري" قوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى: أثبت لهم أولا السكر المجازى، ثم نفى عنهم السكر الحقيقي» قال أحمد: والعلماء يقولون: إن من أدلة المجاز صدق نقيضه، كقولك: زيد حمار، إذا وصفته بالبلادة، ثم يصدق أن تقول: وما هو بحمار، فتنفى عنه الحقيقة، فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازى نفى الحقيقة أبلغ نفى مؤكد بالباء. والسر في تأكيده: التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله، والاستدراك بقوله وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ راجع إلى قوله وَما هُمْ بِسُكارى

وكأنه تعليل لاثبات السكر المجازى، كأنه قيل: إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود، فما هذا السكر الغريب وما سببه؟ فقال: سببه شدة عذاب الله تعالى، ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه أنه قال: هو الوقت الذي يقول كل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيه «نفسي نفسي» [٣].

---

(١) انظر. الدر ال مصون١٠/٥٨٣.

(٢) انظر. كشف المعاني، ص٢٦١.

(٣) انظر. الكشاف ص٦٨٩.

سُكارى على وزن " فعالى" وهو جمع قياسي وأبدى الفراء رأية في هذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى : (وَتَرَى النَّاس سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى) إذ ذكر القراءتين أي (سُكَارى) بضم السين ومد الكاف، و (سَكْرَى) بفتح السين وتسكين الكاف، لكنه استحسن الثانية، قال: " وهو وجه جيد في العربية يقصد قراءة (سَكْرى)، ويبدو رأيالفراء مختلفا عن رأي الأخفش من ناحيتين:

الأولى : أنه عند ذكره لقراءتي: (سُكارَى) على "فُعالى"، و (سكُرى) على "فعلى"، رجح الثانية، وقال عنها : إنها وجه جيد في العربية

الثانية: أنه يرى أن " فعلى " جمع قياسي في كل وصف دل على آفة أو عاهة أو ضرر، سواء أكان وزنه "فعيلا" أم "فعلا" أم "فاعلا" أم "فعلان" بينما فرق الأخفش بين جمع "فعيل " و "فعل" الذي يكون على "فعلى "، وجمع "فعلان" الذي يكون على " فعالى"[١].

يقول الزجاج(ت٣١١هـ) والقِراءَةُ الكَثِيرَةُ:"وَتَرى النّاسَ سَكْرى وما هم بِسُكْرى"،"وَتَرى النّاسَ سُكارى وما هم بِسُكارى". أيْضًا، والتَّفْسِيرُ أنَّكَ تَراهم سُكارى مِنَ العَذابِ والخَوْفِ، وما هم بِسُكارى مِنَ الشَّرابِ، ويَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿وَلَكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[٢].

مسألة رقم (ثلاثمائة وتسعة وعشرون) قوله تعالى: (ولايُسألُ عن ذنوبهم المُجرِمون)، وقال تعالى: (فَوَرَبِّك لَنَسألَنَّهُم أجمعين عمَّا كانوا يعملون)؟

---

(١) انظر. معاني القرآن للفراء ٢١٤/٢.

(٢) انظر. معاني القرآن للزجاج ٤١٠/٣.

اكتفي ابن جماعة في هذا الموضع بقول" أن ذلك في مواطن القيامة، ففي موطن يسألون وتقاوم الحجة عليهم، وفي موطن لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقد تقدم مستوفى في الحجر"[1].

السؤال هنا أنه تعالى نفى هنا سؤال المجرمين عن ذنوبهم، وأكد سؤالهم في سورة الحجر فما توجيه ذلك؟

الآية(٨٧) من سورة القصص ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

الآية(٩٢،٩٣) من سورة الحجر﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

يقول ابن كثير "وَقَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ :﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قَالَ: عَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" كما قال

وفي قوله: {وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}، ﴿وَلا﴾ الواو حرف استئناف ولا نافية ﴿يُسْئَلُ﴾ مضارع مبني للمجهول ﴿عَنْ ذُنُوبِهِمُ﴾ متعلقان بالفعل ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ نائب فاعل والجملة مستأنفة لا محل لها.

ويقول الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) عن آية الحجر "المراد من قوله:{فوربك لنسألنهم أجمعين) أي: لنسألنّ هؤلاء الكفرة أجمعين يوم القيامة عما كانوا يعملون في الدنيا من لأعمال التي يحاسبون عليها ويسألون عنها؛ وقيل: إن المراد سؤالهم عن كلمة التوحيد، والعموم في عما كانوا يعملون، يفيد ماهو أوسع من ذلك؛ وقيل: إن المسؤولين ها هنا هم جميع المؤمنين والعصاة والكفار، ويدلّ عليه قوله:{ثم لتسألنّ يومئذٍ عن النعيم}(التكاثر:٨).

---

(١) انظر. كشف المعاني، ص٢٨٨.

وقوله:{وقوفهم إنهم مسؤولون}(الصافات:٢٤)، وقوله:{إن إلينا إيابهم*ثم إن علينا حسابهم} (الغاشية: ٢٥،٢٦)، ويمكن أن يقال: إن قصر هذا السؤال على المذكورين في السياق وصرف العموم إليهم لا ينافي سؤال غيرهم"[١].

أمّا عن آية القصص يقول الشوكاني " {لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون} أي: لا يسألون سؤال استعتاب كما في قوله: {ولا هم يستعتبون} (النحل:٨٤،الروم:٥٧) {وما هم من المعتبين}(فصلت:٢٤) وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ؛ لأنهم يعرفون بسيماهم، فإنهم يحشرون سود الوجوه زرق العيون. وقال قتادة: لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم لظهورهم، وكثرتها، بل يدخلون النار. وقيل: لا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية"[٢].

ذكر العُكبري عن آية القصص " قوله تعالى: (وَلا يُسْأَلُ): يُقْرَأ على مالم يُسمَّ فاعِلُه، وهو ظاهر، وبتسمية الفاعل؛ و"المُجْرِمُونَ": الفاعل: أي لا يسألون غيرهم عن عقوبة ذُنوبهم لاعترافهم بها. ويُقْرَأ "المجرمون" ؛أي لا يسألُهم اللهُ تعالى"[٣].

مسألة رقم(أربعمائة وخمسة) قوله تعالى : (فأنا أول العابدين) وفي يونس عليه السلام: (فلاأعبد الذين تعبدون من دون الله)؟

يقول ابن جماعة " إن كان له ولد بزعمكم فأنا أول الموحدين، وقيل : هو تعليق على فرض محال، والمعلق على المحال محال"[٤].

الآية (٨١) سورة الزخرف﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

الآية (١٠٤) سورة يونس ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

---

(١) فتح القدير، ص٧٧٠

(٢) التبيان في غريب القرآن، ص١٠٢٦.

(٣) انظر إعراب القرآن ص٤٩٤.

(٤) كشف المعاني، ص

يقول الزمخشري " أنّ "إِنْ" المكسورة الخفيفة قد تكون نافية، ومجراها مجرى "ما" في نفي الحال، وتدخل على الجملتين: الفعلية والإسمية، نحوَ قولك: "إنّ زيدٌ إلاّ قائم"، قال الله تعالى: {إن الكَفِرون إلَّا فِي غُرورٍ}، وتقول في الفعل: "إنْ قام زيدٌ"، أي: ما قام زيد، قال الله تعالى: {إن كَانَتْ إِلّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} "[١].

يقول أبو عبيدة المثني (٢٠٩هـ) ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] "إن" فى موضع " ما " فى قول بعضهم: ما كان للرحمن ولد والفاء مجازها مجاز الواو: ما كان للرحمن ولد وأنا أول العابدين قال الفرزدق :أولئك قوم إن هجونى هجوتهم... وأعبد إن أهجو عبيدا بدارم [٨٣١] وقال آخرون: محازها: إن كان فى قولكم للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم وهى من "عبد يعبد عبدا"[٢].

قال السمين الحلبي " وقيل: " إنْ" نافيةٌ أي: ما كان، ثم أَخْبَرَ بقولِه: { فَأَنَا أَوَّلُ العابدين} وتكونُ الفاءُ سببيةً. ومنع مكي أَنْ تكونَ نافيةً قال : " لأنه يُوْهِمُ أنَّك إنما نَفَيْتَ عن الله الولدَ فيما مضى دونَ ما هو آتٍ، وهذا مُحالٌ "[٣].

يقول الطبري: " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله :﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ فقال بعضهم: في معنى ذلك: قل يا محمد إن كان للرحمن ولد في قولكم وزعمكم أيها المشركون، فأنا أوّل المؤمنين بالله في تكذيبكم، والجاحدين ما قلتم من أن له ولدا "[٤].

يقول القرطبي " قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ﴾ اخْتُلِفَ فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَالسُّدِّيُّ: الْمَعْنَى مَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ، فَ "إِنْ" بِمَعْنَى مَا، وَيَكُونُ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا تَامًّا، ثُمَّ تَبْتَدِئُ "فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ" أَيِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى أَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ. وَالْوَقْفُ عَلَى "الْعابِدِينَ" تَامٌّ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى

(١) شرح المفصل٥/٣٩.
(٢) انظر. مجاز القرآن ٢/٢١٠.
(٣) الدرة المصون ٩/٦٠٨.
(٤) انظر تفسير الطبري

قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنْ ثَبَتَ لِلَّهِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْبُدُ وَلَدَهُ، وَلَكِنْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَهُوَ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تناظره: إن ثبت ما قلت بِالدَّلِيلِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْتَقِدُهُ، وَهَذَا مُبَالَغَةٌ فِي الِاسْتِبْعَادِ، أَيْ لَا سَبِيلَ إِلَى اعْتِقَادِهِ. وَهَذَا تَرْقِيقٌ فِي الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ :﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[سبأ: ٢٤] وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا: فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ لِذَلِكَ الْوَلَدِ، لِأَنَّ تَعْظِيمَ الْوَلَدِ تَعْظِيمٌ لِلْوَالِدِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَعْنَى إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ عَبَدَهُ وَحْدَهُ، عَلَى أَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ أَيْضًا: الْمَعْنَى لَوْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَبَدَهُ، عَلَى أَنَّ لَهُ وَلَدًا وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي ذلك. قال المهدوي: ف "إِنْ" عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ لِلشَّرْطِ، وَهُوَ الْأَجْوَدُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الطَّبَرِيِّ، لِأَنَّ كَوْنَهَا بِمَعْنَى مَا يُتَوَهَّمُ مَعَهُ أَنَّ الْمَعْنَى لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيمَا مَضَى. وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى "الْعابِدِينَ" الْآنِفِينَ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْعَبِدِينَ "[1].

مسألة رقم(ستة عشر) : كيف طابق قوله تعالى: (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) وهو نفى الصفة لقوله: (آمَنَّا) وطباقه: وما آمنوا؟.

يقول ابن جماعة " أن الفعل المضارع مؤذن بالصفة في قول من يقول، فطابقه نفي الصفة التي ادعوها بقوله: (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) "[2].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

يقول الصافي(ت١٣٧٦هـ) " للنحاة في " ما " رأيان : الأول: حجازية: استنادا الى طريقة الحجازيين الذين يعملونها عمل " ليس" فترفع المبتدأ وتنصب الخبر .والثاني: طريقة بني تميم وهم يهملونها فالمبتدأ والخبر بعدها مرفوعان.

ب- بمؤمنين «ذهب النحاة لتسمية هذه الباء التي يمكن حذفها مع بقاء المعنى صحيحا " حرف جر زائد «ولكننا نذهب هنا لتسميتها »حرف توكيد «أدبا مع القرآن

(١) انظر. تفسير القرطبي

(٢) انظر. كتاب كشف المعاني ص٨٨.

الكريم ولكون فائدتها البلاغية هي توكيد الخبر. فالقول »وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ أبعد في التوكيد من قولنا: " وما هم مؤمنون "[1].

يقول الزمخشري في هذا الصَّدَد " فإن قلتَ : كيف طابق قوله : (وما هم بمؤمنين) قولهم : (آمنا بالله وباليوم الآخر) والأولى في ذكر شأن الفعل لا الفاعل، والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل ؟ قلتُ : القصد إلى إنكار ما أدعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدّى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في عيره، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان، وإذ شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفى ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع، ونحوه قوله تعالى : (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) هو أبلغ من قولك : وما يخرجون منها "[2].

ويقول الزجاج (ت ٣١١ هـ) " وَقَوْلُهُ - عَزَّ وجَلَّ :- ﴿وَما هم بِمُؤْمِنِينَ﴾، دَخَلَتِ الباءُ مُؤَكِّدَةً لِمَعْنى النَّفْيِ، لِأنَّكَ إذا قُلْتَ: "ما زَيْدٌ أخُوكَ"، فَلَمْ يَسْمَعِ السّامِعُ "ما"، ظَنَّ أنَّكَ مُوجِبٌ. فَإذا قُلْتَ: "ما زَيْدٌ بِأخِيكَ"، و"ما هم بِمُؤْمِنِينَ"، عَلِمَ السّامِعُ أنَّكَ تَنْفِي، وكَذَلِكَ جَمِيعُ ما في كِتابِ اللَّهِ - عَزَّ وجَلَّ[3].

وقال البقاعي (ت٨٨٥ هـ) " ﴿وما هم بِمُؤْمِنِينَ﴾ أيْ بِعَرِيقِينَ في الإيمانِ كَما ادَّعَوْهُ بِذِكْرِ الِاسْمِ الأعْظَمِ وإعادَةِ الجارِّ، ولَعَلَّهُ نَفى العَراقَةَ فَقَطْ لِأنَّ مِنهم مَن كانَ مُزَلْزَلًا حِينَ هَذا القَوْلِ غَيْرَ جازِمٍ بِالكُفْرِ وآمَنَ بَعْدَ ذَلِكَ، وحَذَفَ مُتَعَلِّقَ الإيمانِ تَعْمِيمًا في السَّلْبِ عَنْهم لِما ذَكَرُوا وغَيْرِهِ، وجَمَعَ هُنا وأفْرَدَ في "يَقُولُ" تَنْبِيهًا عَلى عُمُومِ

---

(١) انظر. الجدول في إعراب القرآن وصرفة ٤٧/١.

(٢) الكشاف ، ص١٢٣٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج٨٥/١.

الكُفْرِ لَهم كالأوَّلِينَ، وقِلَّةُ مَن يَسْمَحُ مِنهم بهَذا القَوْلِ إشارَةً إلى غِلْظَتِهِمْ وشِدَّةِ عَثاوَتِهِمْ في الكُفْرِ وقُوَّتِهِمْ"[1].

[1] راجع. نظم الدرر ١١٢/١.

الخاتمة والنتائج

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي بشقيه التقريري و التفسيري، فالمنهج التقريري من حيث دراسة الآراء وعقد الموازنة والتقويم، و التفسيري من حيث تفسير وشرح نص ابن جماعة وما نسب إليه من خلال الشرح، وتقويم هذه الآراء.

وبعد.... فتلك محاولة متواضعة للكشف عن بعض أوجه اختلاف المعاني بين الأبنية المتماثلة في النَّظم القرآني، وكان من نتائج هذه المحاولة:

١- أظهرت الدِّراسة وظيفة السِّياق اللُّغويِّ الذي أتاح لنا تفسير وتوصيف أنساق التَّعبير القرآني بقيمه الجماليَّة والفنيَّة.

٢- أبرزت السِّمات اللُّغويَّة التي يستعملها الخطابُ القرآنيُّ في ظاهرة الأبنية المتماثلة في سياقها.

٣- أوضحت مدى ارتباط ألفاظ القرآن بعضها ببعض، حتى كانت كالكلمة الواحدة متَّسقة المعاني منتظمة المبانيّ.

٤- أشارت الدِّراسة أنَّ أكثر لطائف القرآن مُودعة في مثل هذه الأبنية التي تُعد وحدة بناء يجعل السُّور أو السُّورة من القرآن بنية محكمة متناسبة المعاني والمباني والمطالع والمقاطع.

٥- أظهرت قيمة الصِّيغة في تركيبها؛ لأنَّها تُعدُّ أهم القرائن اللَّفظيَّة التي تعين على فهم الخطاب، ولأنَّها – كذلك قادرة على تفسير السِّياق الخطابيّ، وقادرة – أيضًا – على تحليل النقلة الأسلوبية.

٦- ألمحت الدَّراسة إلى أنَّ المغايرة في الأبنية المتماثلة، هو بحث في التَّنُّوع الأسلوبيِّ الخاضع للسِّياق بنوعيه؛ لأنَّ هذا التَّنُّوع هو إحدى الوسائل التي تساعد على التَّرابط النَّصِّي.

٧- أوضحت أوجه بلاغة السِّياق القرآنيِّ، وهي أوجه المناسبة بين الصيغ المتماثلة في البيان الخطابيِّ للقرآن، وذلك في كيفية انتظام المعاني المتوافقة للصِّيغ المتماثلة مع بيان كيفية مراعاة وحدة السورة وروحها، وجوِّها الخاص في إيراد المعاني المتناسبة، وانتقاء الأبنية لها وبيان – كذلك-كيفية إتيان اللَّفظ بمعناه ومبناه متمكنًا في موقعه لا يسدُّ منه غيره مسدَّه.

٨- كشـف الدراسـة أن كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل " يعد العمدوة في توجيه الآيات المتشابهة وعليه اعتمد ابن جماعة، وكل من صنَّفوا في هذا الفن من بعده.

٩- ومن أهم تلك النتائج أن هناك بعض الآراء التي تفرد بها ابن جماعة في بعض المسائل وقد أشارت إلى هذا كلّ في موضعه.

١٠- أظهرت الدِّراسة القيمة الدَّلاليَّة للأبنية المتماثلة في محيطها اللُّغويّ الذي تقع منه في إطار من العناصر اللُّغويَّة أو غير اللغوية وهما يشكلان ما يُسمَّى بالنَّص الذي هو "منجز لغويٌّ ذو علاقات ترابطيَّة فيما بين مكوناته المتتابعة، وذو غرض إبلاغي، بينه وبين الموقف علاقة حضوريَّة متبادل".

قائمة المصادر والمراجع: -

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر: -

- الدواوين الشعرية:

١- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت.

٢- ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر الباهلي، حققه وعلق عليه الدكتور عبد القدوس أبو صالح، دمشق، ١٣٩٢هـ.

- القواميس العربية:

٣- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مطبعة بولاق بمصر، ١٣٠٣هـ.

٤- لسان العرب، لابن منظور، اعتنى به أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.

- المراجع العربية:

٥- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السُّيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، ١٤١٨هـ.

٦- أثر النحاة في الدرس البلاغي، للدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مثر، د. ت.

٧- إحياء النحو: إبراهيم مصطفى ط١، لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٩٣٧م.

٨- ارتشاف الضرب. أبو حيان الأندلسي تحقيق: النماس، ال خانجي١٩٧٨م.

٩- إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السُّعود لأبي السُّعود، دار الفكر.

١٠- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، طبع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

١١- الأصول في النحو، لأبي بكر بن السَّراج، مكتبة الخانكي، القاهرة، د. ت.

١٢- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن الكريم، للدكتور محمد الأمين الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ.

١٣- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.

١٤- إعراب القرآن، لأبي جعفر النّحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

١٥- الإنصاف: الأنباري تحقيق: محمد محي الدين، التجارية القاهرة.

١٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير البيضاوي، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

١٧- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي ط١، السعادة القاهرة ١٣٢٩هـ

١٨- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسيّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٩- بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٠- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكتبة العربية، صيدا-بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢١- البرهان في متشابه القرآن، لمحمود بن حمزة الكرماني، تحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، دار الوفاء، المنصورة-مصر، ط٢، ١٤١٨هـ.

٢٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق عبد العليم الطحاوي، ومحمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت.

٢٣- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمَّان، ط ٣، ١٤٢٦هـ.

٢٤- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.

٢٥- تأويل مشاكل القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٣هـ.

٢٦- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

٢٧- التحرير والتنوير، المختصر من "تحرير المعنى السَّديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد بن طاهر بن عاشور، بيروت، د. ت.

٢٨- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د. ت.

٢٩- التعبير القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، دار عمار، عمّان، ط ٤، ١٤٢٧هـ.

٣٠- التفسير الكبير مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، طهران -إيران -، ط ٢، د. ت.

٣١- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق مجموعة من العلماء، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣٢- جامع البيان عن تأويل أي القرآن تفسير الطبري، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٣٣- الجامع لأحكام القرآن تفسير الطبري، لأبي عبد الله القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٣٤- الجُمل، للزجاجي، مطبعة كلنكسيك، ط ٢، ١٣٧٦هـ.

٣٥- الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، المطبعة الصليبية، ١٣٩٣هـ.

٣٦- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، لعلاء الدين الأربلي، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٩هـ.

٣٧- الحجة للقراء السبعة، لأبي على الفارسي، حققه بدر الدين قهوجي، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٤هـ.

٣٨- خزانة الأدب ولب لباب لسـان العرب، لعبد القادر عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانكي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٩هـ.

٣٩- الخصـائص، لأبي الفتح بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب الغربي، بيروت، د. ت.

٤٠- الدر المصـون في علوم الكتاب المكنون، للسـمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٦هـ.

٤١- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

٤٢- درة التنزيل وغرة التأويل، لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسـكافي، تحقيق الدكتور محمد مصـطفى آيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٤٣- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شـاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط ٣، ١٤١٣هـ.

٤٤- رصـف المباني في شـرح حروف المعاني، لأحمد المالقي، تحقيق الخراط، دمشق، ١٣٩٥هـ.

٤٥- رصف المعاني: المالقي تحقيق: الخراط، دار القلم دمشق ١٩٨٥م.

٤٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤٧- الروض الريان في أسئلة القرآن، لشرف الدين الحسن بن سليمان بن ريَّان، تحقيق عبد الحليم السـلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٥هـ.

٤٨- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ.

٤٩- سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، للدكتور عودة الله منيع القيسي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ.

٥٠- سيد قطب – التصوير الفني في القرآن– ط ١٤ – دار الشروق -القاهرة – ١٩٩٣ – ص ٣٦.

٥١- شرح الألفية: الأشموني تحقيق: محمد محي الدين، النهضة المصرية ١٩٥٥م.

٥٢- شرح الكافية: الرضي، شركة الصحافة العثمانية إستانبول ١٣٢٠هـ.

٥٣- شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي، تحقيق وشرح محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٥٤- شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي، تحقيق الدكتور يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي.

٥٥- شرح مفصل الزمخشري، لموفق الدين بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ.

٥٦- غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة الكرماني، تحقيق الدكتور شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٥٧- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ط !، ١٣٨١هـ.

٥٨- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لشيخ الإسلامي أبي يحى زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٥٩- كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، كملي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٨هـ.

٦٠- الكتاب: سيبويه، المطبعة الأميرية بولاق القاهرة ١٣١٦هـ.

٦١- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، دارا الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

٦٢- كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، الرياض، ط ١ ١٤٢٠هـ.

٦٣- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق الدكتور محمود فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.

٦٤- المحتسب في بيتين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفاتح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

٦٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلس، تحقيق المجلس العلمي، فاس، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٦- المخصص، لأبي الحسن بن سيده، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النفي لعبد الله بن أحمد النسفي، المكتبة الأموية، دمشق، مكتبة الغزالي، حماة.

٦٨- المساعد: ابن عقيل تحقيق: محمد كامل بركات، جامعة أم القرى ١٩٨٤م.

٦٩- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٤٠٨هـ.

٧٠- معاني الحروف، للرماني، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، د. ت.

٧١- معاني القرآن: الفراء، تحقيق نجاتي والنجار، دار الكتب القاهرة ١٩٥٥م.

٧٢- معاني القرآن وإعرابه: الزجَّاج تحقيق عبد الجليل شلبي ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٨م.

٧٣- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم الزجاج، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٧٤- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار.

٧٥- معاني النحو، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١م.

٧٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٧٧- مغني البيب: ابن هشام المصري تحقيق محمد محيي الدين، التجارية القاهرة.

٧٨- مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٧٩- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٣هـ.

٨٠- المقتضب، المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

٨١- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من أي التنزيل، تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٨٢- نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

٨٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، إشراف محمد عبد المعين خان، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط ١، ١٣٨٩هـ.

٨٤- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، ومحمود بركات، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥م.

٨٥- همع الهوامع: السيوطي تحقيق عبد العال مكرم، دار البحوث العلمية الكويت، ١٩٧٩م.

الفهرس

المقدمة ____ ٥

التمهيد ____ ١١

أولاً: التعريف الموجز بالإمام بدر الدين ابن جماعة:____ ١٢

طرف من حياته: ____ ١٤

آراء بعض العلماء في بن جماعة:____ ١٦

واشتغاله بالقضاء: ____ ١٧

تلاميذه:____ ١٨

آثار ابن جماعة العلمية:____ ١٨

ثانيا: التعريف الموجز بعنوان الكتاب. ____ ٢٧

ثالثا: التعريف بكتاب "كشف المعاني في المتشابه من المثاني " __ ٣٠

الفصل الأول ____ ٥٣

" اختلاف دلالة المشتقات في تفسير ابن جماعة للآيات المتشابهة" ٥٣

المبحث الأول: اختلاف دلالة الصيغ ____ ٥٦

المبحث الثاني: " اختلاف دلالة الإفراد والجمع " ____ ١١٥

المبحث الثالث: " اختلاف دلالة التذكير والتأنيث " ________ ١٣٤

المبحث الرابع: " اختلاف دلالة التعريف والتنكير "________ ١٤٦

الفصل الثاني________________________________ ١٦١

" اختلاف دلالة الحروف" ___________________________ ١٦١

المبحث الأول: اختلاف دلالة حروف العطف: ___________ ١٦٨

المبحث الثاني: " اختلاف دلالة حروف الجر" ___________ ٢١١

الفصل الثالث ________________________________ ٢١٩

"دلالة عَوَارِض التركيب" ___________________________ ٢١٩

المبحث الأول: "اختلاف دلالة الذكر والحذف "___________ ٢٢٠

المبحث الثاني: "اختلاف دلالة التقديم والتأخير في تفسير ابن
جماعة للآيات المتشابهة" _________________________ ٢٧١

المبحث الثالث: "مسائل متفرقة من الآيات المتشابهة"_______ ٢٨٣

الخاتمة والنتائج ______________________________ ٣٠٦

قائمة المصادر والمراجع: - ___________________________ ٣٠٨

ماستر